



التراث والعلوم الإسلامية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

# دار الشعب

للحماقة والطباعة والنشر  
قطاع النشر

رئيس مجلس إدارة

مهندس / ابراهيم حسين شعراوي

رئيس قطاع النشر والتسويغ

س عَاو فَتْرِيل



٩٢ شارع قصر العيني - القاهرة .

ت : ٣٥٥١٥٩٩ : \*

٨٠٠ : ت : ٣٥٥١٨١٠ / ٣٥٥١٨١٨ .

١١٥١٦ : ت : ٣٥٤٤٨١١ - من ب ١٤ رقم بريدي -

# الدُّوَانُ

(في الأدب والنقد)

مؤلفيه

عباس محمود العقاد  
إبراهيم عبد الفادر المازني

الطبعة الرابعة

## مقدمة

بسم الله تبتدىء (وبعد) فان كان للسكت عن الخوض في احاديث الادب داع فقد زال ذلك الداعي اليوم ، وقد تجددت دواع للكتابة في اصوله وفتوحه ، اخصها امل في تقدمه ، لالتفات الاذهان الى شتى الموضوعات ومتلوي المباحث والعندر عليه من الانتكاس لاجتراء الادعاء والفضوليين عليه ، وتسلل الاقلام المفموزة والمأرب المتهمة الى حظيرته . وكتابنا هذا مقصود به مجازة ذلك الامل وتوقي تلك العلل . وهو كتاب يتم في عشرة اجزاء (١) . موضوعه الادب عامة ووجهته الابانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة وقد سمع الناس كثيرا عن هنا المذهب في بضع السنوات الاخيرة ورأوا بعض آثاره وتهيئات الاذهان الفتية المتهمنة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي وكتابه ومن سبقهم من المقلدين . فنحن بهذا الكتاب في اجزاءه العشرة وبما يليه من الكتب نتمن عملا مبسوطا ونرجو ان تكون فيه موفقين الى الافادة

---

(١) لم يظهر من الديوان في النقد والادب الا جزءان طبع او لهما في ينابير ونائهما في فبراير سنة ١٩٢١ وأميد طبعهما بعد شهرين

مسددين الى الفاية . وواجز ما نصف به عملنا - ان افلحنا فيه - انه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، واقرب ما نميز به مذهبنا انه مذهب انسانى مصرى عربى : انسانى لانه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجودان المشترك بين النفوس قاطبة . ومصرى لأن دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، وعربى لأن لفته العربية ، فهو بهذه المثلية اتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت ، اذ لم يكن ادبنا الموروث في اعم مظاهره الا عربى يحتا يدبر بصره الى عصر الجاهلية .

وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل ، وقضى ان تحطم كل عقيدة اصناما عبدت قبلها ، وربما كان نقد ما ليس صحيحا اوجب وايسر من وضع قسطاس الصحيح ، وتعريفه في جميع حالاته ، فلهذا اخترنا ان نقدم تحطيم الأصنام الباقية على تفصيل المبادىء الحديثة ، ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض ، وسنرد فيها بشماذج للأدب الرا�ح من كل لغة ، وقواعد تكون كالمسبار وكمليزان لا قادرها ، فان اصبنا الهدف والا فلا اسف . وحسينا بهذه القدمة الوجيزة بيانا .

## شوقى في الميزان (توطئة)

كما نسمع الضجة التي يقيّمها شوقى حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتا كما نمر بغيرها من الضجّات في البلد ، لا استضخاما لشهرته ولا لمنعة في أدبه عن النقد ، فان أدب شوقى ووصفاته من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات . ولكن تعمقا عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح ، ويفسّن عليها من قوله الحق ضمن الشحيح ، وتطوى دقائق أسرارها ودسائسها طى الضريح وتحن من ذلك الفريق من الناس الذين اذا ازدوا شيئاً لسبب يقنعهم لم يبالوا أن يطبق الملا الأعلى والملا الأسفل على تبجيشه والتنويه به فلا يعنينا من شوقى وضجّته أن يكون لهما في كل يوم رفة ، وعلى كل باب وقفه . وقد كان يكون هذا شأننا معه اليوم وقدا لولا أن الحرص المقيت او الوجل على شهرته المصطنعة تصرف به تصرفاً يستثير الحاسة الأخلاقية من كل انسان وذهب به مذهبها تعافه النفس . فان هذا الرجل يحسب ان لا فرق بين الاعلان عن سلعة في السوق والارتقاء الى أعلى مقاوم السمعة الأدبية وابحثة الفكرية ، وكأنه يعتقد اعتقاد اليقين ان الرفعة كل الرفعة والسمعة حق السمعة ان يشتري السنة السفهاء ويكم انواعهم ، فاذا استطاع ان يقحم اسمه على الناس بالتهليل والتكمير والطبل

والزمر في مناسبة وغير مناسبة ويحق أو بغير حق فقد تبوا مقدد المجد وتسنم ذروة الخلود ، وعفاء بعد ذلك على الأفهام والضمائر ، وسحقاً للمقلدة والانصاف وبعدها للحقائق والظنون ، وتبأ للخجل والحياء ، فان المجد سلعة تقتني ولديه الشمن في الخزانة ، وهل للناس عقول ؟

ومن كان في ريب من ذلك فليتحقق في تتبع المدح لشوقى من لا يمدح الناس الا ماجورا . فقد علم الخاصة والمامة شأن تلك الخرق المنتنة نهى بها بعض الصحف الأسبوعية . وعرف من لم يعرف أنها ما خلقت الا لطلب الاعراض والتسول بالمدح والذم وان ليس للحضرات الأدبية التي تصدرها مرتزق غير فضلات الجيناء وذوى المأرب والحرزات . خبر مسحوم تستمره تلك الجيف التي تحركها الحياة لحكمة كما يحرك الهوا وخشاش الأرض . في بلد او لم يكن فيه من هو شر منهم لاتوا جوعوا او توادوا عن العيون . هذه الصحف الأسبوعية وهذا شأنها وتلك أرذاق أصحابها تكيل المدح جزافاً لشوقى في كل عدد من أعدادها ، وهي لا تنتظر حتى يظهر للناس بقصيدة تؤثر ، او اثر يذكر ، بل تجهد نفسها في تحمل الاسباب واقتدار الفرص . فان ظهرت له قصيدة جديدة والآ فالقصائد القديمة المنسية في بطون الصحف ، وان لم يكن شعر حديث ولا قديم فالكرم والاربحة والفضل واللوذعية ، وان ضاقت ابواب الدعاء والاطراء فقصيدة او كلمة ينشرها شاعر آخر فيستطال عليه بالشتم ويغير بالقصیر عن قدر شوقى والتخلف عن شاؤه . وهكذا حتى يرث الخلفاء وانهتكت الدسيسة ، والعجب ان يتكرر هذا يوماً بعد يوم ويبيقى في غمار الناس من يحتاج الى ان يفهم كيف يحتال شوقى وزمرته على شهورتهم ومن اى ريح نفخت هذه الطبول .

وشرفاء الناس كافة يتبرأون من شبهة تربطهم بتلك الصحافة ويعلمون انها آفة وآى آفة : مدحها تهمة ، وذمها نعمة ، وتقيمها

وتقعدها لقمة ، وبقاوتها على المجتمع المصرى وصمة ، الا شوقي .  
فإنه يعتد بها آلة شرف وأحدوثة حسنة فهو يغمس نفسه في  
تقريظها ويستزيدها منه ، والطامة الكبرى أن ينصب عجاجات من  
أوباشها للتكرير بين الناس . ولو عمدة قرية في مثل ثروته بصر به  
يمد يده بالسلام الخفى لا ولئك الأوباش في خلوة من خلواته لرأها  
تقىصة يخزى لها ويود أن تكتم عليه . ونقول في مثل ثروته اكتفاء  
بعزه العرف ولا نرهقه بما فوق ذلك من عزة خواص الإنسانية  
وشتم أذى العبرية . فاما أن تكرم البطلالة كما تكرم جلائل  
الأعمال ، وأن يدعى الناس الى المحافل لحمد التسول كما يدعون  
لحمد الاحسان والمروءة وأن يتنادى الى الاختفاء بناهشى الأعراض  
كما يحتفى بهذبى الأرواح وهداة العقول ، وأن يؤيد نهاية المجتمع  
وشنادذه كما يؤيد نوابع البشر وأفراد العصور ، فتلك المهاوية التى  
لا يبدى قرارها . . . . ووا خجلة مصر !! من الذى يصنع ذلك فيها ؟؟  
شعراؤها - الشعراء في كل مصر عشاق المثل الاعلى وطلاب الكمال  
الاسمى لا يرضون بما دون غاية الفيالات مطمحها لاعجابهم  
وقبلة لتزكيتهم . ونحن هنا يذكرى شعراؤنا من يعذفون اسجانين  
بهم ضعفا ، وتجاوز الشرطة عنهم ظلما ، واتساع المجتمع لهم رزعا  
الا انه والله للعار وشر من العار . ولقد استخف شوقي  
بجمهوره واستخف واستخف حتى لا مزيد . ما كفاه ان يسخر  
الصحف سرا لسوقه اليه واختلاس حواسه واختلاس ثقته حتى  
يسخرها جهرة ، وحتى يكون الجمصور هو الذى يؤدى بيده اجرة  
سوقه واحتلاسه . واقسم لو فعلها رجل في اوربا لما قدر أن يمكن  
 فعلها أسبوعا واحدا في بيئة محترمة ولئن لم يعرف شوقي مغبتها  
أديبا ذاجرا وجزاء وافرا يعلم الفرق بين سوق البقر وسوق البشر  
ذاجرا وجزاء وافرا يعلم الفرق بين سوق البقر وسوق البشر  
ليكونن بلدنا هذا بلدا يجوز فيه كل شيء ولا يُونف فيه من شيء ،  
ولا يصد المرء أن يخلع فيه عاريا الا اتقاء طوارئ الجو وعوارض  
الحر والبرد . اما الحباء فلا ولا كرامة .

ان امرءاً تبلغ به محنة الخوف على الصيغة هذا المبلغ لا تدري  
هم يستنكف في سبيل بغيته وآى باب لا يطرقه تقرباً الى طلبتة .  
والحقيقة ان تهالك شوقي على الطنطنة الجرفاء قديم عريق ورد به  
كل مورد وادهله عما ليس يذهل عنه بصير أريب ، وليس المجال  
منفحاً للتفصيل ولا الفرصة سانحة لجلاء الفوامض ولكننا نذكر  
هنا ما فيه الكفاية لمن يفقهه . أما الذين لا يفهون فلا شأن لنا معهم .  
نقول ان تهالك شوقي على الشهرة قديم عريق وقد وجد في مركز  
امكنته من قضاء هذه اللبانة اذ كان اشبه بملحق أدبي في بلاط أمير  
مصر السابق وكانت وظيفته وسيلة لارتباطه بأصحاب المؤيد واللواء  
والظاهر وغيرها من الصحف المتصلة بالبلاط ، فكانت لا تدخل  
عليه بالتقدير والتهميل وتحاشى أن توسع صفحاتها لنقده كما  
توسعها لنقد غيره . وانت اذا قلبت الصحف القديمة رأيت فيها  
مئات المقالات في نقد الأدباء المشهورين كتاباً كانوا او شعراء ولا ترى  
اسم شوقي عرضة لمثل ذلك من حملاتها . واستثنى مقالتين او ثلاثة  
بدأ بها المولى عاصي نقده في صحيفة مصباح الشرق ثم قطع سلسلتها ،  
وهذا ادعى الى الريبة ، وكان في امانة شوقي وموظفيه آخرين  
بالي بلاط هبات محبوسة على اقلام الكتاب والأدباء فكان شوقي  
يوظف منها المرتبات على من يتوصى الناس فيهم العلم بالأدب  
ويعهدون فيهم سلطة اللسان ، ليمدحوه في الصحف ويلفظوا في  
المجالس بتفضيله وتقديمه . ولو شئنا لسردنا أسماءهم واحداً  
واحداً واكثرهم احياء يرزقون . اضعف الى هؤلاء من يمدحونه  
لمشاركتهم اياده في العادات الخصوصية والمنادمات الليلية ، وهم غير  
قليل ، ومن اعتسادوا أن يربوا الموهوب على حسب الوظائف  
والألقاب ، فمن هؤلاء من كتب تساؤله ترتيب الشعراء فيقول لك :  
اولهم محمود سامي باشا البارودي ( لأنه باشا عتيق ) وثانيهم  
اسعاعيل صبرى باشا ( لأنه احدث عهداً بالباشوية والوزارة )  
وثالثهم احمد شوقي بك ( لأنه بك متمايز ) ورابعهم حافظ بك

ابراهيم (لأنه أحرز الرتبة أخيراً) ويلي ذلك خليل أفندي مطران (لأنه حامل نيشان) فطائفة الأفنديات والمشائخ وهلم جرا كانوا يربونهم في ديوان التشريفات لا في ديوان الأداب !! بذلك وما شاكله اعتاد الناس أن يسمعوا اسم شوقي مشفوعاً بأقبح الألقاب فارقاً في صيغ الأطباب والاعجاب . وكانه يخشى أن ينسى الجمهور اليوم ما وصف به أمس فلا يرضيه إلا أن تكرر تلك الصيغ في كل مرة يذكر فيها اسمه . ففي كل قصيدة هو شاعر الشرق والغرب وشاعر العرب والمعجم وأمير الشعراء وسيد الأدباء ، وليت شعرى ما ضرورة هذا التكرار كله أن كان مفهوماً بذاته ؟؟ ولما رسمت هذه الألقاب الماجورة صدقها العامة وأشباه العامة ومن يجاملون السمعة والوجاهة فتتاقلواها ورددوها - ولم لا يصدقونها ويرددونها وأكثرهم لا يعني من الأدب بكثير ولا قليل ، وجلهم إنما يعرفه بالسماع ويلقنه بالاشاعة ؟؟ فان كان في الأمر موضع للعجب فهو أن تسمع ثناء متكرراً ولا تسمع نقداً - مع أن الأغرق في الثناء أحجى أن يفوئ بالمناسفة ويكثر من النقاد . ومتى علمت علة السكوت فقد زال موضع العجب .

وأظن السن قد فعلت فعلها في نفس هذا المعلم بعرض الصيت فقلبه الشك وزاده شحاً وقلقاً فما يصبح لا يقنعه أن يعلل بالدهان ، ويؤكد له التفرد والرجحان ، حتى يرتج أبواب المدح ومنافذه على الخلق قاطبة ، فلا يروى لأحد شعر ، ولا يستحسن قول ، ولا ينادي باسم ، ولا تقرن إلى شهرته شهرة . ولا فعقوبة من يرتكب جريمة الأجداد معروفة !! وما أطول عذابه أن لج به هذا الوسوس !! وإن المحنـة لتسـتدـرـ الرـحـمةـ ولكنـ أـرـحـ النـاسـ خـلـيقـ أنـ يـضـحـكـ منـ يـخـالـ أـنـ يـعـقـمـ بـطـنـ الطـبـيـعـةـ وـيـسـدـ الـأـذـانـ وـيـضـيقـ رـحـبـ الفـضـاءـ بـالـجـرـةـ .

ولو شئنا لأخذنا من كلف شوقي بتواتر المدح دليلاً على جهله بأطوار النفوس فان الأذان أشد ما تكون استعداداً لقبول الدم اذا

شبعت من المدح وأسرع ما تكون الى التغير اذا طالت النجمة . وإذا تعود الناس ان يسمعوا ضربا واحدا من الكلام عن انسان تاقوا الى سماع كلام عنه من ضرب آخر . ويارب مشهور انقلبت عليه القلوب بين يوم وليلة واكبر ذنبه عندها انها افطرت في محاباته ، فهل يدرى شوقي انه يؤجر اذنابه على النيل منه حين يبذل الاجر على المبالغة في مدحه ؟؟ انه لا يدرى ولا يبرئ المريض أن يدرى بداعه .

وعلى نفسها جنت براقتن ، فنحن نكتب هذه الفصول لنظهر لشوقى ومن على شاكلته عجز حياتهم ووهن اسلحتهم ونضطرهم الى العدول عن أساليبهم المستهجنة يأسا من صلاحها في هذه الايام . اذ يعلمون أنها لا تعصم من النقد الصحيح ولا تموه على الناس أقدارهم الا ريشما تنكشف اسرارهم . ونقول لشوقى أن سنة الله لم تجر بأن يقوض الفايبر المستقبل ، ولكنها قد تجري بأن يقوض الحاضر الفايبر والمستقبل الحاضر ، فان كان يكربه ان يتنفس الناس الهواء كما يتنفسه ولا يستفني الا بأن يصفر الدهر من كل بقية صالحة فلا شفى الله نفسه من غيظها ولا ابرد عليها وغرة قيظها . وانه ليلد لنا ان تكون نحن حربه وبلاهه وان نستطيع الامالة للحق من الباطل في غرض من الاغراض فانها لذة نادرة في هذا العالم .

وأنه على قدر استفاضة الشهرة المدحوضة يكون نفع النقد ولزومه ، فان ابلغ ما يكون العيب اذا كان فاشيا ، وأضر ما يكون اذا كان متخدنا نموذجا للاحسان وقياسا للاتقان . وليس قصارى الامر ان يقول عامة القراء تلك قصيدة جيدة ونقول نحن أنها قصيدة ردية فان الدوق والتمييز اذا اختلا لم يكن اختلالهما في الادب وحده . وانت اذا استطعت ان تهدى الطبقة المتأدبة من امة الى القياس الصحيح في تقدير الشعر فقد هديتكم الى القياس الصحيح في كل شيء ومنحتم ما لا مزيد لمانع عليه . وان الامم تختلف ما تختلف في

الرقى والصلاحية ثم يرجع اختلافها أجمعه إلى فرق واحد: هو الفرق في الحالة النفسية أو بالحرى الفرق في الشعور وفي صحة تمييز صميمه من زيفه إذا عرض علينا فكراً وقولاً أو صناعة وعملاً . فليس اصلاح نماذج الآداب بالأمر المحدود أو القاصر على القشور ولكنه من اعم انواع الاصلاح وأعمقها . وسنتناول شعر شوقي قصيدة قصيدة أو معنى معنى حتى نتبين الآثر جلياً في تحول الآراء وسلامة القياس ، وسيرى القراء أننا نفضل له البلاغ ونصحه صخاً شديداً . وكذلك ينبغي أن يجزى الزيف والمديسة والاستخفاف بالعقل والاستطالة على الناس بالقدرة على كم الأفواه وتسخير المأجورين . على أننا لا نحتاج أن نقول أن ذلك ليس بما نعنى اعتراف الحق والتزام الصواب ، وفي غنى تحن عن الاحتيال باللعن والمداراة على القارئ ليقتتنع بما نقول فإننا لا نسأل أحداً اقتناعه . ومن كان يحتمكم برأيه إلى غير الحجة المقاطعة والكلمة الناصعة فليحافظه لنفسه فيما تعودنا أن نوجه مثله كلاماً . وانا لبادئون : -

## رثاء فريد

أصاب شوقي حين قال أن قصيده في رثاء فريد من خيرة قصائده . فانها في مستوى أحسن شعره الأول والآخر ، وهى صورة جامعة لأسلوبه وطريقته وفكره ، ولو نظمها قبل عشرين أو ثلاثين سنة لهتف لها المخلصون من المعجبين به والذين يتلقون حكمهم عليه من ديباجات الصحف ، ولكن حبرا في بناء شهرته ، لأنها من نوع ذلك الشعر الذى كان يشتهى به الشاعر في تلك الفترة ، وفيها مزايا ومحاسن التى لم يكن للشعر مزايا ومحاسن غيرها . فقد كان العهد الماضى عهد ركاكا في الأسلوب وتعثر في الصياغة تنبوبه الأذن ، وكان آية الآيات على نبوغ الكاتب أو الشاعر أن يوفق إلى جملة مستوية النسق أو بيت سائق الجرس فيسير مسير الأمثال وتستعذبه الأفواه لسهوية مجرأه على اللسان . وكان سبك الحروف ورصف الكلمات وهرونة اللفظ أصعب ما يعانيه أدباء ذلك العهد لندرة الأساليب ووعورة التعبير باللغة المقبولة - فإذا فيل أن هذه القصيدة يتلوها القارئ « كلام الجارى » فقد مدحت أحسن مدح وبلغت الفانية . وإذا اشتهر شاعر بالاجادة فليس للاجادة عندهم معنى غير القدرة على « الكلام التحوى الحلو » وهذه هي قدرة شوقي التى مارسها واحتلال عليها بطول المران والتى هي مزية قصيده في رثاء فريد وفي أحسن قصائده .

مضى الجيل الفايت وجاء جيل بعده كثر فيه تداول الدواوين  
البلية والرسائل الرصينة وخرجت المطبع مثات الكتب التي

صاغها أقدر كتاب العرب وشعرائهم وانتشرت الصحف فأصبح من مأثورات العامة تردید جملها «النحوية الحلوة» وترجمت الأسفار الأفرونجية أو اطلع عليها الناشئة في لغاتها فعرفوا مزية الكلام البليغ ومعنى الاقتدار الفني أو الأدبي . وسهلت الأساليب لكترة ما وردت على الأسماع فلم تعد مرونة اللفظ معجزة ذات بال فتعود المقارء أن يبحث عن المعنى بل لا يكتفى المقارء المطلع أن يجد المعنى حتى يبحث عن وجهته ومحصله . فمزية شوقي عند هذا الجيل الناشيء من القراء مزية تتحلّل العين كما تتحلّل المأثور المأثور لنبحث عما وراءها .

ولهذا طفق يلقى اليهم الفصيدة بعد القصيدة ولا يسمع لها رنة ذلك الصدى ، وطفق أذكياء القراء يمرون بشعره الأخير قصيدة في ذيل قصيدة فيعجبون لتغيره ، افترارا بما كانوا سمعوه من الصيت الضخم واللقب الفخم ، ويتساءلون : « ماذا أصاب شوقي » ؟؟؟ ويفالط قراؤه الأقدمون أنفسهم فيخيل اليهم أنهم كانوا يسمعون منه خيرا من هذا الشعر ، وقد يعزون الاختلاف إلى كلام التسخوخة وفتور المزاج ولو كلفوا أنفسهم مؤنة المقارنة بين قديمه الذي يعجبون به على الذكرى ، وحديثه الذي يفصحون أنفسهم على استحسانه فلا يقدرون - لعرفوا موضع وهمهم ولعلموا أن شوقي الامس هو شوقي اليوم ولكنهم هم الذين تغيروا .

نعم تغير جلة القراء فأصبح لا يرضيهم اليوم ما كان فوق الرضى قبل ثلاثين أو عشرين سنة ، لا بل قبل عشر سنين . ولا عجب في ذلك ولا في بقائهم على احلال شوقى محله الاول مع انحدار شعره في نظرهم . فانهم يرون منزلة شوقى بالسعادة التي لم تتغير منذ قدروه للمرة الاولى . ولكنهم يفهمون شعره اليوم بالعقل الذى نما وترقى واتسع اطلاعه . وقد جمد شوقى في مكانه لانه جعل اطراء الناس غايتها فلما بلغها لم يحس في نفسه نشاطا للنمو . ثم لا تنس ان القارئ يرتقى في الاختيار اضعاف ما يرتقى الشاعر في الاداء والابتكار . وقلما يرتقى الشاعر بعد الأربعين فان أخصب أيام

الشعر أيام الشباب . وإذا ارتقى فانما يكون ذلك باحتشاث الطبع  
وادمان الاطلاع والتزييد من المعرفة وشوقى لم يجد من نفسه ولا من  
الناس داعيا الى ابتغاء المزيد وقد علم أصحابه أن زاده من القراءة  
لا يتعدى كتب القصص والنوادر .

وقد احس شوقى بالتغيير من حوله فآده أن يستدركه وأعيته  
الزيادة في سن التقى فعوضهما بزيادة الطنطنة كما يزداد ترويج  
السلعة كلما خيف عليها الكساد . ولما سئل عن غرضه من قصيده  
في فريد وقرىء له في نقادها مالا يحب بهت على ما سمعت وقال :  
تلك قصيدة أردت بها الكلام في فلسفة الموت . . .

فللننظر اذن فلسفة الموت التي استنبطتها حكمة شوقى :

تعود ابها القارئ الى هذه القصيدة فلا ترى فيها مما لم  
تسمعه من أقواء المكدين والشحاذين الا كل ما هو احسن من بضائعهم  
وابحث من فلسفتهم - كلها حكم يؤثر مثلها عن حملة الكيزان  
والعكاكيز اذ ينادون في الأزقة والسبيل : « دنيا غرور كله فان ،  
الذى عند الله باق ، ياما داست جباررة تحت التراب ، من قدم شيئا  
النقاء » الخ . . . الخ .

تلك اقوال الشحاذين وهذه اقوال ( امير ) الشعرا .

كل حى على المنيمة غاد      تتوالى الركاب والموت حاد  
ذهب الاولون فرنا فقرنا      لم يدم حاضر ولم يبق ياد  
هل ترى منهم وتسمع عنهم      غير باقى مسائر وابادي .

الخ . . . الخ .

وما خلا هذه العظات مما نحا فيه فيلسوف الموت منحن الابتكار  
جونز فيه الى الاستقلال بالرأى فمعناه احبط من ذلك معدنا وأقل  
طائلا وأفشل مضمونا . والجيد منه لا يعدو أن يكون من حقائق  
التمريرات الابتدائية « كالزبيب من العنب و  $2 + 2 = 4$  » وهلم  
جرأ . وأكثره أتفه من هذه الطبيعة فالقصيدة اما بيت حذفه واثباته

سواء او بيت حذفه افضل ، مثل اخباره بأن جر النعش في مركبة او حمله على الرقاب سواء .

**لا وراء العجیاد زیدت جلا**    منذ كانت ولا على الاجیاد

ومثل وصفه الفبر ذلك الوصف الذي ما احسب احدا يمر بقبر فيذكره الا انقلب الاعتبار والهيبة في نفسه هزؤا وعبشا . وذاك حيث يقول :

**کل قبر من جانب القبر يبدو علم الحق او منار المعاد**

وعلى هذا يكون تعريف القبر في جغرافية شوقي الخروية : « انه منار يقام على جانب القبر لمدایة قوافل الموتى الى طريق الاخرة لئلا يصل احدهم النجح او يصطدم بصخرة في دروب الموت !! » ومثل تحذيره الناس من تربص الاجل بهم ايقاظا ونياما كانوا الموت يتلمس غرتهم ليأخذهم على سهودة .

**وعلى نائم وسهران فيها اجل لا ينام بالمرصاد**

ومثل تيئيسه من رجمة الموت الى اهله وتخطئه الذين يزعمون غير هذا الزعم يقول ذلك بلهجة العارف لما يجهله غيره كأنها مسألة خلافية طال فيها الجدل وانسcreptت عليها احزاب الفلسفة ولم يفرغ الناس يوما من بحثها وتقليل وجوهها والتنقيب عن اسانيدها وشهادتها حتى جاء شوقي ففض الخلاف ببيته هذين .

**سر مع العمر حيث شئت تؤين**

**وأ فقد العمر لا تؤب من رقاد**

**ذلك الحق لا الذي زعموا**

**في قديم من الحديث معاد**

ولا غرو فقد كان اهل البيت اذا مات في برلين او لندن او المهد لا يزالون يترجون يوم اوبته ، ويعدون أيام غربته ، وكان العلماء في

كل قطر وبلد يتساءلون عن مات غريبًا عن دياره أیوب الى اهله  
يوما ناصر الصفحة متلهل الجبين ممتعا بالعافية او لا يُؤب ؟؟ فكان  
فريق منهم يقول « نعم » وفريق يقول « بل لا » الى ان جاء شوقي  
فأفتى فتواه الجازمة وقال « بل لا يُؤب » فانحسم الاشكال وقطعت  
جهيزه كل خطيب :

قال ناقد اديب : ان الشاعر مسبوق الى هذا الحل ، سبقه اليه  
قائل المثل العامي « اعطنى عمرًا وارمنى في البحر » وانه كان اسوأ  
منه تعبيرا واقل ظرفا اذ يخاطب القارئ بقوله « أفقد العمر » وذلك  
العامي يتلطف ان يجيئ الناس بهذا الخطاب ونقول : ان توارد  
الخواطر معروف مسلم به من جهة ، ومن جهة اخرى فان من  
يتجشم لأجل الانسانية ان يفوص على هذه المسائل الموبيصة ويسهر  
الليالي في قضي مقلقاتها وحل مشكلاتها لحقيق بأن يتجاوز له الناس  
عن حسن المخاطبة ولا يكلفوه أن يأبه لمثل هذه المهنات !!

ولنعد الى ما كنا فيه من تقل ابيات شوقي التي لم يرد في  
فلسفة الشحاذين مثلها – فمن هذه الابيات نبا عجيب فحواء أن في  
العالمين نعشًا واحدًا تنقلهم أعواده من عهد عاد .

### تستريح المطى يوما وهنى تنقل العالمين من عهد عاد

فإن لم يكن يعني هذا ويُزعم أن الأمم لا تملك منذ وجدت غير  
العش واحد تنقل عليه موتاها فسبحان من يعلم مراده . والإ فإن  
كان يعني أن هذه الخشبة التي ينقل عليها الميت قديمة العهد تبلى  
وتجدد فـأى شيء لا يمكن أن يقال فيه ذلك ؟؟ آية مطيبة لا تنقل  
العالمين من عهد عاد كما ينقلهم العرش ، وما بال أى انسان لا يقول  
اليوم أو بعد مائة جيل انه ركب مركبة فرعون ونام على سرير  
قيصر ؟؟ ويقول :

كرة الأرض كم رمت صولجانا وطوت من ملاعب وجیاد  
شاعر عصري ولا شك !! الا تراه يدين بکروية الأرض ؟؟ ولكننا

أخشى أن لا يكون شوقى قد ذكر الكرة الا ليذكر بعدها الصولجان والملاعب والجیاد ، بل نحن لا نخشى ذلك . نحن على يقين منه ، فهو كذلك يكتبون الحقيقة الخالدة ؟؟ ان الحقائق الخالدة لا تتعلق بلفظ او لغة لأنها حقائق إنسانية بأسراها قديمها وحديثها عريبتها وأعجميتها . وانت اذا نقلت هذا البيت الى آية لغة لم يكن معناه الا هكذا : « هذه الفبراء أسقطت من ايدي الملوك قضباً كثيرة ودثرت ميادين لا عدد لها من ميادين السباق ، وابادت خيلاً لا تحصى » - فما اشبه الحكماء بالمفرورين ان كانت ثرثرة كهذه تقع من نفس أحد موقع الحقيقة الخالدة .

ويقول :

طلع الشمس حيث تطلع صباحاً  
وتنحى المنجل حصاداً  
ذلك حمراء في السماء وهذا  
اعوج النصل من مراس الجлад

اليوم لا تخشى بفترة الاجل في كل حين !! فالشمس لا تضرج بدم قتلها الا حيث تطلع صباحاً ( اي حين تطلع حمراء وفي السماء . أما ان طلعت في الأرض فهذا شيء آخر ) والقمر لا يكون منجل حصاداً الا في أيام الالهة او المحاق وفيما عدا هذه الاوقيات لا قتل ولا حصاد فمن مات ظهراً او عصراً او لعشر بقين او ماضين من شهر عربي فلا تصدقوا فان موته باطل . . .

الا ان شعراً يسف الى هذا الحال لجريرة لم يجنبها على لغة العرب الا زغل الصناعة لا جزى الله صانعيها خيراً . جعلوا التشبيه غاية فصرفوا اليه همهم ولم يتسلوا به الى جلاء معنى او تغريب صورة ثم تعادوا فاوجبوا على الناظم ان يلصق بالتشبيه كل صفات المشبه به كان الاشياء فقدت علاقاتها الطبيعية وكان الناس فقدوا قدرة الاحساس بها على ظواهرها . نظروا الى الهلال فاذا هو اعوج

معقوف فطلبوه شبهها ، وهو أفنى المنظورات عن الوصف الحسى ،  
لأنه لن يهرب يوما فنقتفي أثره ولن يصل فنسترشد بالسؤال عنه  
وان كان لابد من التشبيه فلتشبه ما يشبه في نقوسنا من حنين أو  
وحشة أو سكون أو ذكرى ، ففي هذا لا في رؤية الشكل تختلف  
النقوس باختلاف المواقف والخواطر . طلبوه ذلك الشبه فقال قوم  
هو كالخلخال ثم رأوا أن لابد للخلخال من ساق فقالوا هو في ساق  
زنجية الظلام ، وجاءتهم من هذا الطريق زنجية فأحبواها وشبيوا  
بها إلى آخر ما تتدبره إليه هذه الأوهام . وافتئن قوم فقالوا هو  
كالمجل ثم التمسوا له شيئا يحصده فقال ابن المعتز .

انظر إلى حسن هلال بنا  
يهتك من أنواره الخنسا  
كمجل قد صيغ من فضة  
يحصد من زهر النجاح ترجسا

فالهلال منجل وقد صيغ من فضة وهو يحصد النجوم والنجوم  
ترجس ، ولا حصد هناك ولا محصود فماذا وراء هذا كله ؟؟ هل  
في هنر . وجاء شوقى فقال انه منجل يحصد الأعمار فاختلط حتى  
التشبيه الحسى لأن الأعمار لا تحصد حين يكون القمر كالمجل  
تحسب ، وأما في سائر الأيام . فلا يكون القمر منجلا في شكل ولا في  
حقيقة . فما المراد بكلامه ؟؟ ومثل هذا قوله بعد ذكر كرة الأرض :

والفيار الذى على صفحتيها      دوران الرحى على الأجساد  
وذلك من قول ابن العتاهية :

الناس في غفلاتهم      ورحى المنية تطعن

مثل لفقاء الأعمار بالطعن ولا بأس بهذا التمثيل ، واقترب من  
الطعن رحى وجعل المنية الطاحنة قبلغ حدا لا يتحمل بعده  
الاستطراد ، فعز على شوفى الا ان يكون لهذا الطحين غبىار وان

يكون الطحين كله غباراً وأن يكون الغبار هو دوران الريح . عند  
هذا يركد العقل ويجم الكلام .  
ولم أفهم البيتين الآتيين بعد قوله : « تلك حمراء في السماء  
.. الخ »

لَيْتْ شِعْرِيْ تَعْمَلَا وَاصْرَا  
أَمْ أَعْسَانَا جِنْسَيْةَ الْمِيلَادِ؟  
كَذْبُ الْأَزْهَرَانِ مَا الْأَمْبَرُ الْأَ  
قَدْرُ رَائِحَةِ بِمَا شَاءَ غَادَ

يعنى الشمس والقمر . فما التعمد والأصرار وما اعانة جنسية  
الميلاد وما الفرق بينهما ؟ أ يريد أن يطبق على الأزهرين الماده  
القانونية : مادة القتل عن تعمد وسبق أصرار ؟ وفيه كذباً وكيف  
يكون جريان الشمس والقمر في حيث أرسلتهما القدرة المحركة لهما  
للقدر الرايح الغادى ؟ وهل التعمد والأصرار واعانة الميلاد إلا رواح  
القدر وغدوه بما يشاء ؟ أسئلة لا جواب عليها ولا لوم في ذلك على  
شاعر الانس والجن فلعل هذه من أبياته التي صنعتها لأخواننا الجن  
واختصهم بها دوننا .

ويقول في نعش فريد أو حقيبة الموت كما سماه :  
لَوْ تَرَكْتُمْ لَهَا الزَّمَامَ لِجَاءَتْ  
وَحْدَهَا بِالْشَّهِيدِ دَارُ الرِّشَادِ

اما دار الرشاد فهي مصر كما ارادت القافية لا كما اراد شوقى  
ولا كما اراد التاريخ والأثر . وإنما معنى البيت فيقول شوقى ان  
نعش فريد لو لم يمنعه ناقلوه الى مصر لسمى وحده الى مصر !!  
فله ما أقدر رأى الشموس على احالة الجهل مضحكاً والتقديس  
زراية : تعيش يسعى وحده في البرور والبحار ويجوس خلال المدائن  
والديبار ، يعتدل وينعطف ، ويمضي ويقف ، حتى يستقر ملهمها عند  
قبره ، جاداً لا يلوى على شيء قبل بلوغه ، والناس متبحرون عن

طريقه ، تاركية يتهدي لطيته .. ألمن هذه الصور ينتزع الشاعر  
مادة الرثاء والاجلال ؟؟ الا ساء ما أصاب ذكرى الرجل من اجلال  
شوقى ، أراد أن يقول كما قال البحترى :

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما

في وسعه لسعى اليك المنمير

فكبا كبوا حاطمة .

ولقد طمح شوقى الى معارضه المعرى في قصيدة من غرر شعره  
لم ينظم مثلها في لغة العرب ولا نذكر اننا اطلعنا في شعر العرب على  
خير منها في موضوعها . والمعرى رجل تينم هذه الحياة محراها  
واجتواها غابا وصدق عنها سرابا - لابس منها خفايا اسرارها ،  
واشتف مرارة مقدارها ، وتتبع غواير آثارها ، وحواضر أطوارها ،  
فاذًا هو نظم في فلسفة الحياة والموت كما ترأت له فذلك مجاله  
وذلك سبيله . وأين شوقى من هذا المقام ؟؟ انه رجل ارفع ما اتفق  
له من فرح الحياة لذة يباشرها او تباشره وأعمق ما هبط الى نفسه  
من آلامها اعراضة امير او كبير ، وما يمثل هذا ينظم الشاعر في  
فلسفة الموت والحياة .

ولكى لا يسيق الى وهم شوقى اننا نكبر قصيدة المعرى تعصبا  
للقديم وايشارا للعرب على العجم بلقى اليه ها هنا درسا في الشعر  
قد ينفعه .

فاعلم ، أيها الشاعر العظيم ، ان الشاعر من يشعر بجوهر  
الأشياء لا من يعددها ويحصى اشكالها والوانها . وان ليست مزية  
الشاعر ان يقول لك عن الشيء ماذا يشبه وانما مزيته ان يقول  
ما هو ويكشف لك عن لباهه وصلة الحياة به . وليس هم الناس من  
القصيد أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع وانما همهم أن  
يتعاطفوا ويودع أحسهم واطبعهم في نفس اخوانه زبدة ما رأه  
وسمعه وخلاصة ما استطاعه او كرهه . واذا كان كذلك من التشبيه  
أن تذكر شيئا أحمر ثم تذكر شيئا أو اشياء مثله في الاحمرار فما

رُدَتْ عَلَى أَنْ ذَكَرْتْ أَرْبَعَةَ أَوْ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ حَمْرَاءَ بَدْلَ شَيْءٍ وَاحِدٍ ،  
وَلَكِنَّ التَّشْبِيهَ أَنْ تَطْبِعَ فِي وَجْدَانَ سَامِعَكَ وَفَكْرَهُ صُورَةً وَاضْحَى مَا  
انْطَبَعَ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ . وَمَا ابْتَدَعَ التَّشْبِيهُ لِرَسْمِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ  
فَانَّ النَّاسَ جَمِيعًا يَرَوْنَ الْأَشْكَالَ وَالْأَلْوَانَ مَحْسُوسَةً بِذَاتِهَا كَمَا  
تَرَاهَا وَانَّمَا ابْتَدَعَ لِنَقْلِ الشَّعُورِ بِهَذِهِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ مِنْ نَفْسِ الْأَنْفُسِ .  
وَبِقُوَّةِ الشَّعُورِ وَتَيقِظِهِ وَعُمْقِهِ وَاتِّسَاعِ مَدَاهِهِ وَنَفَادَهِ إِلَى  
صَمِيمِ الْأَشْيَاءِ يَمْتَازُ الشَّاعِرُ عَلَى سَوَاهِهِ ، وَلَهُدَا لَا لَغِيرَهُ كَانَ كَلَامُهُ  
مَطْرِبًا مُؤْثِرًا وَكَانَتِ النُّفُوسُ تَوَاقِعَ إِلَى سَمَاعِهِ وَاسْتِيعَابِهِ لَأَنَّهُ يُزِيدُ  
الْحَيَاةَ حَيَاةً كَمَا تُزِيدُ الْمَرْأَةَ النُّورَ نُورًا . فَالْمَرْأَةُ تَعْكِسُ عَلَى الْبَصَرِ  
مَا يَضْمِنُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّيْعَاعِ فَتَضَعُفُ سَطْوَعُهُ وَالشِّعْرُ يَعْكِسُ عَلَى  
الْوَجْدَانِ مَا يَصْفُهُ فَيُزِيدُ الْمَوْصُوفَ وَجِيدًا إِنْ صَحَّ هَذَا التَّعْبِيرُ ،  
وَيُزِيدُ الْوَجْدَانَ احْسَاسًا بِوُجُودِهِ . وَصَفْوَةُ القُولِ أَنَّ الْمَحْكَ الَّذِي  
لَا يَخْطُىءُ فِي نَقْدِ الشِّعْرِ هُوَ ارْجَاعُهُ إِلَى مَصْدِرِهِ : فَانَّ كَانَ لَا يَرْجِعُ  
إِلَى مَصْدِرٍ أَعْقَمَ مِنَ الْحَوَاسِ فَذَلِكَ شِعْرُ الْقَشْوَرِ وَالْطَّلَاءِ ، وَانَّ  
كَنْتَ تَلْمِعُ وَرَاءَ الْحَوَاسِ شَعُورًا حَيَا وَوَجْدَانًا تَعُودُ إِلَيْهِ الْمَحْسُوسَاتِ  
كَمَا تَعُودُ الْأَغْذِيَةُ إِلَى الدَّمِ وَنَفَحَاتُ الزَّهْرِ إِلَى عَنْصَرِ الْعَطْرِ فَذَلِكَ  
شِعْرُ الطَّبَعِ الْقَوِيِّ وَالْحَقِيقَةِ الْجَوَهِرِيَّةِ . وَهُنْكَ مَا هُوَ أَحْقَرُ مِنَ  
شِعْرِ الْقَشْوَرِ وَالْطَّلَاءِ وَهُوَ شِعْرُ الْحَوَاسِ الْفَضَالَةِ وَالْمَدَارِكِ الْزَّائِفَةِ  
وَمَا أَخَالَ غَيْرَهُ كَلَامًا لِشَرْفِ مَنْهُ يَكْمُنُ الْحَيْوَانَ الْأَعْجَمَ .

فَانَّ تَبَيَّنَ لِكَ مَا تَقُولُ فَانْظُرْ مَكَانَ قَصِيدَتِكَ مِنْ قَصِيدَةِ الْمَعْرِيِّ  
الَّتِي اجْتَرَأَتْ عَلَى مَعَارِضِهَا .

نَظَرُ الْمَعْرِيِّ إِلَى سَرِّ الْمَوْتِ فَلَمْ يَرِهِ فِي مَظَاهِرِهِ الْضَّيقِ الْقَرِيبِ ،  
حَادِثًا مُتَكَرِّرًا تَخْتَمُ بِهِ حَيَاةُ كُلِّ فَرْدٍ . بَلْ رَأَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ الْخَالِدَةِ  
الْعَمِيقَةِ . رَأَهُ كَمَا بَدَا مِنْ الْقَدْمِ لِبَدَائِهِ الْحَكَمَاءِ وَأَصْحَابِ الْأَدِيَانِ ،  
وَكَمَا تَبَطَّنَهُ مِنْ قَبْلِ بُوْذَا وَكَنْفَشِيوْسِ وَمَانَى : حَرْبَا سَرْمَدِيَّةَ قَائِمَةَ  
بَيْنِ قَوْتَيْنِ خَفِيَتِيْنِ مِيدَانِهِمَا كُلُّ نَفْسٍ حَيَّةٍ وَكُلُّ ذَرَّةٍ فِي طَبَاقِ  
الْأَرْضِينِ وَأَجْوَازِ السَّمَاوَاتِ – هَاتَانِ الْقَوْتَانِ هُمَا الْخَيْرُ وَالْشَّرُّ أَوْ

نظر المعرى الى العالم الارضى . فلم يكن سرير محضر ما رأى ،  
ولا نجباً مقتضياً ما احس ووعى ، بل كان ذلك الميدان : ميدان البقاء  
والفناء قائماً في كل كيان قائم ، متقداماً في كل ركن متقدم :

## كل بيت للهدم ما تبني الور قاء والسيد الرفيق العماد

وعلم أن القوتين اللتين هذا أثر نضالهما في الأرض فاعلمنا هذا الفعل لا محالة في اشرف كواكب السماء واسمها ، وأضوا عوالم النور واذكاما .

زحل اشرف السكواكب دارا  
من لقاء الودي على ميعاد  
ولنار المريخ من حدثان النهر  
مطف وان عسلت في اتقناد  
والثيرا رهينة بافتراء الشمل  
حتى تعمد في الأفراد

لا يل راي الكون (١) والفساد متصاحبين منلاحقين في كل حال.

واللبيس الليبس من ليس  
يقترب يكون مصدره للفساد

(1) الكون هنا وفي البيت مصدر كان بمعنى حالة الوجود لا يمعنى العالم

وكانَتْ العِبْرَةُ الَّتِي اسْتَخْلَصَهَا مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ عِبْرَةُ الْوَاقِفِ  
عَلَى مَشَهِدِ مِنْ ذَلِكَ النَّضَالِ السَّرْمَدِ، فَوْقَ أَفْرَاحِ الْإِنْسَانِ وَاحْزَانِهِ،  
وَلَوْ نَطَقَ الْأَبْدُ لَمَا تَكَلَّمَ بِغَيْرِ قَوْلِهِ :

غَيْرُ مَجْدٍ فِي مُلْتَى وَاعْتِقَادِي

نَسُوحٌ بَاكٌ وَلَا تَرْنَمُ شَادٌ

وَشَبَابِيَّهُ صَوْتُ النَّعْيِ إِذَا قَيْسَ

بِصَوْتِ الْبَشَّارِيِّ فِي كُلِّ نَسَادٍ

وَإِذَا ذَكَرَ مَتَاعِبَ الْحَيَاةِ فَكَانَمَا يَذَكُرُهَا لِيَصْرُفَهَا عَنْهُ بِنَظَرِهِ  
القَانِطُ الْمُسْتَخْفَفُ فَيَقُولُ :

تَصُبُّ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبَ

إِلَّا مَنْ رَاغَبَ فِي ازْدِيَادِ

أَنْ حَزَنَ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَافَ

سَرُورَ فِي سَاعَةِ الْمَيَادِ

أَسْفٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ

لَا يُؤْدِي إِلَى غَنَاءِ الْمَيَادِ

كَذَلِكَ كَانَ احْسَاسُ الْمَعْرِيِّ بَرِّ الْمَوْتِ، وَهُوَ أَوْسَعُ احْسَاسٍ  
قَدْرُ لِبْشَرِيَّةِ أَنْ يَحْسُسَهُ مِنْ ذَلِكَ السَّرِّ الرَّهِيبِ ٠

أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَظَرْتَ فَمَاذَا رَأَيْتَ؟؟ لَعْلَكَ أَدْرِي بِمَا تَنْظَرُ وَتَرِي  
وَلَكُنَا نَقُولُ لَكَ مَا لَسْتَ تَدْرِيَهُ . أَنْكَ لَمْ تَرْ شَيْئًا يَحْتَاجُ النَّاظَرُ فِي  
رَؤْيَتِهِ إِلَى غَيْرِ الْحَوَاسِ - أَنْكَ تَقُولُ « لَمْ يَدْمِ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقِ بَادٌ »  
حِيثُ يُسْوِي الْمَعْرِيُّ بَيْنَ وَكَرِ الْوَرْقَاءِ وَمَعَالِمِ الْعَظَمَاءِ وَبَيْنَ مَنَازِلِ  
الْأَرْضِ وَدَارَاتِ السَّمَاءِ . أَرْدَتَ أَنْ تَعْمَمَ كَمَا عَمِّ فَفَاتَكَ مَفْزِي  
تَهْمِيمِهِ وَجَثَتْ بِكَلَامِ لَا لِبَابَ لَهُ وَلَا تَرْضِي قَشْوَرَهُ، إِذَا مَا عَلِمْنَا بَيْنَهُما  
الْحَضْرُ وَالْبَدْوُ مِنْ فَرْقٍ فِي التَّكَوِينِ يَدْعُونَا إِلَى تَوْهِمِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا  
فِي حَكْمِ الْمَوْتِ . وَإِنَّمَا يَقُولُونَ هَذَا خَبْرٌ سَمِعَهُ الْحَاضِرُ وَالْبَادِي لَأَنْ  
أَحَدُهُمَا قَدْ يَسْمَعُ مَا لَيْسَ يَسْمَعُهُ الْأَخْرَى لِتَبَاعِدِ الدَّارِ أَوْ اِنْقِطَاعِ

الأخبار ويقولون يتسبق اليه الحاضر والبادى لمثل هذا السبب .  
واما قولك يموت من في الحاضرة والبادية فكعدهك الناس اسماء  
وقولك عن كل واحد انه يموت ، وعلى انه لو صح ان يقال هذا فائى  
فضل فيه لغير الحواس واى دليل فيه على اللب الحكيم والطبع  
القويم ؟؟ وتقول في القبر انه منار المعاد .

وزمام الركاب من كل فج  
ومحط الرجال من كل واد  
وهل بين واد وواد فرق في هذا الحكم ؟؟ وتقول :  
وعلى نائم وسهران منها  
قدر لا ينام بالمرصاد  
وهذا كذلك بل أضعف اما قولك .

لبس ساقه الردى واظن  
النسر من سهمه على ميعاد  
فما احسبك تدعى فيه لنفسك اكثر من فضل السرقة .  
و اذا تجاوزنا هذا الباب الى غيره وعمدنا الى مقارنة الابيات  
المتشابهة في القصيدةتين الفيناك تخطيء في كل بيت تسرقه من المعرى  
او تائى بالبهرج من حيث اتى هو بالذهب .  
المعرى يقول :

رب لحد قد صار لحسنا مرارا  
ضاحك من تزاحم الاضداد  
ودفين على بقایا دفين  
في طویل الازمان والابداد  
وليس اجل ولا اصدق من هذا الشعر . وان تعبيره عن تعاقب  
الدفین بعد الدفین في الموضع الواحد بتزاحم الاضداد وقوله ان

اللحد يعجب ويضحك من هذا الزحام لا بلغ ما ينطق به اللسان في  
وصف تهمك الموت بالاحياء وعبث التزاحم على الحياة . ويسلط الله  
عليك نفسك فتسول لك أن تحاكي هذه المعجزة البيانية بقولك .

هل ترى التراب احسن عسلا  
وقياما على حقوق العباد  
نزل الأقوباء فيه على  
الضعفى وحل الملاوك بالزهاد  
صفحات نقية كقلوب  
الرسل مفسولة من الاختقاد

التراب ينصف العباد ويصون حقوقهم احسن صيانة لانه  
يبيدهم جميا !! فبحقك يا هذا كيف يكون تضييع الحقوق !! وما  
الذى لقيه اضعف العباد من اقواهم وأظلمهم اشد من هذا الانصاف  
والصيانة !! ويخيل اليك انك ابدعت حين قلت ان الملوك يستضيفون  
الزهاد في التراب ، وهذا من فضائل الموت !! ، فهل تعنى ان الزهاد  
لا يستضيفون الملوك فيه على السواء !! فان كنت لا تعنى بذلك فقد  
قلت ما تعلم انه خطأ وقلته لغير غرض - اما المعرى فقد احاط بهدا  
المعنى فلم يخسر شيئا من الصدق او بلاغة الاسلوب حين قال :

وعزيز على خطط اليسانى  
وم الفدامسكم برم الوادى

وهذه هي البلاغة الجادة التي لا لعب فيها .  
وعندك ان طهارة القلب هي موته . فاذا خمدت نفس الميت صار  
قلبه نقبا مفسولا كقلوب الرسل . افليس من موت القلب ان لا تزال  
تلهج بذكر الرسل حتى جعلتهم موتى القلوب !!  
يقول المعرى :

خفف الوطء ما اظبن اديم  
الارض الا من هذه الاجساد

وانت تقول :

والغبار الذي على صفحتيها  
دوران الريح على الاجساد

المعرى يسأل :

ابكت تلسكم الحمامة ام غشت  
على فرع غصنها المياد

وانت تأبى ان لا تكون لقصيدتك حمامه تغنى وتبكي فتقول :

ضاق عن تلها البكى فتخت  
دب تكل سمعته من شاد

ثم يروقك وانت تبارى المعرى مباراة المضحكتين ان تزعم  
لناجيتك ولنفسك انك نظمت في فلسفة الموت وبذذت شيخ المرة في  
آية من آياته !!

على انك قد تعلد بعض العذر في قصورك من هذه الناحية لانك  
مجبر فيه لا مخيار . أما الامر الذي لا نعلم لك منه علينا فأن ترثى  
رجلا كفريدا بقصيدة لا يرد فيها اسمه ولا سيرته الا عرضا ، وأن  
لا يخرج تأبىتك له عما قد يرثى به فرد من غمار الناس . ولو كان  
ذاك لضيق في مضطرب القول او لنقص في بوعث الاسى على الرجل  
لما خفى تعليمه ولكنك تعلم كما نعلم ان مصر الحديثة لم تنجب من  
دعاتها رجلا لقى في حياته وموته مما يستثير دفائن الحزن ويطيل  
مدد الرثاء بعض ما لقيه فريد . فتهاونك في قضاء حقه وتوفيقه  
قدره لا يكون الا لعجز او كنود . فان لم يكن هذا ولا ذاك فلا حنة  
لا تزال تغلى في نفسك على الرجل بعد موته . وانت بأسبابها اعلم .

رئا عثمان غالب

من فساد الذوق أن يقصد المرء المدح فيقذع في الهجاء ، أو ينوى الدم فيأى بما ليس يفهم منه غير الثناء . واشد من ذلك اينالا في سقم الذوق وتغلعلا في رداءة الطبع شاعر يهزل من حيث أراد البكاء ، وتحفى عليه مظان الضحك وهو في موقف التأبين والرثاء والعبرة بالفناء .

ولست ادرى اى ما جن من نظامينسا قال هذا البيت في رثاء  
احدى العيال :

## رحمة العود والكمنجا عليها وصلاة المزمار والقسانون

ولكن لا ريب ان قائله ، مهما سمح منه الهدر في مثل هذا الموقف ، او عيب عليه سوء الظن بفن الفناء واقتدار ذويه – اسلم ذوقا في بيته هذا من شوقى في رئاته لعثمان غالب . لاته تعمد الهزل فقاله وما كان شوقى كذلك حين رثى ذلك العالم الجليل بمثل هذا الهراء .

ضجت مصرع غالب  
امست ( بتيجان ) عليه  
قامت على ( ساق ) لغير  
في ماتم تلقى الطبي  
وتري ( عجوم الأرض ) من  
في الأرض ( مملكة النبات )  
ه من الحداد منكسات  
بته واقعدت الجهات !!!  
عة فيه بين النائحات  
جزع موائد كاسفات

والزهر في أكمامه  
حسبت أقاحي السربى  
وشقائق النعمان آ

بل تما لا مراء فيه ان صاحب هذا الرثاء قد صدق نية الرثاء  
وغير بوعده لنفسه واغتبط بما دب عليه من المعانى الدقيقه والنكات  
الاتية ... لانه استطاع ان يذكر الزهر بمناسبة ولو في غير  
موقعها ، ولعمرى كيف يكون شاعرا من لا يذكر الزهر او الثمر  
كما يذكر العابد الله والعاشق ليلاه . يذكرهما في غضبه ورضاه ،  
وفي لهوه ويلواده ، وفي فرحة وبكاه ، وفي غيظه وهواده ، وفي يقظته  
وكراه - ويدركهما حين يصف الصحراء القاحلة ، وحين يتمثل  
المدينة الاهلة ، وحين يروى عن النعمة السابقة او يتحدث بالمصيبة  
القاتلة والمنية العاجلة . وكيف يكون مطبوعا على الفن ، مدلها  
بفتن الجمال من اذا وصف الجثة الحائلة ، لم يقل انها صفراء  
كالاچوانة ، او المميز من الحنق لم يحسب انه يتغلق كما تنغلق  
الرماتة ، او المتدى من المشنقة لم ير انه يهتز اهتزاز البناء ، او  
قطع الرقاب والعياذ بالله لم يشبهه بقطف الريحانة !! وشوقى لم  
يوف هذا الفرض فحسب بل ارأتنا ان الازهار لا تجري على سفن  
المجاملة في النواح ، فعل النساء ، وانما تحزن على من هي غرس  
يده وجنى معرفته ونبت نعمته ورعايتها . فلو فجعت البلاد مثلا  
بموت عالم من علماء المعادن لما سمع لزهرة واحدة ان تذيل دمعة  
أسفا لفراقه وانما كان لا يضيق به الخيال الفسيح والذوق المليح  
فكان يجعل اسوداد الفحم حدادا عليه ، وصلابة الحديد جمودا  
لهول المصيبة فيه . وكان يجعل اصفار الذهب وجلا ، واحمرارا  
النحاس احتقانا ، وبين القصدير ذوابانا ، الى آخر ما هنالك من  
ألوان العذاب التي تلم بالمعادن الصلاب - ولو كانت النكبة في عالم  
« جيولوجي » لما قال شيئا من ذلك بل كان يقول ( مثلا ) ان  
الطبقة الرملية في ناحية كلها تجثو التراب على رأسها فزعا ورعبا

وأن الطبقة الجيرية في موضع كلّا تخنق من ثقل الوطأة عليها ، وإن هذه الطبقة أو تلك ساخت بها الأرض أو تزلزل بها الكمد وناهيك ما كان يقوله لو نفذ القضاء في شاعر جليل فانه أبقاء الله لن يقنع بأقل من الحاق الزحاف والأقواء والخبن والسناد وسائر علل العروض والقافية بكل قصيدة قيلت أو تقال من يوم خلق الله الشعر إلى يوم يبعثه من القبر الذي الحده فيه الشعراء الكذبة والنظامون، واى تفسير أو تأويل كنت لا تسمعه من الشاعر الندابة في سهيل الخيل ونهيق الحمير ومواء القطط وعواء الكلاب وتقيق الضفادح لو كان العالم المفقود من علماء الحيوان لا من علماء النبات أو صاغة الكلام ؟؟ هذا ما نسأل الله اللطف فيه فإننا ان احتملنا حداد الالوان والاشكال فلن نطيق الصبر على حداد الاصوات والأقوال .

ولكن واأسفاه !! لابد من التضحية ، لابد من فقدان والخسارة في هذه الدنيا الفانية !! وليس من السهل أن يقول الإنسان ان الاشجار قامت على « ساق » واقعدت الجهات الست التي ما بربت قاعدة في مكانها منذ الأزل ، ولا من الهين أن يحشر الطبيعة « لا أكثر » في ماتم تكون فيه احدى النائجات « فقط » ولا من اللعب أن يصل في كل ساعة الى ابقاء الرياحين والازهار والمعادن والاحجار – ولا سيما النفسية منها – كلا ليس ذلك بالقول الهزل ولا بالمركب السهل ، ولكن يقول الرجل الفاني منا هذا القول ويهبط الى قرار هذه المعانى العميقية ، لا غنى له عن التضحية بالذوق السليم والوصف الصادق والتخيل الصحيح والشعر الجدى والشعور القوى ، وهذه كلها ضحى بها شوقى على مذيع فنه فما تاوه ولا صرخ ولا لمح الناظر على وجهه امتعاضة حزن أو مسحة آسى . تعم كل ذلك ضحى به شوقى ولا مبالغة . . . تقول ولكنه مع ذلك كان سخيفاً غثاً ضعيف الملة مشنوة السليقة . . . ونقول هذا صحيح ولكنه قال ما اراد ان يقول وتفنن وروى . . أجل !! انه لم يروث ذلك الرثاء المكشوف المفتوح الذي يرثيه او لثك السلاح اللهماء ، الذين يحسّبون ان الاخصائيين اذا ماتوا فيجمعوا احداً غير المواد التي

تفرغوا للرسها وتوفروا على البحث فيها ، والذين اذا اودى احد اولئك الاخصائين اسفوا ووصفوا اسفهم هم عليه ( مبادرة ) ولم يتخلوا عن مهمة الحزن ليلقواها على عاتق الزهر تارة وعلى غارب السحاب تارة اخرى ، او يكلوها الى الطبيعة كلها بارضها وسمائها وأمواتها واحيائها ويجعلوا النفس الانسانية او نفس المصاب بالبلية ، آخر من يحس في هذا الكون بفقد عزيز !!

ولقد كنا نود ان نقف عند هذا الحد في الابانة عن براعة شوقى وافتنانه ، والاشادة بخلابته وبيانه . لو لا اننا آثرنا ان لا يفوتنا سؤاله عن انواع من النبات لم يسمها في تلك المناحة التي اقامها .- ماذا كان من شأن القطن بأصنافه وماذا صنع القمح والشعير بل ماذا صنع البصل والكراث والملوخية والثشاء في ذلك الماتم العميم الذى كانت الطبيعة فيه احدى النائجات « فقط » !! انه سكت عن هذه الانواع وغيرها فهل ذاك لأنها لم تكون من اثياع النباتى الكبير أم لأن من خواص تلك الانواع التى يعلمها الشقراء ويجهلها النباتيون أنها مضيعة للعهد ناكرة للجميل !! أم لعلها لا تنتمى الى عالم النبات وان ردتها الناس اليه ، كالمرجان يحبه قوم نباتا ويحبه آخرون جمادا وهو من عالم الحيوان !! أم هو الصدق في الخير والأمانة في التبليغ او حجا اليه ما قال فذكر فريقا وسكت عن فريق : رأى الرجل الاقاحى باهته ذابلة على غير عهدها وابصر شقائق النعمان تخمس خدوذها فابرا ذمتها وادى اماتتها ، ولم ير القطن ولا القمح ولا سواهما يصنع شيئا فربما بشره عن شهادة الزورو والتخرص وسجل عليها ما سجل من جمود الطباائع وقسوة القلوب !! تلك اسئلة ما كنا نسألها لو لا اهميتها وخطورتها ولو لا اننا تعلمنا منها الان ان نرقب اعين كل جامد ونابت وحى ، حاشا الانسان ، تعرضا لجلائل الانباء واستطلاعا لخفايا الحوادث قبل ان تنبض بها او تلو البرق ويطير بها التجابون ، ولو اننا عرفنا ماذا يتبغى ان تحلون الامة من موت الاخصائين من رجالاتها ، وانها مسئولة ان تغض بنا راهم مخافة ان تمعن نرجسة او تسود فحمة . . .

انتقل شوقي من رثاء العالم النباتي الى رثاء العالم الطيب  
فقال مفصلا مقسا :

اما مصاب الطب فيه  
فسل به ملا الاساءة  
اودى الحمام بشيخهم  
وما بهم في المضلالات  
ملقى الترسوس المسفرات  
عن الفرسوس المثمرات

والقاريء يرى انه لم ينح نحوه الاول . وما كان ذلك بلا ريب  
استهجانا له او توبه عنه وانما خانته القرىحة وخذ له الاختراع .  
والا فماذا كان يمنعه ان يقول فلا يخرج عن تلك الوتيرة - مثل هذه  
الآيات .

طربت مصرع غالب في الأرض رسيل الحميات  
قد مات ( غالب ) جندها فتمرت بعد ( الممات )  
امست جرائم الملايا من سرور ( ظاهرات )  
وتفرق التيفوس والـ  
وقالب المكسروب والـ  
وبكت قوارير الصيادل بالدموع السـائلات

فهذه آيات ليس لنا من فضل فيها سوى فضل التقليد  
للشاعر المجيد . ومن لم يعجبه تقليدنا فليل لنا فيم اخطأنا المحاكاة  
وخلالنا الاحتذاء ونندنا عن القياس ولكننا بصاحب « الامتياز »  
الأصلي بعض بنائه ندما على فوات هذه التتمة الصالحة فأنه ليس  
أغص للنفس من فرصة يلوح لها تأتيها بعد معالجتها واليأس منها .  
كذلك يؤتون يامن خلقتهم فكيف تراهم يتهمون ؟؟ وأما والله  
لو توخي هذا الذى شمر لتأبين عثمان غالب ان يمازح الرجل بكلام  
يعرض له فيه بعمله وصناعته مستر سلا في الدعاية مستهترا  
بالمجون متبعا في الفكاهة لما استطاع ان يضرب على اوقع من هذه

النقطة . فليت شعري بأى ذوق مزج بين هذين الشعورين المتباعددين  
تباعدقطبيين ؟؟ أبذوق الشاعر المفطور الذى يفرق بين شبكات  
السرائر وهجسات الضمائر ، والذى لا تدق عنه أخافت همسات  
العواطف ولا تلتبس عليه أخفى الوانها ؟؟ يقولون أن أذن الموسيقى  
المطبوخ تميز بين ثلاثة آلاف نبرة مختلفة ولو قلنا أن فطرة الشاعر  
ينبغي أن تميز بين ثلاثة آلاف خطرة من خطرات الاحساس  
المتشحة المتنوعة لما أخطئنا فما ظنك بأمير شعراء لا يميز بين  
احساسين اثنين ضخمين لا يشتبهان ولا يتقابلان ولا يجتمعان —  
أحدهما لا تحسه النفس الا في أبهج ساعات الحياة: ساعة التبسط  
والانشراح ، والثانى أنها يخامرها في أقدس مواقف الموت واجلها:   
وقف تمجيد العظيم الرائع والعظة بسيرته . . . لا إلا هكذا فليمنت  
الاحساس النبيل الصادق والا فلا موت بل نحن في دار الخلود .

مه ! مه ! أن من السخف لما تعانه الجبلاة وتنقرز منه النفس  
تنقرزها من الشناعات الجسدية . وهذا السخف الذى تمنونا بلاده  
الأغبياء بالتحرك لانتقاده اشنع هذا النوع وأقلره لانه كالورم الذى  
يغسل الى الفر من أحمراره ولعاته أنه ماء الحسن ورونق الصبا  
فيهوى اليه يقبله ويرمقه ، وحسب الطبع تقرزا أن يرى الدمامل  
مقبلة مرموقة .

ومن نظر الى عشرة ممسوخين في بقعة واحدة فاشمأزت نفسه  
من رؤية عاهاتهم ومقادرهم خليق أن يدرك اشمشمازنا حين ننظر  
فنرى حولنا العشرات والآلاف من ذوى العاهات النفسية البارزة  
يستحسنون مثل هذا الشعر على غثاثته وعواره بل هو لا يروقهم  
الا لما فيه من غثاثة وعوار — خلائق كل ما نستطيع أن نعمل به هذا  
الاعوجاج في طبائعها وأذواها أنها تلتف لفطر ما أخلدت الى الكسل  
والضعة وتلوثت لحقارة المشاغل التي بقى لها أن تعنى بها وتكبرت  
لها ونفلت لشدة ما توالى عليها من عنت الدهر وذل الحوادث واللحاج  
الاحساس الدائم بالضعف والجبن حتى أعقبها هذا البلاء للازب  
شر ما تمنى به نفس بشرية : أعقبها العجز عن احتمال الجد والتمادي

فِي الْهَزَلِ وَالْجَاجِ فِي السَّلْوَى الْكَاذِبَةِ حَتَّى صَلَرَتِ الْمَفَالِطَةُ وَالْأَلْتَوَادُ  
وَالْهَرَبُ مِنَ الْحَقَائِقِ دِيدَنَا لَهَا بَلْ كَادَتْ تَكُونُ خَلْقًا ثَابِتًا فِيهَا . وَسَاءَ  
فَهُمْ لِلْدُوْقِ السَّلِيمِ فَأَصْبَحَ جَهْدُ الدُّوْقِ فِي زَعْمِهِمُ التَّصْنِعُ  
وَالْأَسْتِرْخَاءُ وَتَخْتَثُ التَّرْفُ الْأَوْنَتُ . وَمَا كَانَ الَّذِينَ وَالْتَّرْطُبُ قَطُ  
هُنَوْا نَا عَلَى ارْتِقَاءِ الدُّوْقِ الْأَنْسَانِيِّ وَحْسَنَ اسْتِعْدَادِهِ وَانْمَا هُمْ  
نَقِيسُ هَذَا الدُّوْقِ وَاقْرَبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ مِنْهُمَا إِلَى الْأَنْسَانِيَّةِ - إِلَّا  
تَرَى إِلَى الرُّومَانِ كَيْفَ كَانُوا يَتَلَهُونَ بِتَعْدِيبِ الْأَدْمِيَّينِ : يَطْرُحُونَهُمْ  
لِلْسَّبَاعِ الْجَانِعَةِ تَمْزِقُ لَحْوَهُمْ وَتَنْهَسُ احْشَاءَهُمْ وَتَقْسِمُ عَظَامَهُمْ  
وَتَلْغُ فِي دَمَائِهِمْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ أَتْيَنَهُمْ وَيَتَلَذَّذُونَ بِأَوْجَاعِهِمْ كَانُهُمْ تَلَكَ  
الْسَّبَاعُ الْفَسَارِيَّةُ تَتَلَذَّذُ بِمَا تَأْكُلُ وَمَا تَشْرُبُ ! ! فَإِذَا تَذَكَّرَتْ ذَلِكَ  
فَإِذَا كَرِكَ كَيْفَ كَانَ الرُّومَانُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ !! كَانُوا فِي عَهْدِهِمُ الَّذِي بَلَغُوا  
فِيهِ مِنَ التَّرْفِ وَنَعْوَمَةِ الْأَخْلَاقِ مَا لَمْ يَرُوهُ الرَّاوُونَ عَنْ أَمَةِ قَبْلِهِمْ  
وَلَا بَعْدَهُمْ .

( وبعد ) فَكَانَمَا فَرَغَ صَاحِبِنَا مِنَ التَّدْلِيلِ عَلَى فَسَادِ الدُّوْقِ  
فَانْتَقَلَ إِلَى عِبَّرٍ أَخْرَى مِنْ عِبَّوْبَهِ يَوْفِيهِ قَسْطَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ  
إِلَّا وَهُوَ الْأَحَالَةُ وَعَقْمُ الْفَكَرِ . بِيدِ أَنَّهُ تَوْفَقَ هَذِهِ الْمَرَّةُ إِلَى اثْبَاتِ هَذَا  
الْعِبَّرِ بِفَرْدٍ بِيَدِهِ فَقَالَ :

### عَثْمَانَ قَمْ تَرْ آيَةَ لَهُ أَحْيَا الْمَوْمِيَّاتِ

يَأْمُرُ الشَّاعِرُ الْمَرْتَنِيُّ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَوْتِ . وَلِمَاذَا ؟ لِيَرِيَ آيَةَ . . .  
فَيَحْسِبُ السَّمَاعِيُّ أَنَّ آيَةَ الَّتِي سِيرَاهَا الدَّفَنِ بَعْدَ بَعْثَهُ أَعْجَبُ  
وَأَخْرَقُ لِنَوَامِيسِ الْكَوْنِ مِنْ رَدِ الْمَيِّتِ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَمَّ الْبَيْتُ  
حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ الْأَعْجُوبَةَ الَّتِي يَبْعَثُ الدَّفَنِ مِنْ قَبْرِهِ لِيَعْجِبُ مِنْهَا هِيَ  
النَّظَرُ إِلَى مَيِّتٍ يَبْعُثُ . . . فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْعَنِيِّ وَالْأَحَالَةِ مَا هُوَ  
أَحْمَقُ مِنْ هَذَا الْلَّفْطِ الْفَارِغِ الْخَاوِي ؟ ! أَلِيَسْ هَذَا كَايْقَاظُ النَّائِمِ  
« لِيَتَفَرَّجْ » عَلَى نَائِمٍ يَتِيقَظُ وَكَحْمَلُ الْمَقْعَدِ إِلَى أُورُوبَا أَوْ أَمْرِيْكَا  
لِيَمْتَعَ الْطَّرْفُ بِالنَّظَرِ إِلَى مَقْعَدٍ يَعْرَضُ فِي الْمَسَارِحِ الْمَتَعْجِبِينَ ؟ ! وَعَلَى

ان بعث العلامة المدرج في أكفانه اغرب وأشد استحالة من بعث الموميات التي يعنيها شوقى لأن موت الأمم مجازى لا تستغرب الرجعة منه وموت الأفراد حقيقى لا رجعة منه في هذه الدنيا . وعدها فان كان القصد من بعث الاستاذ غالب ان يرى «الموميات» تحيا فقد شهد الرجل هذه العجزة وحضر عهدها قبل موته بأشهر فلا حاجة الى قلب نظام الكون وازعاجه في ضريحه ، لا لشيء الا ان يرى العجزة التي قد رأها . . . وبعد فليذكر شوقى ان الذين يدعوهم بالموميات هم أولئك الذين نفق بينهم شعره ونفذت فيهم دسائسه وجاز عليهم احتياله على الشهرة ، فان كان هو شاعراً واحد فهو شاعر الموميات ، وان كان لشهرته حد فهو اليوم الذي يقال فيه عن تلك الموميات .

### خرجت بنين من الشري وتحركت منه بنسات

ثم ما هذا الولع من شاعر «الموميات» باقامة الاموات !! فهو ينادى عثمان «قم تر آية» ويصبح بسلامان «قم بساط الريح قام» ويهتف بالاستاذ الامام شامتا «قم اليوم فسر للورى آية الموت» ويقول للشهيد فريد «قم ان اسطعت في سريرك» وغير ذلك مما لا نحصره ولا نود أن نحصره . . ألم يكفه قيام الاحياء حتى يقوم له كل من في التراب !!!

ولم ينس شوقى براعة المقطع فختم القصيدة باليق بيتين يتممان ما فيها من خطل الادراك وضلال الحس ، وهذان بيتاً الختام .

الفكر جاء رسوله  
فاتى باحدى العجزات  
عيسى الشهور اذا مشى  
رد الشعوب الى الحياة

ففي كل مختصر من عجاليات علم النفس يكاد يبدأ المؤلف بالفرق بين الفكر والشعور ، ويكاد يضع كلاً منهما بالوضع المقابل للآخر . وقد ألم العامة بداعية بهذه الحقيقة فتسمع منهم من يقول أحياناً . « ليست هذه مسألة عقل . هذه مسألة احساس » أو ما في معنى ذلك . ولكن شاعر العامة لا يفطن الى هذا الفرق فيجعل الفكر والشعور شيئاً واحداً ثم يعكس الآية فيقول ان الشعور يرد الحياة وكلنا يعلم ان الحياة هي التي تنشئ الشعور ولا بد من فان من لا يفكر الا سهوا ولا يشعر الا لهوا ولا يمارس أسرار الحياة وقضائهاها الفامضة الا عفواً لحرى أن يجعل الفرق بين التفكير والاحساس كما جهل الفرق بين مقام السخرية ومقام التعزية .

## استقبال أعضاء الوفد

قصيدة أوجز ما توصف به إنها نكسة أدبرت بقاتلها ثمانيه  
قرن وكان فيها مقلدا للمقلدين في استهلاكه وغزله ومعانيه .

مثل لنفسك أيها القارئ شاعرا من شعراء الغرب هبط مصر مستطلعا أول عهده بها وبنهضتها الحديثة ، فذهب يرود أكتافها ويتحرى عجائبها ويستكثنه أخلاقها وشمائل نفوسها من آدابها وفنونها ، إلى أن سيق إليه ضنيعة من صنائع شوقى فأسمعه أن هنا شاعر يدعونه أمير الشعراء ، ثم جعل لا يذكر له من الألقاب إلا لقبا مزدوجا ، فهو أما شاعر الشرق والغرب أو شاعر الأرض والسماء أو شاعر الانس والجبن أو شاعر الأقدمين والمحدين أو شاعر الدولتين والعهدين والقرنين – إلى أشباه هذه الألقاب ، هذا والرجل يستمع ويعجب أن يتقد ذلك لاحد كائنا من كان في العالمين : وقد تعلم أيها القارئ أن أذكياء الغربيين وخاصتهم لا يالفون الاطناب والتهويل ، وأنهم يقدرون اعجابهم ويزنون كلماتهم فهم يستكثرون على شاعر كشكسبير أن يدعى شاعر الأقدمين والمحدين عندهم بله الانس والجبن والسماء ، وإن كان لاحق من يدعى كذلك ، ويكتبون أن يلقب دانتى أو هوجو أو جيتى بشاعر أوروبا وإن كان لكلهم من شيوخ صيته وقدم أيامه وكثرة المعجبين به وتداول طبعات كتبه – مسوغ لهذا اللقب . فلابد أن يلمع الشاعر الغربى في تلك الصفات التي سمعها مقالة وشططا . ييد أنه يحب

ان يرى كيف يكون التعبير عن النفس المصرية وان يعرف المعايير والمثل العليا والخيالات التي اذا نطق بها الشاعر وجد في مصر من يمنحه تلك الاوصاف المستحبطة ، وان يستوضح من ذلك كله مبلغ ما تنطوي عليه نهضة البلد من اليقظة الروحية والتقدم الاجتماعي ، فيرجو محدثه أن يترجم له قصيدة حديثة من شعر شاعره ، وتكون هي قصيده في استقبال اعضاء الوفد .

يبدأ صاحبنا معجبا فيقول : « تحول بقلبك عن الطريق وانج من جماعة الظباء السائرة في الرمل ومن جماعه الظباء .. » وهو ترجمة قول شوقي :

اثن عنان القلب واسلم به  
من ربب الرمل ومن سربه

فيصفح الرجل عن التكرار ظانا انه من مقتضيات التشبّه والتحذير كما يقال « النار ! النار » و « الحصان ! الحصان » الا انه يتوجه ان فسائل الظباء والايائل والوعول تفتّك الناس وتخيفهم في هذا الجانب من الارض فيتقونها ويهرّبون منها لضرر اتها وعراها . ويود لو يرى هذه الاوابد الاقريقية فما هو الا ان يسأل صاحبه في ذلك فاذا الجواب حاضر يلقى اليه بابتسامة الاستاذ لتلميذه الجھول : « كلا : ليس في بلادنا ظباء مخيفة ولا اليفة - ما الى هذا قصد شاعرنا ، وانما هو يعني النساء » .

نساء وما شأن النساء بهذا الحيوان ؟؟ يسأل الرجل مستغريا فلا تغير ابتسامة صاحبه المترجم ويجيبه : « نعم نساء . فائنا نشبة المرأة بالظبية اقتداء بالعرب ، فقد كانت تعجبهم عين الظبية الكحلاء فكانوا يشبهون بها عيون النساء ومن ثم صارت المرأة ظبية » .

نقول : ولا يبعد ان يرتضى الشاعر الغربي هذا التشبّه على

انه منقول عن العرب وربما قال بشيء من التهكم : « حسن تشبيهكم هذا ، ولكن لا ادرى لم ينقل شاعركم رمال الصحراء مع العيون الكحلاء ، ولم تكون شوارع مصر تلولا ان كان لابد ان تكون حسانها ظباء ووعولا » ثم يغمغم كأنما يخاطب نفسه : « اذن فصاحبكم عاشق يتغنى ! »

وما اشد ما تكون دهشته اذ يقول له محدثه وقد زم شفتيه ومد عنقه كمن لا يرى داعيا المذاك الافتراض : « ولماذا ؟ ان الشاعر ليتغزل على سنة مرسومة سنة وضعها الفحول من الشعراء الاصدقاء » .

فيفاجأ الرجل ويجد انه قد أحال غير قليل على تباهي الامزجة والمذاهب بين الشرق والغرب ، فهل يطلب منه ايضا ان يحيي التقليد في الفزول على اختلاف الخلقة وتفاوت التركيب ؟ ولئن صع ما ترجم له ولم يدخله شك في نهضة الامة ليكون اذن بين قرضين اثنين ليس واحد منهما بجائز في العقول : فاما ان الشرقيين وركبت قلوبهم وأشارجت شهواتهم بحيث اذا احب السلف العربي اتى الخلف المصري متغزا بعد عدة قرون . . . وهو مستحيل . واما ان هؤلاء الشرقيين يعيشون في ابان نهضاتهم الاجتماعية بقلبين فينهض احدهما ويحيا ويموت الآخر حتى ما يحس اقوى خوالج النفس واعنفها وهي غريزة العشق الجنسي . وما خلق الله لامرئ من قلبين في جوف واحد .

على انه يجتمع الى حسن الظن ويحيي اليه انه اخذ يفهم بعض الفهم ويقول لترجمه : « اخالني قد فهمت . فلعل شاعركم وضع القصيدة على سبيل المحاكاة المقصودة كما يصنع بعض شعرائنا » فلا يفهم الترجم مرباده ، فيقول له مفسرا : « ان الغربيين كما يتسلون احيانا بلبس ملابس الرومان واليونان الاصدقاء او يتزرون بزى الفرس والهنود ، كذلك يخطر للشعراء عندهم ان يتسلوا

باختذاء أسلوب الشعراء من الأمم النازحة والاجيال الفاسدة .  
رياضة وتفكها لا جدا والتزاما . وهذا الاختذاء عندهم لا يعد من  
جيد المقاصد ولا من جوهر الشعر وغاية ما فيه انه رياضة مقبولة» .

فيغير المسكين فاه تحيرا مما يدخل على ذهنه من كلمات  
يحس بها اخانجي والفتازا . وينظر انه يدب عن شاعره المزدوج الالقاب  
حين يسرع فيبرئه من تعمد التقليد والهزل فيخبر الشاعر الغريب  
بالغرض من نظم القصيدة وان قائلها لم ينظمها محاكيها ولا مستريضا  
وانما نظمها في مستقبل امة ناهضة .. وتحية لزعمائها ..

الى هنا ينتهي العجب باليقين - فان كان الرجل قد ارتفى  
التقليد في التشبيه والفنzel واغتفر نقض المدينة العامرة يبابا وقلب  
الشوارع المهدة هضابا ، فمن وراء عقله ان يرتفى استهلال الكلام  
في نهضات الامم بالفنzel صادقا كان او مستعما ، وان يفهم الابتداء  
بوصف محاسن النساء واطراء العيون الكحلاء ، تمهيدا للثناء على  
مآثر العظاماء ومناقب الزعماء ، وان يئن ويتوجع ، في حيث يفخر  
ويترفع ، وان يوائم بين موقف الوجد والصباية ، و موقف النصح  
والاهابة ، فذلك ما لا يقبله تفكيره ولا يذهب اليه تخمينه ، وان  
اعوزته دلائل الحكم على منحى افكارنا وقيمة آدابنا ومدارج نفوسنا  
فكتفى بما سمع برهانا يحكم به كيما شاء ولا يتخرج ان يظلم او  
يتجاذف ، ثم لا يكون بعد ذلك الا معدورا .

\* \* \*

ونحن لم نمثل في الحديث المتقدم بشاعر غربي لأن فهم هذه  
البساطة وقف على الغربيين ولكن ليسهل على الذين تقىب عنهم  
بساطتها ان يفهموا على اى وجه تلوح غثاثات التقليد لمن خلصت  
عقولهم من سلطان تكرارها وجريانها مجرى القواعد المصطلح  
عليها . والا فاي انسان تجرد من الانخداع بالتكرار وخلع رقيقة

التقليد لا يشعر لأول وهلة بالخلط الشائن في هذا الضرب من الشعر ؟؟ ما الشعر الا كلام فان كانت له ميزة على الكلام المبتدىء فميزته انه اجمل وأبلغ وأحسن وضعاً للمعاني في مناسباتها . فهل يتكلم الرجل في السوق والبيت فيتحرز من الخلط بين تصنع الوجد والهياق وتقدير الحوادث الجسام ، حتى اذا تهياً للشعر لم يخجل ان يخلط في قصيدة واحدة بين ابعد موضوعين عن الانظام في نسق واحد ؟؟ فلو انه كان صادقاً في عشقه لقبع منه ذلك بين ندائه وسجنه ، دع عنك قبع اذانته بين الملا ، فكيف به وهو متصنع لا يمشق بغير اللسان !!

\* \* \*

لقد كان الرجل من الجاهلية يقضى حياته على سفر : لا يقيم الا على نية الرحيل ولا يزال العمر بين تخيم وتحميم . بين نوى تهيج ذكراء ، ومعاهد صبوا . تذكى هواه ، هجراه كلما راح او غدا حبيبه يحن الى لقائها او صاحبة يتربى بموقف وداعها . فاذا راح ينظم الشعر في الاغراض التي من اجلها يتتابع النوى ويحمل المشقة ثم تقدم بين يدي ذلك بالnisib و التشبيب فقد جرى لسانه بعفو السليقة لا خلط فيه ولا بهتان .

ولما تعود شعراء العرب التكسب بشعرهم صاروا يخرجون من جوف الصحراء الى ملوك الحيرة وغسان وفارس وينتجمعون الامراء والجواد في اقصى بقاع الجزيرة يحملون اليهم المدائع يداونها احياناً بوصف ما تجشموا في سبيل المدوح من فراق الاحبة والم الشوق وطول الشقة وأحياناً كانوا يصفون الناقة التي تقلهم وخفة سيرها وصبرها على الظماء والطوى ومواصلتها الليل بالنهار سعيا الى المدوح كنهاية عن الشوق الى لقائه ، وكان الغرض في الحالتين واحداً وهو تعظيم شأنه وتكبير الامل في مثوبته ، فكان الابتداء بالفزل ووصف المطى في قصائد نظمت في المدوح

وما شاكله من أغراض حياتهم المشابهة لا يهد من باب اللغو والتقليد .

ثم نشأت الصناعة فيمن نشأ بعد هؤلاء . ومن عادة الصانع أن يحتاج إلى النموذج والاستاذ فاقاموا المتقدمين استاذة واتخذوا طرائقهم نماذج لا يبدلون فيها ، وكان شعراء البايدية لا يزالون يفدون على الامصار فينهجون نهج أسلافهم مطبوعين أو مقتدين فكان يختلط المطبوع بالمنسوع في هذا العهد ويتقاربان حتى لا يتباهي الأدباء إلى الفرق بينهما . ومن شعراء الحضر من تقدم تقدما حسنا فنعني على المتقدمين بكاء الدمن والطلول وأفرد كثيرا من الفزل في قصائد قائمة بذاتها وأشهر هؤلاء أبو نواس . ومنهم من كان يفتح مدائحه بالنسبة ويتجنب ذلك في العظام كما صنع أبو تمام في يائته المشهورة التي مدح بها المعتصم بعد فتح عمورية . وفي رأيته التي أولها .

**الحق أبلج والسيوف عوار فحنار من أسد العرين حنار**  
وكما صنع المتنبي حين مدح سيف الدولة وذكر نهوضه إلى الروم فقال مفتتحا :

**ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا والا فلا لا**  
**حالة ابن السيوف اعظم حالا**

ومضى فيها كلها على هذا النمط . وكذلك حين مدحه عند انتصاره من أرض الروم فاستهل قصيده بالبيت السيار :

**الرأى قبل شجاعة الشجعان هو اول وهى المحل الثاني**  
وكما صنع الشريف وأفرايه في كثير من قصائد المدح والفخر على اختلاف مناسباتها . ولكن قسدة السلائق وجمدت القرائح وقل الابتكار أو انعدم ونشأ من شعراء الحضر جيل كان أحدهم

يقصد الامير في المدينة وانه لعلى خطوات من داره فكأنما قدم عليه من تخوم الصين لكثره ما يذكر من الفلوات التي اجتازها والمطابع التي انضهاها وحقوق الصباية التي قضاها . وكان الواحد من هؤلاء يزج بنزله في مطلع كل قصيدة حتى في الكوارث المدلمة والجوانح الطامة . هؤلاء هم المقلدون الجامدون . والآن وقد بادت الطول والقصور ونسخت آية المديح بمطالعه ومقاطعه وتفتحت للقول ابواب لم تخطر لأحد من المتقدمين على بال . . . يجئ شوقي فيتماجن ويتصابي في مطلع قصيدة يتمنى بها مستقبل امة ويقول فيها :

### قد صارت الحال الى جلها    وانتبه الفاصل من لعبه

ويجئ اناس من طمس الله على بصائرهم فيقولون عن هذا المقلد للمقلدين الجامدين انه مجدد وانه عصرى بل انه شاعر العصر .

وهل تعلم ما الغزل الذى استحل لاجله اتىان هذه المجانة والعبث !! فقد يكون له عذر الاجادة لو كان مبتدعا فيه اقل ابتداع وأن حق عليه اللوم لوضعه في غير موضعه – ولكنه هو الغزل الرث الذى ليكت معانيه وأوصافه ولم يكن للنظمين والشعراء بضاعة غير ترجيعه منذ عشرة قرون . فماي سوقة من صغاريك الوزانين لم يفسل رجليه في وعاء هذه المعانى التي نضج بها شعر امير الشعراء !! وقد يطول بنا الجهد لو فتشنا عن واحد من مقطعي العروض لم يقل في وصفه : « قد يتثنى كالبانة » « أرداف مرتجه كالكتبان اي كاكواه الرمل » « خد كالورد » . « حسان كالاقمار او كالنجوم » . « مشية كمشية القطا » . « عينان لهما سحر هاروت وماروت » « ظبيه كالرمل » الى بقية تلك الكناسة الشعرية النبوذة . وهذه هي روح العصر فيما يحدسون !!

ثم يتخلص شاعرنا من مقدمته الى موضوعه . فاما الموضوع فلا نقول فيه سوى انه مقالة منظومة كسائر المقالات التي نشرتها

الصحف يومئذ لولا أنها متناقضة متدابرة وإنها خلو من الأسباب والحجج التي بني عليها الكاتبون رأيهم وأما الكلام الشعري فيه ففي بيت القصيدة أو بيتيه وهما :

قطارهم كالقطار هز الشري وزاده خصبا على خصبه  
لولا استلام الخلق اوسانه شب فنال الشمس من عجبه  
وأنه لا ليق تحية استقبال تسلو ذلك الافتتاح ، ولو كان للشاعر  
فضل في التناسب المحكم بينهما لكان أشعر الشعراء ولكن ( مكره  
اخوك لا بطل ) .

ولا أسهب في التعليق على الـبيتين ولكن أروي مشاهدة يتبيّن  
منها القارئ مبلغ ما يفعله التقليد من تعطيل المدارك والحواس ،  
وأن في الأطفال اللاعبيين خيالاً أفعى وتميّزاً أصفي من شاعر يعكف  
على الـالقديم وتشوب نفسه الصنعة المتكلفة .

بين أشرطة الصور المتحركة ولا سيما الأمريكية منها مناظر  
خاصة لاطراب الصغار وجلب المسرة إلى قلوبهم . ومن أشدّها  
غرابة المطاردات الجامحة التي تجري فيها خوارق العادات فتتحرّك  
الدور والجوايسق وتتطاير الكراسي والأواني . وهي كثيرة لا اظن  
زائراً من زوار الصور المتحركة لم ير واحداً منها - حضرت منظراً  
من هذه المناظرة فأخذت المطاردة مأخذها المألف : هارب يبعدو  
ومقتفٍ يتعقبه . واستمر الكر والفر والهجوم والمراؤفة إلى أن  
وتب الـهارب في منطاد ، وكان المطارد يبعد خلفه في سيارة فوئت  
به السيارة وراء المنطاد . عند ذلك لم يُبق في الملعب طفل لم يستفزه  
العجب فيشب ضاحكاً . وما أخالهم إلا كانوا مصدّقين ما يرونه  
وأنما ضحكوا لأن المنظر مضحّك على كل حال . . . فليت شاعرنا  
الـكبير الذي قرع أبواب الخيال نيفاً وتلائين سنة حضر يومئذ فسمع  
ضحك الأطفال من سيارة تعطير فيعلم أن طيران القطار بقاطرته

ومركباته في الهواء مسخرة لا مفخرة . ولو استطاع خياله الكليل أن يتبع الصور الذهنية خطوة فيرى الطار شابا فوق الرؤوس في طريقه إلى الشمس ويرى الناس آخذين بحجزاته وارساته يمنعونه ويكتبونه - لقلب حلمه من الاستهزاء على ولعه بالإغراب ، والأمر بعد لا يتطلب خيال شاعر فانه من مدركات العامة السدج ولو لا انهم يدركون الجانب المضحك من هذه التصورات لما شاعب بينهم رقية بهذه الرقية الهزلية : « الحمد لله الذي لم يخلق للجمال اجنحة فكانت تعطير فوق بيوتكم الخ الخ » .

اما ان القطار كالمطر يزيد الثرى خصبا على خصبه فتشبيه لا اصل له . ولو امكن ان يشبه القطار بالمطر بأى قرينة من القرائن او جامدة من الجوامع لكان التلف منه على ارض مصر اكبر من المنفعة . على انه ليس من المطر ولا المطر منه ولا نسبة بين القطار والقطر غير التجانس في الحروف . وهكذا تتعلق اشعار المقلدين بالحروف والالفاظ لا بالحقائق والمعانى . وشوقى كما قلنا في اول المقال مقلد المقلدين .

## النشيد

ربما كنا في غنى عن نقد هذا النشيد اذا كنا لم نلق أحداً يتقيله ويحله المزلة التي أحالته فيها لجنة الأغاني والألحان . فان المزايا التي ألمامنا في طريقنا فقد يكون لذلك فائدة وهي توقيف بعض القراء على قيمة احكام اللجان ، وانها في اكثراها تبع متبع ، لا يرفع ولا يضع . ونحن حديثو عهد بليجان الفنون والأدب في مصر فقد يجهل سواد الناس حقيقتها . أما في أوروبا فربما بلغ من تهاون الأدباء بشأنها أن يطبع أحدهم رسالته أو قصيده وثبتت عليها بالخط العريض « لم تجزها جامعة كذا » كما صنعوا برسالة شوبنهاور التي كتبها في الأخلاق وقدمها الى جامعة كوبنهاغن ففضلت عليها غيرها فكانت سقطة الأبد .

تصدت لجنة الأغاني للحكم في أناشيد الشعراء وأولت نفسها هذه الكفاءة — وانها لكتفاعة تتطلب الاحاطة باشياء جمة قل بين اعضاء اللجنة من يعد ثقة في واحد منها . فمن شروط الحكم في أناشيد القومية أن يكون عارفاً بالشعر ، خيراً بتوقيع الألحان على المعانى ، مطلاعاً على أناشيد الأمم ، بصيراً بأخلاق الجماعات وأطوارها النفسية ، هذا الى استقلال الرأى والمعدل والجمل باسماء من يحتكمون اليه . فهل بين اعضاء اللجنة كثير من تتوافر فيهم هذه الشروط ؟؟ اننا نعرف من بين اعضائها انساناً يجل ذكاءهم ونكتيز فضلهم في علومهم ونراهم أهلاً للحكم في أعضل المشكلات التي

تفرغوا للرسها . ييد ان التفوق في شيء لا يفي بالتفوق في كل شيء .  
وإذا علمت ان الرجل من الاخصائيين يقضى العمر في فنه باحثا  
منقبا ثم تعرض له المسألة فيصيب ويختفي ويبرم اليوم ما نقض  
امس ، فاحر بك أن تعلم مبلغ اعتصامه من الخطأ فيما يتفرغ له ولم  
يدع العذر به . ونحن نذكر هنا حقائق عن اللجنة لا سبيل الى  
انكارها وندع للعارفين بعد ذلك أن يحكموا على حكمها .

فمن هذه الحقائق أن بعض أعضاء اللجنة عرفوا في الجلسة  
وقبلها نشيد شوقى المقدم اليهم غفلا من الامضاء ، ولا ندرى لم  
تكلفوا اغفال اسمه وراؤا ذلك شرطا ضروريا لنزاهة الحكم ثم  
سمحوا لاحدهم ( الأستاذ عبد الحميد مصطفى بك ) أن يجهر في  
الجلسة باسم صاحب النشيد بعد أن تبين الميل من أكثر الأعضاء  
إلى رفضه ؟ بل لا ندرى لما أرجأت اللجنة اجتماعها موعدا بعد موعد  
وتمهلت حتى يتم شوقى نشيده وبين يدها نيف وخمسون نشيدا  
أمن العار على الامة أن يكون فيها رجل آخر يحسن أن يضع انشودة  
واحدة !! ولقد كان النشيد على افواه الممثلين في احدى الفرق  
يلحونه ويروضون أنفسهم على القائه ، واللجنة تطبع الاوراق  
وترسل الدعوات وتستقدم أعضاءها للنظر في أناشيد مجهولة ،  
واسرار مكتومة !! فهل سعى النشيد وحده إلى دار التمثيل ؟

ومما نذكره أن اللجنة لفطرت بربها بشوقى وحرصها على  
اختيار نشيد قبلته على ما فيه من مأخذ وعيوب ، نبه إليها بعض  
الفضلاء ، وردته إلى صاحبه ليجتهد في اصلاحه قبل اذاعته من  
قبلها . وذلك أن عضوا عاب قوله :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز دين  
ليس لكم بوادى النيل عدن !! السخ السخ  
وقال ان البيت الثاني منبتر ، وسأله : ما العلاقة بين النصيحة

بناء الملك على الأخلاق وتشبيه وادى النيل بعده والنيل بالكثير ؟؟  
فوافقوه على انتقاده . وانكر بعضهم تأليف البيتين الآتىين ومعناهما:

**جعلنا مصر ملة ذى الجلال      والفتا الصليب على الهلال  
وأقبلنا كصف من عوال      يشد السمهري السمهري**

فانتقدوا قوله « ملة ذى الجلال » ونقل الى ان أحدهم قال :  
اننا نجعل مصر وطننا يشتراك في حبه ابناه ، واما ملة ذى الجلال  
فهى الملة التى يدين بها كل انسان بينه وبين ربه « ذى الجلال »  
وهو انتقاد سديد فاننا ان سمينا الوطن ملة ذى الجلال فماذا يكون  
الاسلام وال المسيحية واليهودية ؟؟. انما يقال اتحدوا في الوطن واتركوا  
الدين للديان ، ولا يقال اجعلوا الوطن ملة الدين . ولم يستحسنوا  
قوله « الفتى على الهلال » ولا ذكره السمهري ، وقال آخر ان عبارة  
« كصف من عوال » افرينجية التركيب ، ونحن نروى الانتقاد ولا  
نحمل تبعته . ويظهر ان الناظم لم يفتح عليه بتغيير اللفظ مع  
المحافظة على المعنى فأصلاح بيتا واحدا وترك البقية على حالها .  
اصلاح هذا البيت .

**نموت اليك مصر كما حيينا      ويبقى وجهك المفدى حيا**

وكانوا قد أخذوا عليه قوله « نموت اليك » لأنها لم تسمع في  
كلام صحيح فلم يستطع اصلاحها بأحسن من أن يقول « نموت  
رضاك مصر الخ » — وقد نشر كذلك في صحيفة الاخبار — فلم  
يقتنعوا . فجعلها أديب في النسخ الأخيرة « نموت فداك » فاقتنعوا !!

ونذكر أيضا انه كان بين المحكمين أعضاء من المغنين والعوادين  
جىء بهم ليحكموا في اى الاناشيد اصلاح للفخر القومى وأشد اعتلاجا  
في النفس وابتاعا للحمية ومطابقة لنفسية الأمة !! وليديروه في  
اللحن الذى يثبت القلوب الخائرة وينهض بالهم العائرة ويسمعه

الوانى فتضطرم نفسيه عزما ، واليائس فيهمج الى الامل قدما ،  
والعدو فيتضعضع قلبه رعيا وغما .. وليكون اللحن صوت الامة  
في سمع التاريخ ونحوها في المواقف والازمات فانظر أين ذهبا بهؤلاء  
المظلومين هل تعلم بين من نسمهم من مفنينا من ينطق بلسان  
النفس يائسة وراجحة ، وغاضبة وراضية ، ومستنفرة ومتهللة ،  
وصارخة ومتهللة ؟؟ وهل منهم من يروى باتفاقه عن جلال الحياة  
وجمالها وعن عظمة الكون وبهجهته كما يتبين ان تكون الموسيقى ؟؟  
لقد علم كل انسان ان ليس فيهم من يفهم الموسيقى على هذا المعنى  
ولكنها اصوات اللذ والضراوة والحان ينشدتها النائم فلا يستيقظ  
ويسمها الصاحي فينام .

ثم نذكر تبرع شوقي بالجائزة لنادى الموسيقى . وكان هذا  
وعده المعروف ولو انه لم يعد لما دار بخلد احدهم انه على غناء  
يطمع في مائة جنيه يتحججها لنفسه فكان يهم الاعضاء ان يفوز هو  
بالمائة الموعودة ، وجلهم من اعضاء نادى الموسيقى ، والنادى  
بحاجة الى اعانة المترعدين .

ولا ننس ان اللجنة حكمت المويلحي ، وهو رجل تصل اليه  
هذا يا شوقي . على انه تخلف عن الحضور فاضطروه الى ارسال  
رأيه اضطرارا . وحكمت حافظا وقد عرف اصحابه انه يتلقى ان  
يرمى بالحسد ان اوما بالنقد الى قرينه . ومن غرائبه انه كان  
يتحى على الشيشة في العجلة وقبل اجتماع الاعضاء فلما اعلن  
الاستاذ عبد الحميد بك اسم شوقي سكت .

وعلمنا غير ما تقدم امورا لا نحب ذكرها . ولبعضها ذكرناه دليلا  
على هوى اللجنة في جملتها . فلنعد الى النشيد في آبهين للحكم له  
او عليه ، وليكن قياسنا اياه ان نلتعمس فيه ابسط الخصال التي  
هي قوام كل نشيد ولا يجوز ان تخلو منها الانشيد القومية .

يشترط في النشيد القومى قوة العبارة وسهولتها وان لا يكون

وعظا بل حماسة ونخوة وأن يكون موضوعا على لسان الشعب  
وموافقا لكل زمان . وهذا أبسط ما يطلب في أناشيد الأمم . فهل  
نشيد شوقي على هذا الوجه ، وهل اتسقت فيه كل هذه الشروط  
أو بعضها ؟؟

فاما قوة العبارة فليس في النشيد بيت يدب له الدم في عروق  
منشده . وكل مفاخره افرغت في قالب هو أقرب الى الاخبار منه  
الى الحماسة . واقواها قوله ا

لنا الهرم الذي صحب الزمانا ومن حدثانه اخذ الاماننا  
وأوائل علموا الأمم الرقيا ونحن بنو السننا العالى نهاما

وليس في هدين البيتين من نشوة الفخر ما تهتز له النفوس ،  
وليس فيهما قوة لا تجد مثلا في قول من يقول « كلذ لى بيت سمعته  
كذا من الأذرع . بابه على النيل ، وضوء الشمن يغشاه من جميع  
النوافذ ، الى آخر اوصاف المساحة .. » فما فرق بين قصص  
المعلومات والحماسة اذن ؟

واما سهولة العبارة فقد خلا النشيد من الكلمات المعجمة ولكنه  
تم عن اعتات المقيد المجهود فخففت فيه ثلاث همزات تخفيها معينا  
واستعصى الوزن ووالقافية على صاحبنا حتى صرر « سئلت »  
سيلت و « تهيا » « تهيا » و « شيئا » شيئا : نعوذ بالله من الشيء .

واما وضعه على لسان الشعب فهذا مطلعه :

بئن مصر مسكنكم تهيا فيها مهنيوا الملك هيا  
خنوا شمس النهار له طيما الـ تـكـ تـاجـ اوـلـكـمـ طـيـما  
على الـ اـخـلـاقـ خـطـواـ اـمـالـكـ وـابـنـواـ  
الـ يـسـ لـكـمـ بـوـادـيـ النـيـلـ عـدـنـ وـكـوـثـرـهاـ الـذـيـ يـجـرـيـ شـهـيـاـ  
قـعـنـ الـذـيـ يـأـمـرـ الـمـبـرـيـنـ هـنـاـ وـيـنـاقـشـهـمـ هـذـهـ المـنـاقـشـةـ ؟؟  
اـجـنـبـيـ يـخـاطـبـهـمـ وـيـنـشـدـ نـشـيدـهـمـ ؟؟

ولقد استوطأ شوقى مطية الفلسفة والمواعظ بعد أن ركب  
حمارها ببيت واحد سوقى المعنى وهو قوله :

**وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

فراح يجري عليه ذهاباً واياباً في كل مكان ومقصد . حتى طلع  
لنا بأذني حماره الفلسفى هذا في موعظته « على الأخلاق خطوا  
الملك » ولم يجد على الباب من يقول له : يمينك أو شمالك ..  
فكانما كان شوقى على رهان أن يخالف قواعد الأناشيد ما أمعنه ،  
وكانما لهذا أحرز السبق لا لأن نشيده كان كما وصفته اللجنة  
« أكفاها وأوفاها بالفرض وأجمعها للمزايا التي ينبغي أن تتسبق  
لنشيد قومى مصرى » فإنه لو وضعت الجائزة لمن يجرد نشيده من  
كل شرط يتسبق للأناشيد لما عرفنا كيف كان يسبق في هذا المضمار .

وفي المقطوعة الأولى خطأً تاريخيًّا ما أظرفه في نشيد أمة تفتخر  
بتاريخها القديم فإن الشمس لم تكن تاج الفراعنة كما يقول شاعر  
مصر وإنما كانت معبوداً لهم وكانوا يزعمون أنهم من سلالتها . وأما  
تاج الفراعنة الأول فهو تاج مزدوج جمعوا فيه بين تاج ملوك الصعيد  
وتاج ملوك الوجه البحري ويعرف شكله كل طالب من طلاب السنة  
الأولى في المدارس الثانوية ثم حدثت بعد ذلك تيجان كانوا  
يحلونها بصور الطيور المعبودة أو التي يرمز بها إلى العبادات ولم  
تكن الشمس قط حيلة لهذه التيجان .. فياحبذا النشيد تتلفى  
به أمة فيكون مطلعه عنواناً على جلهمها بتاريخها .

ولا يكلفنا القارئ أن نأخذ على شوقى مبالغته في قوله : « خدوا  
شمس النهار له حلياً » فإننا لا نحاسبه على كلمة له فيها وجه  
تأويل .

وأما المواقفة لكل زمان فاننا نرى الرجل قد حسب أننا سنظل  
طوال الدهر كدابنا في يومنا هذا ، فنظم لنا نشيداً لا نتخطى به في  
جميع العصور أن يتهيأ مكانتنا . وإن لا نبرح نشرع في التمهيد ونأخذ

في الاستعداد وتبداً برسم خطط الملك ونهم بتشييد الأرkan ، وما  
علمـنا شاعـراً قـومـياً يـطلبـ إـلـيـهـ أـنـ يـكـونـ فـالـأـمـةـ وـهـاتـفـ مـسـتـقـبـلـهاـ  
فـيـنـعـبـ فـيـهاـ نـعـبـ النـحـسـ وـيـنـذـرـهاـ جـمـودـاـ لـاـ تـزـحـزـ حـمـنـهـ أـوـ تـنـسـيـ  
نـعـبـهـ ، وـتـهـجـرـ التـرـنـمـ بـهـ . وـلـقـدـ عـرـفـ الـقـرـاءـ جـهـلـ شـوـقـىـ بـالـمـوـاـقـفـ  
مـنـ قـصـائـدـ الـأـنـفـةـ ، وـاجـهـلـ مـاـ يـكـونـ هـوـ أـذـاـ وـقـفـ مـوـقـفـاـ وـطـنـيـاـ أـوـ  
قـوـمـيـاـ . فـمـنـ دـلـائـلـ غـفـلـةـ الـذـهـنـ وـعـتـسـاـ الـبـصـيرـةـ أـنـ يـكـلـفـ «ـابـنـ  
بـجـدـتـهـ»ـ اـنـشـاءـ دـعـاءـ قـوـمـيـاـ ، أـىـ دـعـاءـ لـاـ يـعـوـقـ دـيـنـ مـنـ الـأـدـيـانـ أـنـ  
تـرـتـلـهـ فـيـ الـبـيـعـةـ أـوـ تـشـدـوـ بـهـ فـيـ الـكـتـيـسـةـ أـوـ تـصـلـيـ بـهـ فـيـ الـمـسـجـدـ ،  
فـيـخـيـلـ إـلـيـهـ أـنـهـ أـذـاـ جـمـعـ فـرـوـقـ الـأـدـيـانـ كـلـهـاـ فـيـ جـمـلـةـ وـاحـدـةـ فـقـدـ  
أـتـيـحـ لـهـ هـذـاـ فـرـضـ . فـيـسـتـشـفـعـ فـيـ دـعـائـهـ الـمـعـرـوـفـ «ـبـعـوـسـيـ الـهـارـبـ  
مـنـ الرـقـ ، وـعـيـسـيـ رـسـوـلـ الصـدـفـ ، وـمـحـمـدـ نـبـيـ الـحـقـ»ـ فـيـكـونـ  
مـاـذـاـ؟ـ؟ـ

يـكـونـ أـنـ الـأـسـرـائـيلـ يـحـرـمـ هـذـهـ الـصـلـاـةـ فـيـعـتـهـ لـأـنـهـ لـاـ يـؤـمـنـ  
بـعـيـسـيـ وـلـاـ مـحـمـدـ . وـأـنـ مـسـيـحـيـ لـاـ يـدـعـوـ اللـهـ بـهـ فـيـ كـنـيـسـتـهـ لـأـنـهـ  
عـلـىـ اـحـتـرـامـهـ دـيـنـ مـوـاـطـنـهـ الـمـسـلـمـ لـاـ يـعـتـقـدـ النـبـوـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، وـلـأـنـهـ  
يـدـيـنـ بـرـبـوـبـيـةـ الـمـسـيـحـ لـاـ بـرـسـالـتـهـ فـحـسـبـ . وـأـنـ الـمـسـلـمـ يـصـلـيـ بـهـ وـحـدـهـ  
فـكـانـهـ لـمـ يـشـرـ فـيـهـ إـلـىـ دـيـنـ غـيرـ دـيـنـهـ ، وـأـنـ الـدـعـاءـ الـقـوـمـيـ لـاـ يـكـونـ  
دـعـاءـ لـأـحـدـ مـنـ يـضـمـهـمـ قـوـمـ مـصـرـ .

وـلـوـ أـنـ طـاهـيـاـ صـنـاعـتـهـ تـجـهـيـزـ الـوـائـدـ قـيـلـ لـهـ أـنـ ثـلـاثـةـ مـنـ  
الـمـدـعـوـنـ فـيـ الدـارـ لـيـسـ يـشـتـهـيـ أـحـدـهـ طـعـامـ الـأـخـرـ ، فـعـمـلـ عـلـىـ  
أـطـعـامـهـ جـمـيـعـاـ بـعـزـجـ أـطـعـمـتـهـ كـلـهـاـ فـيـ صـحـفـةـ وـاحـدـةـ لـطـرـدـ مـنـ فـورـهـ  
فـأـعـجـبـ لـشـاعـرـ قـوـمـ يـغـفـلـ حـيـثـ لـاـ يـغـفـلـ الطـهـاـةـ وـيـغـرـقـ فـيـ غـفـلـةـ الـذـهـنـ  
حـتـىـ أـحـسـبـهـ أـحـيـاـنـاـ يـتـعـمـدـ الـأـمـعـانـ فـيـهـاـ وـيـطـرـقـهـاـ مـنـ الـبـابـ الـذـيـ  
يـفـضـيـ بـهـ إـلـىـ نـهـيـاـتـهـ . كـمـ يـعـشـ بـمـعـنـيـ بـدـيـعـ فـيـتـخـلـلـهـ وـيـتـصـاهـ  
وـلـاـ يـتـرـكـهـ وـفـيـهـ زـيـادـةـ لـمـسـتـزـيدـ . فـبـعـدـ أـنـ خـطـرـ لـهـ أـنـ يـجـمـعـ شـفـاعـاتـ  
الـأـدـيـانـ أـجـمـعـ كـيـ تـكـوـنـ شـفـاعـةـ لـكـلـ دـيـنـ ، عـمـدـ إـلـىـ لـصـقـ الـأـتـبـيـاءـ نـشـأـةـ  
بـمـصـرـ فـوـصـفـ الـوـصـفـ الـوـحـيـدـ الـذـيـ لـاـ يـنـاسـبـ هـذـاـ الـقـامـ ، وـالـذـيـ

لو كان هو وصفه الفد لا سواه لوجب السكوت عنه هنا . وصفه « بالهارب من الرق » فهل يدرك شاعر مصر من رق من هرب موسى ؟ ! انه هرب من رق المصريين الذين يستشعرون به !! وقد نجد في خفراء الريف كياسة تمنعهم أن يطلبوا الإقالة بما يذكر بالذنب ، او يتسلوا الى الشفاعة بما يتضمن الاساءة . فتبارك الله ملهم الخفراء وملجم الشعراء .

ودعاء شوقي ونشيد كلها معيار لتعبيره عن المعارف القومية فلا هو في الشعر ولا في النثر شاعر قومي موفق العبارة : وقد قرأتها لتشابه الخطأ فيهما وربما كان خطأه في النشيد أخف وأهون ، من حيث أن الأناشيد لا يصلى بها في المساجد والكنائس ، لا من حيث المزية الفنية والفضيلة المعنوية . بيد أنها لا ترى معنى لزوج الأديان في الأناشيد الوطنية ، فقد كان يكون أدل على الوفاق أن لا نجعل وفاق الأديان مباهة ومأثرة ، لأن المرأة يباهى بالشىء النادر أو غير المنظر وهذه الأمم المتحضرة والمتبدلة ليس فيها مذاهب مختلفة وعناصر متعددة ؟ فما بالها قد خلت أناشيدها من ذكر الدين ؟ أتراها لا تحب أن يكون الوفاق شعارا لها .

ولقد قدمنا أنها لا تقصد إلى الإفاضة في نقد النشيد ، فكنا نقارنه بما نعلم من الأناشيد الوطنية الشائعة فنظهر موضع المزية فيها وموضع التقصير فيها . أما وقد أخذنا من مساوئه ما أخذنا فليس يسعنا أن نهمل مأخذنا سمعناه من بعض الملحنين والظرفاء بعد عرض النشيد للتلحين : ذلك أنهم يستقبلون تلحين أحدهي مقطوعاته وهي هذه :

تطاول عهدهم عزا وفخرا

فلما آل للتاريخ ذخرا

نشانا نشأة في المجد أخرى

الخ الخ

ويقولون ان التنوين لابد ان يسقط في الانشاد فيخلفه المد وترجع الصوت فاذا انتهى المنشد مثلا الى كلمة « فخرا » ومد بها صوته ورجعه فما رائحة تفوح منها ؟ وهل يطاق بعد ذلك سماع النشيد والتخايل بفخره والتمجد بمعناه ؟ ولستنا نحن من يبالي بهذا النوع من النقد ولكننا نعذر المنشد في موقفه والملحن في صنعته

نقول : هذا هو النشيد الذى « يبقى لحركة هذه الامة شعارا ، ويتحذى للحوادث الوطنية على وجه الزمان منارا » كما تقول اللجنة – نشيد لا يرضى عنه الشاعر ولا الموسيقى ولا المتفنى ، ولم يقرأه احد فيما علمنا الا عجب من تفضيله على النشيد الثاني ومن اجراء اللجنة على تقديمها معا الى الصحف غلوا منها في استجهال الناس وببالفة في احتقار رايهم . ولا اخفى عن القارئ اننى ما كنت اظن في جمهور قراء الادب استقلالا يقاوم تأمر المحكمين والصحافة وسماسرة المجالس حتى رأيت الاجماع على الشك في حكم اللجنة ونرموا الى احلال نشيدها المختار في محل الثاني من النشيدتين المنشورتين ، وفي هذا الاستقلال امل نفتبط به ونحمد بشائره .

عياس محمود العقاد

## النشيد القومي

رأينا ان ننشر هذا النشيد بعد ما كتبناه عن نشيد شوقي ليقارن القراء بينهما ويعلموا ما الذى يخشأه شوقي من التغات الذهان الى غيره . فان صاحب النشيد المنشور هنا شاب لم يظهر بعد شيئاً من شعره للقراء وشوقى يعلم طباق الأرض باسمه كل يوم منذ نيف وتلتين سنة ، ومع هذا فالفرق بين النشيدتين لا يخفى على أحد . وقد اتصل بنا انه كان ثالث الانشيدات التى اختارتها الجنة فاذا حسينا للمحاباة حسائهما جاز ان نقول انها حكمت بتفضيله على نشيد ( كبير الشعراء ) ويرى القارئ التفاوت بين النشيدتين حتى في الخصلة التى اشتراكا فيها فان مخاطبة الشعب هنا أشبه بمناجاة النفس وهي في نشيد شوقي مخاطبة اجنبي معزز للشعب الذى يناديه . وهذا هو النشيد :

يا بنى النيل واحفاد الالى  
اطلعوا الفجر لتاريخ قديم  
رفعوا الاهرام والعالم لا يبتهنى  
 الا خصاصا من هشيم  
اذكروا ان ثرى هذا البلد  
من تجالييد الجنود العظماء  
لا تطهرا ارجل العادى الالى  
وبكم ابناءهم بعض الدهماء  
تربيها التبر المصفى المنتقد  
لا الذى يقنى الشحاح الادنماء  
فامنعوا وكنزكم ان يبذلوا  
او تعيشوا عمركم عيش عديم

لن تروا في الأرض عنـه بـدلا  
ما لكم كـنـز سـوى هـذا الـادـيم

\*\*\*\*\*  
اذـكـروا انـ عـلـيـكـم وـاجـبـا  
لـبـنـيـنـا فـي بـطـنـونـ الـاعـصـرـ  
فـاحـفـلـوا هـذـا التـرـاثـ الـوـاصـبـاـ  
فـهـوـ حـقـ الـوـارـثـ الـمـتـظـرـ  
نـتـقـاضـيـ الـأـرـثـ عـصـراـ ذـاهـبـاـ  
فـلـنـصـنـنـهـ لـلـعـصـورـ الـأـخـرـ  
سـنـنـؤـدـيـهـ يـلـيـهـ أـكـمـلـاـ  
لـمـ يـفـيـرـهـ زـمـانـ اوـ خـصـيمـ  
فـحـمـيـ مـصـرـ تـحـسـامـهـ الـبـلـىـ  
وـبـنـوـهـاـ خـيـرـ مـنـ يـحـمـيـ الـعـرـيـمـ

\*\*\*\*\*  
اذـكـروا حـاضـرـكـمـ كـيـفـ يـقـامـ  
لـيـسـ يـغـنـيـنـاـ تـلـيـدـ الـقـدـماءـ  
مـاـ التـهـاـئـيلـ الـمـهـيـبـاتـ الـجـسـامـ  
وـأـبـوـ الـهـوـلـ رـهـينـ الصـحـراءـ !ـ  
مـاـ الـمـسـلـاتـ عـلـىـ بـابـ الرـجـامـ  
وـالـنـوـاـيـسـ وـفـيـهـاـ الـمـوـمـيـاءـ !ـ  
مـاـ عـظـيـمـ تـالـدـ مـنـ الـعـسـلـاـ  
فـيـ ثـنـيـاـيـاـ حـاضـرـ غـيرـ عـظـيـمـ !ـ  
فـاجـعـلـواـ عـهـدـ الـعـسـلـاـ مـتـصـلـاـ  
كـاتـسـاقـ الدـرـ فـيـ الـعـقـدـ النـظـيمـ

\*\*\*\*\*  
اذـكـروا مـهـمـاـ بـلـفـتـمـ سـنـدـاـ  
أـنـكـمـ لـمـ تـبـلـفـواـ أـوـجـ الـكـمـالـ  
أـبـصـدـواـ فـوـقـ الـمـنـالـ الـمـقـصـداـ  
فـبـنـوـ الشـمـسـ لـهـمـ أـقـصـىـ الـمـنـسـالـ

كم عبسنا قرصها التقى  
فاتقى في حماس ونصال  
نبتى الهيكل يتلو الهيكل  
خالدا في ساحة الرمل مقىم  
وسيبقى موطن الشمس الى  
يوم لا يبقى لها قرص ضريم

اذكروا ان التفانى والفلاب  
في سبيل المثل الاعلى البعيدة  
نشا فيكم واتم من تراب  
شعـلة غراء من معنى الخـلـود  
شعـلة تجلـو عن الحق الحـجـاب  
وتصـفـي النفس من رجـس الـوـجـود  
فـاضـرـمـوا في النفس هـذـى الشـعـلـاـ  
اضـرـمـوها تـكـفـلـوا الفـوزـ العـمـيمـ  
مـثـلـمـاـ اـضـرـمـتـ النـارـ عـلـىـ  
مـسـبـحـ الـرـبـ بـمـحـرـابـ كـرـيمـ

اذكروا ذلك وامضوا قدما  
لا تكون وجهتنا غير الامام  
تردجـيـنـاـ دـقـةـ القـلـبـ كـمـاـ  
يـقـرـعـ الطـبـلـ لـجـرـارـ لهـامـ  
فـنسـوـغـ الموـتـ ذـوـداـ لـلـحـمـيـ  
ونـذـيلـ الـعـمـرـ سـعـيـاـ وـاعـتـزـامـ  
فيـحـقـ نـحـنـ اـحـفـادـ الـاـلـىـ  
اطـلـعـواـ القـبـرـ لـتـارـيـخـ قـدـيمـ  
رـفـعـواـ الـاـهـرـامـ وـالـعـالـمـ لـاـ يـبـتـنـىـ  
الـاـ خـصـاصـاـ مـنـ هـشـيمـ

عبد الرحمن صدقى

## صفر الأعيب (١)

شکری صنی ولا کلاصنام . ألت به يد القدر العابثة في رکن خرب على ساحل الیم - صنم تمثل فيه سخرية الله المرة وتهكم « أرستفانیز السماء » مبدع الكائنات المضحكة ورازقها القدرة على جعل مصابها فکاهة الناس وسلوانهم . و - لم - لا يخلق الله والمضحكات وقد آتى النفوس الاحساس بها وأشعرها الحاجة إليها ؟؟ ولم يتلزم في الانسان مالا يتلوخى في سواه من وزن واحد وقافية مطردة ؟؟ .

هناك اذا على ساحل البحر شاءت الفکاهة الالهية ان ترمي بهذا الصنم . وکأنما أرادت أن تبعث على تدبر القدرتين : هنا تبیح مزيد وابد لا يحد ، وموج لا يکاد يقبل حتى يرتد ، وحياة متتجدة وأوذى متوبثة متولدة - وھننا نفس خامدة وقوه راکدة وجبلة باردة جامدة . لا تمتد يدها الى الشمار تهملت بها غذبات الأشجار ، ولا بملأ صدرها حسن الاصال وروعة الاسحار . ولا يستجیش الحياة في عروقها منظر الكمام تتفتح عن آنق الأزهار ، او الفمائیم ترسم في صفحة السماء المقلوبة ابھی الصور او الخضراء في مستهل الربيع تکاد العین « ترى » ذیوعها وانتشارها بل « وتبها » من شجرة الى شجرة ومن عود الى فنن حتى تعود الحقول الى آخر مدى البصر بحرا مائجا من الزبرجد ، لا ولا ينبه شعورها الزهر

في الصباح البليل وقد اثقلت اكمامه الانداء فتساندت رؤوسها  
كأن سربا من العذارى على الماء بوغتن فتزاحمن تحت ثوب أبيض .

كلا ليس في كل مغامن الطبيعة وروائع الحياة ومعاناتها ما يحرك  
هذا الصنم لأن باطنها شاعت فيه لعنة السماء فعاد أشقي الناس  
نفسه وصار لا ينقده منها وما منته به من صنوف البلاء الا ان  
تهدمه فؤوس الكاشفى طبقات التراب عنده . وليت تراب الخمول  
لم يرفع عنه فقد ولد ميتا ولم يجد نور الحياة وحرها ولا اغنية  
عنه من جمود طبعه شيئاً وان كان وهو ملقي بين انقضاض حياته  
يتوهم انه ملهم الموج بسياطه ومدير الافلاك بتدبره وحكمته .  
يقول كلما اعجبه شكله او حاله او آثاره بهذه واهماهه « انا الـ  
الـشـعـر » فتلطمهـ الـرـيـاحـ وـتـدـحـرـ جـلـهـ عـلـىـ اـفـرـيـزـ الـبـحـرـ وـتـرـمـيـهـ  
الـاـمـوـاـجـ بـرـشـ منـ سـخـرـهـ وـتـسـكـ اـنـقـاـهـ بـرـعـدـ منـ ضـحـكـهـ فـمـاـ اـجـلـهـ  
مـنـ الـهـ يـتـضـاحـكـ بـهـ كـلـ شـىـءـ حـتـىـ الـهـوـاءـ وـالـمـاءـ !ـ وـلـنـاسـ الـعـلـوـ  
اـذـاـ كـانـوـ اـسـلـمـ فـطـرـةـ مـنـ اـنـ يـكـتـرـثـواـ لـدـعـىـ اـخـرـسـ لـاـ يـنـطـقـ وـلـاـ يـبـيـنـ  
وـاـذـاـ تـرـكـوـهـ غـارـقـاـ فـطـوـفـانـ مـنـ الـاـوـحـالـ الـنـفـسـيـةـ مـدـفـوـنـاـ فـقـبـرـ مـنـ  
بـكـمـ الـعـجـيبـ .ـ وـاـيـ بـكـمـ أـعـظـمـ مـاـ أـصـيـبـ بـهـ هـذـاـ الـنـكـودـ الـذـيـ  
لـاـ يـكـفـيـهـ اـنـ يـدـعـىـ النـطـقـ حـتـىـ يـرـيدـ اـنـ يـكـوـنـ شـاعـرـاـ وـنـبـيـاـ فـنـيـاـ  
وـرـسـوـلاـ بـدـيـنـ هـدـاـيـةـ فـيـ الـادـبـ ؟ـ

وـأـنـتـ أـيـهـاـ الـقـارـىـءـ قـدـ تـعـلـمـ اـنـ سـرـ النـجـاحـ فـيـ الـادـبـ هـوـ عـلـوـ  
الـلـسـانـ وـحـسـنـ الـبـلـاغـ وـقـوـةـ الـاـدـاءـ وـانـ عـلـىـ مـنـ يـرـيدـ اـنـ يـشـرـحـ دـيـنـاـ  
جـدـيدـاـ «ـ لـاـطـفـالـ »ـ هـذـاـ الـعـالـمـ اوـ اـنـ يـحـدـثـهـ بـمـاـ اـحـبـ اـسـلـافـهـمـ فـيـ  
سـالـفـ الـزـمـنـ اوـ بـمـاـ يـلـذـهـمـ اـنـ يـحـبـوهـ لـوـ عـرـفـوـهـ اـنـ يـذـكـرـ اـنـهـ لـمـ  
يـتـعـلـقـوـاـ بـهـ بـعـدـ وـلـاـ اـسـتـطـعـمـوـهـ فـاـسـمـراـوـهـ وـاـنـهـ لـكـيـ يـغـرـيـهـ بـهـ يـنـبـغـيـ  
لـهـ اـنـ يـتـوـخـىـ الـقـوـةـ فـيـ الـعـبـارـةـ عـمـاـ يـرـيدـ فـاـنـ النـاسـ خـلـيقـوـنـ اـنـ لـاـ  
يـؤـمـنـوـاـ اـلـاـ بـمـنـ عـمـرـ صـدـرـهـ الـإـيمـانـ .ـ

وـقـلـمـاـ ظـهـرـ كـاتـبـ اوـ شـاعـرـ اـلـاـ بـالـاـدـاءـ وـكـثـيرـاـ مـاـ يـمـتـازـ بـعـضـ

الكتاب وتخلد آثارهم لما أوتوه من القدرة على اجاده العبارة عن آراء غيرهم كأبي اسحاق الصابيء كأبي الملك والامراء وان كان لا محل لهم بين المفكرين وأصحاب العقول الكبيرة الذين تكون آراؤهم بمثابة محور انقلاب في تاريخ العقل الانساني والذين يستطيعون أن يستغنووا إلى حد ما عما لا مسمح للاديب عنه . وعلى قدر ابعاد الكتابة عن مجال التفكير البارد ودونها من ميدان الذهن المشبوب والعواطف الذكية تكون الحاجة إلى ضرورة فن الاسلوب .

ولعل هذا أكبر الاسباب التي افضت إلى خمول شكري وفشله في كل ما عالجه من قنون الادب لانه لا اسلوب له اذ كان يقلد كل شاعر ويقتبس بكل كاتب وينسج على كل منوال وحسب المرء أن يجعل نظره في كلامه ليدرك ذلك اذا كان على شيء من الاطلاع فاذا لم يكن فهو لا يعييه ان يرى أن يستعمل اللغة جزاها ويكتيل « توافق وتباديل » كما يقول الرياضيون – من الكلام غير واضحة ولا مؤدية معنى بعินه ويسطر على الطرس أصداء متقطعة لاصوات مألوفة لا رموزا منتعة لتمثيل المعنى واحضاره . وسنمثل لكل ذلك في موضعه من هذا النقد .

ويخيل اليها أن شكري على كثرة الشكوى في شعره من الخمول وحقده على اغفاله الناس أمره كما هو ظاهر من قوله :

قد طال نظمي للأشعار مقتدا (٢) والقوم في غفارة عنى وعن شانى  
هنى المعانى تناجيهم فما لهم لا ينصنتون بافهمام واذهان؟

وتعزى به بأن الزمان سينصفه وبديل له من خصومه وظهوره  
بالاطمئنان إلى حكم الأيام في قوله :

لرمى بشعري في حق الزمان ولا أبیت منه على هم وبليال  
مجاراة للمتنبى وتقليدا له في قوله :

انام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختتم

نقول يخيل اليانا ان شكري لو شاء لفطن الى سر هذا الخمل  
وعلة ذلك الاهمال ولعرف ان داءه كامن فيه وان الناس لا ذنب لهم  
فقد بحثوا في شعره على شيء جليل يروع او حسن يلذ ويُمتع او  
مستظرف يلهي ويسلى وتقطع به ساعات الفراغ وأوقات البطالة  
فلم يجدوا عنده غناءهم والغوه يريده أن يجعل نفسه هزوة السخافاء  
وضحكه الفارغى القلب والعقل جميماً . ولقد كان هيئى الشاعر  
اللامانى الجليل يسخر من نفسه ولكنه كان بذلك يسخر بالانسانية  
كلها ممثلة في شخصه ولا يسع كل قارئ الا أن يحس انه أصاب  
موضع الداء . أما شكري الذى أراد أن يقلد هيئى والذى زعم ان  
العالم يفقد بعوته ساخراً عظيماً وذلك حيث يقول :

وان «ادرج» في قبرى      قتيل الحب والياس  
فمن يصدح بالشعر      ومن يسخر بالناس

هذا الساخر العظيم والصيبح الفريد والرسول الجليل  
لا يطمع في منزلة ملحوظة ولا تشرب آماله الى سمو قلق وانما  
غاية ما يرجو في حياته ان يفوز به على قدر ما استطعنا ان نستوضح  
غرضه من ايماءاته الخرساء - وكل ما يقنع به ويسكن قلقه وتهدا  
ثورته اذا بلغه هو ان «تمر به الحسان فترتضيه» !! هذا هو دينه  
الذى يدعى الناس الى عبادته ولا ينفك يشكونهم الى الزمان  
ويشتمهم ويرميهم بالفباء لأنهم لا يستمعون اليه . اليس هو القائل  
في بعض هرائه اذا لم يكن الناشر قد نحله ذلك نكأة فيه :

كفى من نبيه الذكر انى تمر بي الحسان فترتضينى

ولا ادرى ماذا يرتضين منه ؟ لعله يدعى بعد الشعر والتربيز  
فيه انه جميل ؟ وكيف تمر به وترتضيه ؟ هل اقام نفسه في معرض  
تمر به فيه وتجسسه بعيونها واكفها كما يفعل الصبيان باللعبة  
والصور ؟ وما ذنب نصف الناس على الأقل اذا كانت هماتهم  
ومساعيهم وآمالهم تتأى بهم عن دائرة الضيقة .

وعلى انه عجز عن ايضاح هذا الفرض الضئيل اذ من الذى  
يستطيع ان يفهم شيئا من ارتضاء الحسان له ؟ ومع ذلك لا يترجح  
ان يقول في نفس القصيدة التي انزل فيها دينه على الناس واطلقها  
من قيود القافية - والوزن احيانا - لكيلا يعوقه عن التحدى شيئا  
معاتبا الغرام :

**أنقصينا ونحسن مقربيونا**

**من التبيان والأدب القصري**

ولعمري ما عدا الواقع في قوله انه مقرب من البنية والأدب  
ولكن التقرب منها شيء وورود شرعيتها شيء آخر ، وهل بل طرف  
لسانه من معينهما الفياض من يقول :

**وفي السعي شيء يعوق الطماح فيخطى الأجل ويصمى الأفلا**  
ولو سئل هو نفسه في معناه لصافت عليه مذاهب العول و من  
يقول في صفة المشنوق :

**صافت الأرض عن ماتم فاء تاض عنها برقة الماحود**

كأنما حسب المرزوء في عفله - أن كل ما فهمناه من البيت هو  
المقصود - أن المشنوق سيظل معلقا في الفضاء إلى الأبد أو أن  
الارض تضيق عن شيء من الماتم او المحامد او أنها هي التي لفطته  
واعلته لتمكن حضرته من وصفه . ومن العجيب والذى يدل على ان  
شكري متكلف لا مطبوع وأن ما يزعمه من انه من اهل المذهب الجديد  
ف الشعر باطل انه هو نفسه قال ينبع على المتأخرین حماقاتهم  
وسخافة مناخيهم .

« و اذا صلب احد الامراء قالوا ان قاتلية اجلوه فلم يرضوا له  
القبر وينشدون أبيات الانباري التي يقول فيها :

**ولما صار بطن الأرض عن ان يضم علاقك من بعد الماتم  
اصاروا الجو قبرك واستعاضوا من الاكفان ثوب الساقيات**

ويقولون انظر الى مهارة الشاعر في قلب الحقائق واظهار الديميم  
مظهر الحسن .. وليس ادل على جهل وظيفة الشاعر من قرنه  
الشعر الى الكذب وليس الشعر كذبا بل هو منظار الحقائق ومفسر  
لها وليس حلاوة الشعر في قلب الحقائق بل في اقامة الحقائق  
المقلوبة ووضع كل واحدة منها في مكانها الخ .

فما احلى هذا الكلام واصدقه وما ابعد قائله عن العمل به  
وأدناه الى المتأخرین الذين سخوا الشعر « حتى صار » كما يقول  
« كله عبنا لا طائل تحته » او ما جدره ان يكف عن دعواه انه من رجال  
المذهب الجديد في الشعر وهو لا يقلد الا السخفاء من القدماء  
باعترافه . اترى هذا المفتون يحسب انه يستطيع ان يخدع الناس  
بهذه النظريات التي ينقلها ولا يفهمها اذ لو كان يفهمها ويؤمن بها لما  
كان شعره من النوع الذي ينعاہ على سواه ويعيبهم به . ام ظن انه  
يكتفى ان يلوك المرء جملا كالببغاء ليكون في نظر الناس حديثا سائرا  
مع الزمن مهديا فرائض الحياة ؟ يظهر ان هذا هو الذي يعتقد  
شكري فيما تراه يقول في مقدمات ديوانه « ان الشاعر الكبير ( مثله  
بالبداهة ) يخلق الجيل الذي يفهمه ويهيئه لفهم شعره » ترى له  
في بعض الدواوين يصف ليلة ذكرها :

**بيت الندى فوق الزهور مرقرقا**

**كما انبثط الطل الرقيق ليقطرا**

او قوله في فلسفة « تزلاج النقوس » :

**والنفس للنفس زوج طاب عرسهما**

**ومهرها العب لا يفلو لها المهر**

من لي بنفس ادی نفسی بها مزجت

**كما تمازج في ودياتها الفساد**

**والنفس في عيشها شتى منافئها**

**منها القلوب ومنها السمع والبصر**

( المقصود هو البيت الآخر ) فـأـيـ جـيلـ يـرـيدـ هـذـاـ المـائـقـ أـنـ يـخـلـقـهـ لـيـفـهـمـ هـذـهـ السـخـافـاتـ ؟ ( بـضمـ السـيـرـ كـمـاـ يـنـطـقـهـاـ هـوـ ) أـمـاـ كـفـيـ أـنـ فـيـ الدـنـيـاـ سـخـيـفـاـ مـثـلـهـ حـتـىـ يـطـلـبـ أـنـ يـوـجـدـ مـنـ أـمـثالـهـ جـيلـ بـرـمـتـهـ ؟ وـأـيـ بـلـيـةـ تـكـوـنـ شـرـاـ عـلـىـ الـعـالـمـ مـنـ هـذـهـ ؟ وـأـيـ خـطـبـ يـكـوـنـ أـدـهـيـ وـأـعـظـمـ مـنـ وـجـودـ جـيلـ كـلـ تـفـكـيرـ أـهـلـهـ مـنـسـوـجـ عـلـىـ مـنـوـاـلـ :  
الـقـائـلـ :

كـانـاـ وـالـمـاءـ مـنـ حـولـنـاـ قـوـمـ جـلوـسـ حـولـنـاـ مـاءـ !  
وـقـدـ يـكـوـنـ مـنـ الـمـسـتـحـسـنـ قـبـلـ أـنـ بـخـرـجـ مـنـ هـذـاـ التـمـهـيدـ الـىـ  
الـنـقـدـ التـفـصـيـلـيـ أـنـ نـوـرـدـ لـلـعـرـاءـ مـثـلـاـ لـشـعـرـ السـخـرـ الـذـيـ يـبـاهـيـ  
بـهـ قـالـ :

قـذـالـهـ لـوـ جـزـتـهـ أـقـرـعـ  
لـعـاهـاـ مـنـ خـلـفـهـ تـرـفـعـ  
لـكـنـهـ مـنـ خـلـفـهـ أـقـرـعـ  
وـحـسـرـةـ مـاـ خـلـفـ الـمـطـلـعـ  
فـانـمـاـ يـصـلـعـ اـذـ يـصـفـ  
وـانـمـاـ يـقـرـعـ اـذـ يـقـرـعـ  
فـاطـلـ قـفـاهـ بـمـدـادـ لـعـلـ اللـوـنـ مـنـ رـوـقـتـهـ يـخـدـعـ  
وـغـضـ عـنـهـ نـظـرـاـ وـاعـيـاـ  
فـانـمـاـ يـعـدـيـكـ مـاـ يـطـبـعـ  
فـخـيـرـ مـاـ يـجـدـيـ لـكـ الـبـضـعـ  
وـقـدـ يـضـيـرـ الـمـرـءـ مـاـ يـنـفـعـ  
بـالـرـغـمـ مـنـ صـسـاعـتـهـ أـرـوـعـ  
فـانـهـاـ مـنـ خـلـفـهـ تـلـمـعـ

ناـصـرـ صـرـوـفـ الـدـهـرـ مـسـتـقـبـلـاـ  
فـعـزـ مـنـ لـتـهـ خـصـلـةـ  
فـالـدـهـرـ إـنـ أـقـبـلـتـ ذـوـ لـمـةـ  
مـطـلـعـهـ مـشـلـ طـلـوـعـ الـنـىـ  
وـلـاـ تـرـمـ بـالـنـمـ صـفـعـاـ لـهـ  
قـرـاعـهـ مـشـلـ قـرـاعـ الـظـبـيـ  
فـاطـلـ قـفـاهـ بـمـدـادـ لـعـلـ اللـوـنـ مـنـ رـوـقـتـهـ يـخـدـعـ  
وـغـضـ عـنـهـ نـظـرـاـ وـاعـيـاـ  
وـانـ جـرـىـ فـيـ الدـمـ كـسـرـهـ لـهـ  
جـمـاـمـةـ لـاـ شـكـ فـيـ نـفـعـهـاـ  
وـلـاـ تـعـفـ صـحـبـتـهـ اـنـهـ  
وـاحـنـ لـهـ الرـاسـ لـكـيـ لـاـ تـرـىـ

وـنـحـنـ اـنـمـاـ نـمـثـلـ لـبـكـمـ هـذـاـ الـمـسـكـيـنـ وـلـاـ نـسـتـقـصـيـ مـخـافـةـ اـنـ  
نـحـتـاجـ اـلـىـ تـقـلـ كـلـ شـعـرـهـ عـلـىـ التـقـرـيـبـ . وـنـقـولـ عـلـىـ التـقـرـيـبـ  
لـاـنـ لـهـ أـبـيـاتـاـ مـبـعـثـرـةـ فـيـ أـجـزـاءـ دـيـوـانـهـ السـبـعـةـ لـوـ كـانـ كـلـ شـعـرـهـ  
عـلـىـ مـثـالـهـاـ مـنـسـوـجـاـ عـلـىـ مـنـوـاـلـهـاـ لـصـارـ صـنـمـاـ مـعـبـودـاـ  
لـاـ مـنـبـوـذـاـ كـمـاـ هـوـ الـآنـ . وـمـاـ بـالـعـجـبـ اـنـ يـكـوـنـ لـهـ بـضـعـةـ اـبـيـاتـ

مفهومه فانك لو جلست ساعة الى مجذون ابله لجري لسانه بجملة او جمل تلمع فيها اثر العقل . وان كان لم يفكرو في مبلغها من الصواب وحظها من السداد . وللعقل الداهل المضطرب انتباهات فجائية لعلها من اقوى الدلائل على الرزء فيه وقد جمع صاحبنا الى البكم الذي مثلنا له ضعفا في الذهن واضطراها في جهاز التفكير لم تنفع في معالجتها كثرة القراءة والاطلاع على خير ما انتجه العقول . وقد يعلم القارئ او لا يعلم ان الاطلاع قلما يجده اذا كان الاستهدا مفقودا وكان الذهن غير مستو او صالح « لهضم » ما يتلقاه والانتفاع به وتحويله الى فكرة مكونة من امتراح الجديد بالوجود - كالمعدة الضعيفة لا ينفعها ان تزحمها بالوان الطعام وكثيرا ما يكون الاقبال على الكتب والولع بها نوعا من الشره تحول من المعدة الى الدماغ . وما عدنا بقولنا هذا ما وصف به نفسه حيث يقول « ويتميز الشاعر العبرى ( يعني نفسه ايضا ) بذلك الشره العقلى الذى يجعله راغبا في أن يفكر كل فكر » ولكن ما به ليس من هذا القبيل وشرهه لا يجعله يحس الا بالحاجة الى قراءة كل كتاب لا الى التفكير . هذا هو ما يعانيه شكرى ولعله من اسباب ضعفه العديدة فانه يقرأ حتى كتب العفاريت وقصص السحرة والردة والجنان ما وقع في نفسه من ان هذا حقيق ان يقوى خياله ويحمل له اجنحة يحلق بها في سماء الشعر وفاته هو وأمثاله ان الخيال يجب ان يطير بجناحين من الحفيفة وان كل كلام ليس مصدره صحة الادراك وصدق النظر في استشفاف العلاقات لا يكون الا هراء لا محل له في الادب ومتى كانت حمى الحواس وهذيان العواطف وضعف الروح تعيش في عالم الشعر ؟

وليس في الوضوح وقوه الاداء وحسن البيان ما ينفي العمق لأن العمق ليس معناه الفموض . فليكن الشاعر عميقا كما يشاء ولكن مع الوضوح والجلاء اذ ايهما احوج الى النور يراق عليه ويكتشف عنه ما تلمسه اليد وهي تمتد وتعثر به الرجل وهي تخطو

أم ما يقوص عليه المرء في أغوار الفكر ؟ فكل غموض دليل اما على المجز عن الأداء او التدجيل او استبهاه الفكر في ذهن صاحبها . على أنه من افحش الخطأ وأضره بالاستعداد وأشده افسادا للفطرة ان يتلطف المرء غير ما أعدته له طبيعته وأن يعالج محاكاة النسور اذا كان طوقه لا يتجاوز دبيب النمال فان العقل الصغير اذا التزم حدوده وقام بما يستطيعه على الوجه الصحيح قد يصل الى غايتها من طريقه ولا يجس الحاجة الى قوة العقل الكبير .

وقد ركب شكري هذا الجهل فتكلف ما لا يحسن واراد أن يكون شاعرا وكاتبا من الطراز الأول وظن ان الاجتهاد يفني غناء الاستعداد فلا هو بلغ اية درجة مما طمع فيه ولا هو ابقى على خلقه الوداع وقناعته بمبسوط العيش ومنزل انزله الله وحال البسيه ايها .

ولما كان السقم في الكلام مرده السقم في الذهن فسنبدأ نقدنا بالدليل الضمني المستخلص من كتاباته على اتجاه ذهنه ثم نعقب ببيان الفساد الذي اكتظت به داولينه ونختتم الكلام بتقصي سرقاته وافاراته على شعراء العرب والغرب جمیعا .

\* \* \*

لا نقول ان شكري مجنون فنحن ارفق به من أن نصدمه بذلك واعرف بحاله وبأمراض العقل من أن نهيجه الى الخبال بالايحاء والتذكير والالحاح ولكننا نقول ان ذهنه متوجه ابدا الى هذا الخاطر - خاطر الجنون - وان فكرته مائلة لجو حياته والخوف منه منفص عليه كل ذاته وعلالاته وانه حتى في طعامه يتلوخ ما يظن او يقال له انه يكفل ابقاء هذه النكبة او يساعد على المقاومة كالسمك والبيض والمخ واشباه هذه الالوان - وان ذكر هذا اللفظ على مسمع منه يدخل في روعه أنه هو المعنى به فيمترى - ولا يخفى أن اتجاه الذهن له دلالة خاصة وهو قرينه قلما تخطى اذ لما ينصرف المرء

الى خاطر بعينه لا يعوده في روحانه وغدرااته وفي طعامه وشرابه ويقطنه ومنامه وفي أقواله وكتاباته من شعر ونشر – أو منظوم ومنتشر على الأصح – ولكن اتجاه الذهن لا يصح أن يؤخذ به وحده في البث لأن المرء صائر لا محالة الى آخر الطريق . واكثر أهل الذكاء فضلا عن العظاماء فيهم شيء كثير من الشذوذ والجنون والعقريّة بسبيل وهم في الحقيقة صنوان وحالات العقل فيهما متماثلتان ، فالعقرى ذهنه مكظوظ بالآراء حافل بالذكريات يتمضض ابدا عن ادراك علاقات بين الحقائق والأصوات والألوان لا تفطن اليها عقول الاوساط . والجنون في ذلك نده وقربيه وكلاهما ترجع مميزات تفكيره وعمله الى فرط النشاط في بعض نواحي المخ أو فتورها أو قابليتها للتنبيه والتهيج وكثيرا ما تنقلب العقريّة جنونا والجنون عقريّة . وقد فطن الاقدون الى هذه العلاقة ومحوها وان كانوا لم يتقصوا كالمحدثين غير أن جنون العقريّة منتج يخرج – كما يقول افلاطون – الشعرا والمخترعين والانبياء أما الجنون المألف فهذا عقيم نعيم صاحبنا شكري منه . ولا ينبغى أن يتوجه احد أن العقريّة هي الجنون فليس أفحش من هذا الخطأ ولا اقتل من ذلك الظن لأن العقريّة قوة زائدة عن نصيب الرجل العادى وقلما يؤتها المرء ولا يصحبها نوع من الاضطراب في التوازن العقلي والعصبي .

قلنا ان ذهن شكري متوجه الى هذا المعنى وقد يكون هذا غير راجع الى علة أصلية فيه الى ما يجثم نفسه من المتابع ويحمل عليها ويرهقها به كان يكتب جزءا من ديوانه في شهر واحد حتى كأنما هو ماجور على ذلك ومشروط عليه ان يتمه في وقت محدود . وقد كانت نتيجة ما اصابه من الكلال ان حدثته نفسه باحرارقه بعد طبعه ومع ذلك لم يعمل بتصحيحتنا ولم يعط نفسه حظها من الراحة ولا عرف لجسمه وجهازه العصبي حقهما عليه وظل يخرج للناس الجزء تلو الجزء كأنما يخبي ان يخرب به المرض ويوجف

يُعقله الداء فلا يستطيع أن يصلح بالشعر ويُسخر بالناس » !!  
وماذا أجناء كده ؟ كان كل جزء يصدر فكأنما هو حجر وقع في بئر  
فلا هو « صلح » ولو في حمام ولا استبقى قوة جسمه واستواء  
عقله .

والى القراء أمثلة لذلك . قال من قصيدة « الحب والموت » ،  
هنيئي الى وجه الحبيب جنون جنون يهيج القلب وهو شجون  
وقال من قصيدة الدفين الحى :

فهاج هياج الشر في الأسر طرفة وادركه حتى الممات جنون  
وقال من قصيدة غاية الحب :

وان كنت عذى جئت بالعقل والحبى  
وان لم تجيء فالقلب مجنون ثائر

ولكن وجئتى منك جن جنونه فها أنا من حبى بحسنك هاتر  
وقال في « طبع الإنسان » :

أن بالبرء جنسونا جاعلا نوبة للشر فيه تختتم  
لا ينال البرء من نوبته او يذيع الشر منه والالم

وقال من « مرآة الضمائر » وكان له في البيت معاذى عن  
لفظ الجنون :

وفي كل وجه من جنون ومن اذى ملامح لا تخفي تناذيك بالجهر  
اذ من الذي يستطيع ان يدعى ان في كل وجه ملامح من الجنون  
ظاهرة ناطقة ؟ ومن غير السكران يحسب كل امرئ غيره سكران ؟  
وقال من قصيدة « سلوان الجنون » :

فسي ان تجسّن النفس فيكم جنسونها  
فلا ذكرة تصبى ولا فكر يخطر  
فإن جنسون النفس سعد وراحة  
وان عناء الحب ذاك التذكرة

فانساد حتى لست ادرى اعائش  
على الارض تسمى لم دفين عفس  
فان يبلغ الحب الجنون فلا تلم  
اما كل مجنون على الهجر يطير  
وقد كان له مندوحة عن تمنى الجنون وكان في وسعه ان يطلب  
الموت او السلوان ولكنه لشقوته يحسب ان المجانين سعداء لا يكره  
احدا منهم خاطر ملح او وهم جائم ولو انه سأل طبيبه لمعرف منه  
ان بعض المجانين يعذبون أنفسهم بما يتخيلون وانهم كثيرا ما يخلقون  
لأنفسهم جحينا من الأوهام يصلونها على انا لا ندرى من اين جاءوه  
ولماذا ظن ان حبيبه سيلومه ويعاتبه على الجنون اذا بلغ الحب ذاك  
ولكنه معدور على هذه السفسطة على كل حال والناس كذلك  
معدورون اذا لم يقرعوا نظمه .

وقال من قصيدة « صنم الملاحة » :  
بلغ الغرام الى الجنون فلا عتاب ولا نعم  
وقال من قصيدة « الحسود » :  
وادركه مس الجنون واظلمت عليه السماء والنهار جميل  
ومن قصيدة « بالله ما تفعل لو بلغوك » :  
بالله ما تفعل لو بلغوك انى عرتنى جنة من هواك  
وكيف لا ينhib لبى والهوى اذا مضت لي اشهر لا اراك  
ومن قصيدة « انا مجنون بحبك » :  
انا مجنون بحبك فازل غلة صبك  
ومن قصيدة القديم والجديد :  
ومن العشق جنون خابل يزدري المرء له وقع التهم  
اتها الحب جنون وجوى ورجاء واجترام ونقم  
وقد ترقى في هذا المعنى من القول بأنه هو مجنون الى نسبة

الجنون الى الناس كلهم الى الحياة نفسها والدهر أيضا . قال من  
قصيدة « جنون الحياة » :

كل حي فيه مغبون  
لا ترع فالدهر مجنون  
جن من حول ومقدرة  
وكنا نو الحول مجنون  
فتتصاحك ثم قل أبدا  
ان هنا الدهر مجنون  
دهرنا دار المجنونين  
كل حي فيه مسجون

ومن قصيدة « بعد الحس » :

و كنت أعد الحسن فيك فطامة  
وان جنوني في هواك صواب  
ومن قصيدة « وحي الشعر » :

كجنون النعيم والبؤس فيهم وهي تبدو لغيرهم كذلك  
وفسر البيت بقوله « أى عواطف الشعراء تهدي غيرهم ولكن  
من أجلها يحس الشعراء جنون اللذة واللام » فانا أشهد الله والناس  
انى لا احس هذا الجنون . ولكن احسبه سينكر على الشاعرية  
لهذا على الأقل . وقال من قصيدة « مشتري الأحلام » :

لو يستحيل المسحيل على الورى  
وانا من احسلامه ما اطلب

لجننت جنة قادر متحكم  
يرضى على هنا الآلام ويغصب  
فالحمد لله الذي لم يحكم في الناس نزوات جنونه وقال من  
قصيدة صوت النذير :

ام ضحكة الرجل الجنون من حزن  
لشد ما نال منك البؤس يا رجل  
حتى ام تذكر حقا غير مشتبه  
لا يكره الحق الا من به دخل

وهذا تقيد عجيب فقد يكره المرء الحق ويكون بغضه ايات  
راجعا الى اى سبب غير الجنون :

وقال من قصيدة بين الحب والبغض :

وان بقلبي من جفائق جنـة  
فـان دـام يـوما قـتـلـكـمـا  
فـاسـقـيـ جـنـوـنـيـ منـ دـمـائـكـ جـرـعـةـ  
وـهـيـهـاتـ يـجـدـيـ القـتـلـ قـلـبـاـ مـكـلـمـاـ

فيظهر ان حبيبه عرف ذلك منه وأدرك أن جنونه قد يدفعه الى  
الاجرام فتحري البعض عنه فما اشقاء ! جنونه يفرى حبيبه بالهجر  
والهجر يزيد في جنونه فain المخرج من هذه الحلقة والى اى حال  
ينتهي به هذا الدوران ؟ ونحن بعد لم نقلب الا جزءا من ديوانه  
لا يبلغ عدد صفحاته السبعين وناهيك بما في الاجزاء الاخرى . ولم  
تقل من شعره الا ما كان لفظ الجنون فيه صريحا لا معناه والا فان  
هناك ابياتا عديدة تضمنت هذا المعنى وان خلت من اللفظ كقوله :

امـشـيـ (ـاحـدـتـ نـفـسـيـ)ـ عـنـ مـحـاسـنـكـ  
حتـىـ يـخـسـلـ حـدـيـشـيـ لـفـوـ نـشـوـانـ  
نشـوـانـ لـيـسـ لـهـ عـقـلـ فـيـسـكـتـهـ  
الـحـبـ خـمـرـيـ وـلـيـسـ خـمـرـ منـ شـانـيـ  
فـاـذـاـ كـانـ هـذـاـ لـيـسـ بـالـجـنـوـنـ فـلـاـ نـدـرـيـ مـاـذـاـ يـكـوـنـ ؟؟ـ وـقـوـلـهـ  
وـهـوـ اـدـهـىـ :

واهـتـفـ طـوـلـ الـلـيـلـ بـاـسـمـكـ جـاهـدـاـ  
وـهـاجـسـ هـذـاـ الذـكـرـ دـاءـ مـخـاـمـرـ

فهو يقطع الليل كله مجتهدا في الهاتف ويعرف بأن هذا داء ملازمه لا عرض زائف و قوله:

**( غاب رشد الناس ) عن انفسهم**

**ضاع منهم تحت اشلاء الرميم**

**... الخ الخ**

وليس الأمر بمقصور على جولان هذا الخاطر في نفسه وملازمه اياده أبدا وعلى الصياغ طول الليل وتحديث نفسه بمحاسن الحبيب في الطريق كالسكارى والاعتقاد بأن كل الناس مجانيين وأن الحياة نفسها جنت والدهر كذلك وأن لكل شيء جنوناً مجنناً وأن الزمن دار المجانين ومستشفى مجازيب وأن الناس كلهم مرضى كما يقول:

**في كل دار من جواه مريض وكل قلب فيه جرح غريب**

كأنما يريد أن يعتذر لنفسه من استهتاره وما عرفنا ان الامن كما وصف والحال على ما زعم وأن كنا نعلم أن الحب بني عليه بقاء النوع ولكن ليس كل حب ذاهبا باللب نقول ليس الأمر بمقصور على ذلك فان شكرى على ما يظهر من كلامه بدا يجرب ما يسمونه هذيان الحواس وهو - تساهلا في التعبير - مرض يجعل صاحبه يتوهם مثلا أنه يسمع أصواتا أو يرى أشباحا تختلف وضوها واستبهاما حسب درجة الحالة فإذا أصاب العين رأت ما لا وجود له في الأذن سمعت ما لم يصدر فعلا من الأصوات وقد لا يصحبه أى اضطراب محسوس في القوى المفكرة وأن كان لا شك مع ذلك في أنه اضطراب محلى في المخ اذا اتسعت رقعته أحدث الجنون وكثيرا ما يصح بعض حالات الجنون « هذيان الأذن » أى اعتقاد المصاب أنه سمع أصواتا أو أن أرواحا تخاطبه ومن ذلك ما رواه الدكتور نسبت عن بائع كتب في برلين اسمه نيقولا كان يرى جثث الموتى تسير في الطرقات وأشباح الأدميين والحيوان أيضا وكان يسمع أرواحا

تلازمه بالليل تتحاطب وقد تكلمه ويسأل بعضها عن بعض وقد عولج من ذلك بوضع « الدود » على عنقه اذ كان سببه كثرة الدم الصاعد الى بعض نواحي المخ .

وقد قال شكري - أعاده الله من شر ذلك - في الصفحة الثانية والخمسين من الجزء الثالث تعليقا على بيته هذا :

او كنور البير فضيا له وتر في القلب فضى النغم

« ما رأيت القمر الا احسست كان نواقيس تطن في اذني . وان الله الانقام رنة الفضة الم gioفة » اه

فهذا كلام لا مجال فيه للتأويل والتخرير وهي قاطعة في أنه في كل مرة يرى فيها ضوء القمر ( يطن ) في اذنه صوت نواقيس فضية ولنا ان نلاحظ امورا :

أولها - ان البيت لم يكن يستدعي هذا القول منه لأن معناه مفهوم بدونه

وثانيها - ان ما ( يطن ) في اذنه « كلما » رأى ضوء القمر ليس له علاقة كبيرة سوى علاقة اللفظ العارض - بتقريره أن الله الانقام رنة الفضة الم gioفة خصوصا وأن رنتها « ليست » الله « الانقام » وان كانت « اخلص » الا صوات واصفاتها والفرق كبير بين صفاء الصوت وبين حلاوة النغم . نعم أن الصفاء من عوامل الحلاوة في النغم ولكن خلوص الرنة من الاكثار - مع التسامح في عذ الرنة نسمة - لا يمكن أن يعد « الله » الانقام .

وثالثها - انه كلما رأى « ضوء القمر » طن في اذنه هذا الصوت ذو الرنين ويعرف الخاصة واهل الاطلاع والللاحظة ان « ضوء القمر » مقرون في اذهان شعوب كثيرة بدهاب المقل والهذيان كما يدل على ذلك استعمال هذه العبارة في لغاتها ورابعها انه ان كان

صادقا فيما يزعم فالدلالة هنا كبيرة وقد لا يتزدد المرء في الذهاب الى إنها مريبة وإن كان قد كذب على نفسه فلنا أن نتساءل لماذا يعزو اليها غير الواقع ولماذا اختار من الكذب ما يدل على اضطراب في طائفة من الأعصاب لها اتصال عظيم بالدماغ ؟

ولو شئنا لامتد بنا نفس الكلام واتسع لنا مجال القول في هذا الباب ولكننا قد اطلنا وإن كان التحليل ممتعا مفريا بالاسهاب والافاضة ولذلك نجتزيء بلحظة أخرى وهي أن لشكري كتابين غير دواوينه أحدهما اسمه الاعترافات وليس فيه ما يستحق الذكر إلا أنه وصفه بأنه « أحلام مجنون » والآخر رواية اسمها « الحلاق المجنون » وهي كذلك تافهة لا قيمة لها وقد احتدى فيها كاتبا روسيا في رواية اسمها « هل كان مجنونا » وموضوع قصة شكري أن حلاقا ذبح زبونة له لأن رأس الزيتون تشبه رأس الخروف فاغراه هذا الشبه بذبحه بموساه وهي في الحقيقة سلسلة قصص من هذا النوع مروية على لسان زبائن الحلاق .

وقد سبق لنا أن نبهنا شكري الى ما في شعره من دلائل الاضطراب في جهازه العصبي وأشارنا عليه بالانصراف عن كل تاليف أو نظم ليغوز بالراحة الازمة له أولا ولأن جهوده عقيمة وتعبه أضائع ثانيا ولم تكن أمامنا في ذلك الوقت كل هذه الشواهد فلعله الان وقد رأى كثرتها وتوافرها - وهي كثرة مروعة - يرجع الى ايها ويرتضى ما ارتضينا له وما هو خليق أن يحمده الناس منه فلا يحاول أن يغالب مشيئة الطبيعة التي لا تخلق الابكم الا وهي قادرة على الزامه الابكم طول حياته ولو « جن » تحرقا على النطق .

## الجزء الثاني

## أدب الصحف

الادعاء في كل بلد كثيرون وفي كل قطر كالذباب يعيشون عيالاً على ادب وحميلة على اهله وذويه ولكنهم فيما نعرف لا يعدون الطينين في غير هذا الفطر ولا يعدو جمهور الناس معهم ان يلحوظوهم كما يلحوظ احدنا العناكب ناسحة لها بيتاً بين جدارين فيقول لخادمه او ربة بيته ازيلى هذا واتى عليه بالكتنسة ثم لا يقولها حتى ينسى امره ويدهل عن خبره . اما في مصر فالحال على خلاف ذلك والامر على عكسه ونقضيه . يظهر الداعي فيستولى على الميدان ويخر الناس له سجداً الى الاذقان ويباهون به الامم والازمان فان سالتهم في ذلك وعلته وماذا بهرهم منه وكيف كان على حد تقصير عنه قوى البشر ومتهمياً الى غاية لا يطمح اليها حتى بالفکر احالوا وتهربوا وفتحوا أبواباً من التسفس لا تستند الى اصل ولا يعتمد فيها على حقل وظنوا بك الفند وجروا في أوهامهم الى آخر الامد كأنما التوق الى ان تقر الامور قرارها وتأخذ الاشياء اقدارها شيء ليس في بوس العقل ولا في طباع النفس . وليس الامر بالهين الذي تتأتى مداواته ويستيسر علاج ما يعرض في الاراء منه فان الداء عياء والبلاء عظيم والمصاب كبير . وأصل الداء ومعظم الآفة والذى صار حجراً بين القوم وبين التأمل وأخذ بهم عن طريق النظر مرض في عقولهم شديد الخفاء اورثهم اياده الجهل وما طبعتهم عليه العصور القاسية الماضية حتى صاروا لا يملكون ان يصفوا لما يقال لهم ولا ان

يفتحوا للذى تبين أعينهم او يأخذوا لانفسهم بالذى هي أملا لا يديهم  
 وأعود بالحظ عليهم حتى صاروا من كل امر في عمياء قصاراهم ان  
 يكرروا الفاظا لا يعرفون لشيء منها تفسيرا ويرددوا ضروب كلام  
 ان سلوا عنها لم يستطيعوا لها تبيينا . وما لهؤلاء نكتب ولا من  
 اجلهم تتكلف ان تكوني عرق الباطل ونخرس السنة الكذب والتدجيل  
 وتنقض بناء المنكرات والشناعات التي اقامها نفر من الادعاء نشأوا  
 في غفلة الزمن فان من المستحيل ان نرجع بهم الى سين التفكير  
 والبحث والتقصى وحب الاستطلاع ولكننا نكتب ونشرح وننصب  
 الميزان لمن يحسن انه رزق عينيه ليقتاحهما على الاشياء ويجليلهما  
 فيها لا ليغمضهما دوتها وأوقي العقل ليتصرف به في الامور ويتبين  
 النقصان والرجحان ويعرف الصحيح والسيقim لا ينكر في ذلك  
 حسه ولا يغالط في الحقائق نفسه ولا يحب أن يستسقى الا من  
 المصب او يأخذ الا من المعدن مؤثراً الفينة والهزيمة والفشل على  
 احالة الاشياء عن جهاتها وتحويل النفوس عن حالاتها ونقلها عن  
 طباعها وقلب الفطر الى اضدادها - لهؤلاء الذين هم معقد الامل  
 ومناط الرجاء نفصل القول ونضع اليه على الخصائص ونسميها  
 ونعدها ونرفع لميونهم كل قطعة من القطع المنجورة من الجهة التي  
 تكون اضوا لها واكشف عنها صابرين على طول تأملهم مفتبطين بعدم  
 قناعتهم الا بالاقتناع . اذ ما خير مقلد في ظاهر عالم وشاك في صورة  
 مستبيئن ؟

وليس في مصر شيء عرض للقوم فيه من قبح التورط ومن  
 الجرى مع الاوهام والذهب الى اشنع الشناعات واسوا المنكرات  
 ما عرض لهم في الادب حتى صاروا اذا عمد عامد منهم الى الالفاظ  
 وجعل يتبع بعضها بعضا من غير أن يتلوخى في تنسيقها معنى فقد  
 صنع ما يدعى به كاتبا وشاعرا ومؤلفا يضمن الزمان بمثله ويعين  
 الامم مكان تده . وقساد هذا من البداهة بحيث لم يكن يحتاج الى  
 تبيه او ان يتتجشم احد من اقامة الحجوة عليه والتدليل مع التبسيط

ف الايقاص وتحري البساطة في سوق المبادئ وتفصيل الاصول وما ندرى غدا بعد جيل ماذا يكون ظن الناس بالامة اذا رأونا ندللي بالحجۃ والبرهان على ما لا حاجة به الى الصفة والتبيان وما صار دستورا معهم لهم به عن ايصال الاصول والبدائة غنيان ؟ افلا يعذرون اذا شبهاها بالاطفال تتقاذف اللعب وهي تحسبها ادوات الکر والطعن ؟ بل ولا يعرفون ما كنا نستطيعه لو لا موت القلوب وعمى العيون واعوجاج الاذهان .

ولماذا لا يرون من اعجب العجب ذلك الذى عليه الادعیاء المقلدون في امر الادب ؟ خذ من شئت من هؤلاء الادعیاء لا تجد في الامر الاعم شيئا تكون الطبيعة فيه قابلة ثم هو مع ذلك لا يرى الذى تريه ولا يهتدى لما تهديه . بل ماذا عسى يكون رأى الغربيين اذا اطلعوا على هذه المنكرات الشنيعة التي تتمخض عنها الطبائع المسوخة والاذهان المتکسة ؟ ان الجيد في لغة جيد في سواها والادب شيء لا يختص بلغة ولا زمان ولا مكان لأن مرده الى اصول الحياة العامة لا الى المظاهر والاحوال الخاصة العارضة . وكذلك الفت غث في كل لغة في اى قالب صيغته وسبکته وبای لسان نطقته .

وقد لقينا من التشجيع ما يغرينا بالاسترسال ووجدنا من الاقبال ما قوى الامال في صلاح الحال وهاكم صنما آخر من معبدات الضلال نهدمه ونلقى به بين الاطلال .

## ترجمة المنفلوطي

هنى السيد المنفلوطي بترجمة حياته فكتبها وصدر بها الجزء الأول من نظراته وذيلها بتوقيع من لا يبالي دسها عليه في كتاباته ونحن لا يعنيينا هذا الأمر الا من حيث دلالته على طريقة السيد في الاحتيال على الشهرة واقتناص حسن السمعة وعلى اعتماده هو وأمثاله على تأثير الالقاب والمناصب في عقول البسطاء كلما أرادوا أن يزقوا إلى الناس عرائس أفكارهم أو يشيعوا إلى قبور صدورهم أموات خيالهم . واذ كان هذا كذلك وكانت وظيفة الناقد أن يرسم صورة صادقة للكاتب ويقدم وزنا عادلا لآثار قلمه ومظاهر نفسه وكان الذي يعنيانا من السيد ما خطه يرائعه الرشيق وأملاه عقله الرقيق فان الذي يستحق أن يكون على ظاهر الامر مقدما على سواه وحرريا بان يستوفيه النظر ويتقصاه هو القول على ما نحل نفسه من الفضائل ثم نتبع ذلك جملة من القول في « بنات » عقله ثم ناتى على ذكر روياته وقصصه في اثر هذا وذاك على أننا ربما عطفنا عنان الكلام على الاخرية قبل الاوان توفيق للحقوق وبيانا للفرق وكشفنا عن الحال وايقافا للقارىء على مبلغ سعة المجال .

\* \* \*

السيد مصطفى لطفي المنفلوطي رجل شريف جاء الى هذه الدنيا المرزوعة منذ خمسة وأربعين عاما من أبوين كريمين كما يشتبه ان اولهما - ولا ندري أيهما يعني ولكنه احدهما على كل

حال — ينتهي تسبه الى الحسين بن علي جد كل مسلم ومسلمة ومنافس آدم بكثرة النسل « تفاصي » التربية . وثانيهما الى اسرة جورجى التركية « المعروفة بالشرف العظيم والمجد المؤتل » .

ولم ير السيد زاده الله شرفاً ورفعه لسوء حظ النقاد أن يزيد على هذا في بيان نسبة إلا أشياء ظاهرة لا تحتاج إلى تدوين ولا تحتمل الإيضاح والتبيين كقوله أنه « ولد في متلبوط من مدن الوجه القبلي في جنوب مصر » وأن أسرته هناك « مشهورة بالشرف والتقوى والعلم والفضل » فان لقب السيد يدل على ذلك ونسبته تهدى إلى معرفة ما هناك ولكننا نحسبه خشى أن يصل القارئ ويختلط عليه الأمر فيتوهمه متذوقاً به علينا من المريخ - والحق أن له العذر في خوفه هذا اذ ليس في كتابته ما يدل على أنه مثل أبناء آدم احساساً بالحياة وفهما لها وجرياً على سنته واداء لغير افسها كما سترى مما سورد له عليك بعد ونعود إلى ترجمته فنقول وليته. اذ عن يده التفاصيل البدائية كان قد ساق علينا ما هو حقيق أن يعين الناقد على تقدير أثر العوامل الوراثية في تكوين أخلاقه النادرة التي يصفها بأنها « انتهاك عن الناس ووحشة يحسبها الرائي صلفاً وكبراً وما هي بالصلف ولكنها الرزانة والوقار والانفة والعزّة والبعد عن سفاسف الامور والترفع عن مخالطة من لا تعجبه أخلاقه ولا تتحمل في نظره أطواره . وعفة حتى عن مد يده إلى أبيه وسخاء وجود بكل ما تعلّك يمينه وأدب وحياء وحلم يظنه الظان عجزاً وضعفاً فإذا غضب وقليلاً ما يفعل فهو الليث قوة وشجاعة وایمان قوى كالطود الراسخ وصبر جميل على ما يذهب ياب الحكيم من حوادث الأيام فقد مات له طفلان في أسبوع واحدة فسكن لهذا الحادث سكوناً لا تخالطه زفة ولا تمازجه دمعة ثم مات زوجته بعد ذلك فجلس إلى أصدقائه يحادثهم ليلة وفاتها كانما المزروع سواه وليس أحقر في نظره من مدح المادحين ولا أحقر في نفسه من انتقاد المتقدين عليه وليس أبغض إليه من الكذب

وَكَثِيرًا مَا كَتَبَ أَسْمَاهُ ( ! ) يَقُولُ « لَا طَلَعَتْ عَلَى شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ  
الَّذِي يَرْضِي فِيهِ عَنِ الْجَاهِلِ أَوْ يَعْجِبُ بِرَأْيِ الْبَلِيدِ إِلَى آخِرِ مَا لَا  
يُسْتَكِنُ عَلَى سَلِيلِ النَّبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَتُوَّةِ التُّرْكِيَّةِ .

وَلَكُنَّا بَثْنَا لِتَقْصِيرِهِ فِي تَرْجِمَتِهِ لَا نَعْرِفُ مَقْدَارَ فَضْلِ الْوَرَاثَةِ  
وَمَبْلَغِ الْاِكْتِسَابِ فِي هَذِهِ الْفَضَائِلِ وَفِي كُلِّ هَذَا الْأَدَبِ الْجَمِ الَّذِي  
جَعَلَهُ - كَمَا يَقُولُ - الْكَاتِبُ الْفَرِيدُ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَى أَسْلُوبِهِ  
الْبَلِيزِ فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ وَشَوَّهَنَهُ سَوَاءً فِي ذَلِكَ الْمَعْانِي الْمَطْرُوَّقَةِ  
لِكِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَوَّلِيِّ أَوِ الْتِي لَمْ يَكْتُبُوا عَنْهَا شَيْئًا وَلَمْ يَرْسِمُوا لَهَا  
أَسْلُوبِيَا مَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّلِيقَةَ الْعَرَبِيَّةَ مُلْكَاتَهُ لَا عَارِيَّةَ  
مِنْ عَوَارِيَّهُ .

وَلَيْسَ فِي أَنْ يَتَرَجَّمَ الْمَرءُ لِنَفْسِهِ مِنْ عَيْبٍ وَلَا هُوَ بِيَدِعَةٍ مِنْهُ  
كَالسَّيِّدِ الشَّرِيفِ الْمَسِّبِ لَا يَحْدُثُ إِلَّا عَنِ نَفْسِهِ وَلَا يَصْدِرُ فِيمَا  
يَكْتُبُ عَنْ سُوَى يَوْمِهِ وَأَمْسِهِ . وَلَكِنَّ مَا هَكُذا يَكْتُبُ النَّاسُ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ وَيَتَقْدِمُونَ إِلَى قَرَائِهِمْ بِتَرَاجِمِهِمْ وَوَصْفِ آيَاتِهِمْ . وَمَا لِلْقَرَاءِ  
وَلِأَجْدَادِكَ الَّذِينَ لَمْ تَرَدْنَا بِهِمْ عَلَمًا فَيُشَفِّعَ لَكَ مَا أَفْدَتِ فِي سَمَاجَةِ  
مَا كَتَبَتِ وَلَقَدْ قَرَأْنَا لِجِيَّتِهِ شَاعِرَ الْأَمَانِ الْفَضْخَمِ كِتَابًا فِي تَارِيَخِ حَيَاَتِهِ  
يَقْعُدُ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَمِّيَّةِ صَفَحةٍ وَلَا نَذَكِرُ أَنَّهُ أَوْرَدَ اسْمَ أَبِيهِ حَتَّى  
وَلَا فِي سِيَاقَةِ الْحَدِيثِ دَعَ عَنْكَ خَلْعَ حَلَلِ الشَّنَاءِ عَلَى أَجْدَادِهِ . وَلَقَدْ  
جَعَلَ وَكَدَهُ أَنْ يَشْرَحَ لِقَارَئِهِ أَدْوَارَ نُمُوهِ الْعُقْلِيِّ وَكَيْفَ تَكُونُتِ أَخْلَاقُهِ  
وَنَزَعَاتُهِ وَعَادَاتُهِ وَكَيْفَ نَشَّاتِ التَّفَاتَاتِ ذَهْنَهِ وَهُوَ مَا يَعْنِي قَرَاءُ  
الْتَّرَاجِمِ . أَمَّا الْأَجْدَادُ وَالْأَبَاءُ فَمَا دَامَ الْكَاتِبُ لَا يَنْوِي أَنْ يَذَكُرَ وَلَا  
يُسْتَطِعُ أَنْ يَعْرُفَ عَنْهُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ فَخِيرُهُ لَهُ وَلِلنَّاسِ أَنْ يَسْدِلُ  
عَلَيْهِمْ أَسْتَارَ الْخَفَاءِ حَتَّى لَا يَجْمِعَ إِلَى الْجَهْلِ أَوْ الْمَعْزِزِ نَقِيَّسَةِ  
الْمِبَاهَاةِ الْكَاذِبَةِ أَوْ عَيْبِ الْأَدَعَاءِ .

عَلَى أَنَّهُ أَنْ فَاتَنَا هَذَا الَّذِي كَنَا نَحْبُ أَنْ لَا تَخْلُو مِنْهُ التَّرْجِمَةُ  
وَلَمْ نَعْتَضِ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مُتَشَوِّءٌ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ فَانِّي فِيمَا كَتَبَ  
السَّيِّدِ الشَّرِيفِ الْجَلِيلِ الْعَرَبِيِّ التُّرْكِيِّ الْحَسِينِيِّ الْجُوَرِبِجِيِّ

المنفلوطى الكفاية فانه أعزه الله لم يألنا كشفا عن آرائه وآخلاقه وفضائله ومحامده وأسرار نفسه ودخلائل صدره وهواجس خاطره ولم يضن على قارئه بوصف احواله وكيف يكتب وكيف يأكل ويشرب ويلهو ويلعب ولاي شيء يطرب وهم يفصب وماذا يمقت وبم يعجب وغير ذلك مما ليس وراءه زيادة لستزيد وما بتنا معه في غنى عما يبدىء فيه في ترجمته ويعيد من صفات ما كاد يثبتها لنفسه حتى نسى أنها له فانتحل غيرها من المقالات !!

ويالها من شجاعة لا تجعل صاحبها يحمل التهم أو يعني نفسه بالصدق فيما نحلها من الشيم ! فهل تعرف أيها القارئ من أى ضروب الشجاعة هذه فان لها لأنواعا وضروبا ؟ ليست شجاعة الإيمان ولا شجاعة يبعثها احترام الذات والاعتداد بالنفس كلا ولا شجاعة الطيش وإنما هي شجاعة .. الطعام !! نعم والموائد المعدودة والاخونة المقصوبة . وإنك أيها القارئ اذ تنكر هذا القول علينا وتمط شفتيك وتزروي ما به، عينيك لتدل بذلك على أفحش الجهل وأفضحه بأسرار فعل الطعام . ولتكن اذا ساءلت نفسك ماذا عسى ان يخفي السيد الشريف الخسيب بالنسيب بعد أن يجمع حول مائدته الأسبوعية فيمن يجمع هؤلاء المسولة من أصحاب بعض الورقات القدرة ويملا لهم بطونهم كننت حقيقة أن تفهم ما نريد من شجاعة الطعام . اترأك لم تسمع بالمثل العامي القائل « اطعم الفم تستحب العين » ؟ وماذا صنع السيد أكثر من العجرى على السنن العامية في كل شيء ؟ في كتابته وفي معاشرته وفي اتقائه الالسن — وهذا هو السر — فاعلمه — في انك لا تسمع به في هذه الورقات ولا تراها تلهج به مادحة ولا قادحة .

ومن ظريف ما نرويه في هذا المقام أن السيد سمع بعزمنا على اخراج هذا الكتاب فجاء يدعونا الى مائدته وأرسل يلح علينا في « تشريفه » فلم ينقدنا من الحاحه ولم ينجنا من موقف الفدر ونكران جميل مائدته الا المرض ! فما أحسن المصائب في بعض الأحيان ؟

## الحلوة والنعومة والأنوثة

وبعد فماذا في كتابات المنفلوطي مما يستحق أن يعد من أجمله كاتب و أديبا الا اذا كان الأدب كله عبثا في عبث لا طائل تحته ؟ سمعت بعض السخفاء من شيخونا المائتين يقول : « ان في أسلوبه حلابة » ولو أنه قال « نعومة » لكان أقرب الى الصواب ولو قال « أنوثة » لاصاب المزاج . وهذا كلام يكاد يعده من لا عهد له بغير كلام المقلدين من الالفاظ والاحاجى فلنفسه لفائدة الناشئة ان لم يكن لفائدة ذاك الذي لا نرجو منه خيرا . قال مهيار :

فيارب قلدي دمى مقتلى بما نظرت واعف عن قاتلى  
هنيئا لجيك - ذات الوشاح . دم طل فيه بلا عاقل  
وحبى ذكرك حتى لثمت مسلكه من فم العاذل

هذا مثال للنعومة - كلام مصقول لين الانحدار تستطيع أن تعرف مقدار الصنعة ومبني الصقل فيه اذا نشرته وتأملت ماتحاشه الشاعر من الالفاظ مثل مخرجته مكان مسلكه . وهو بعد اذا تدبرته لم تشعر أن وراءه شيئا لا من العاطفة ولا من المعنى ، وغاية ما في الأمر أن صاحبه أراد القول في هذا المعنى بغير يراعى من النفس فهو عبث محض ولما كان الشاعر قد أعزته العاطفة هنا ونقصته البواعث فقد لجا الى الاحتيال والصنعة وحسب الافراط في الرقة يكسب الجمال ويفنى عن الاحساس به فقلب كل شيء وحمل عينه

ذنب النظر الى الحسن ودعا الله ان يبوء المقتول بالقاتل تناهيا في  
اللين وذهابا الى اقصى المدى في الطراوة ولا قتل هناك ولا قاتل ولا  
دم مطلول بغير عاقل وانما هو التطرى والرخاوة تم ذهب يقول انه  
لفرط حبه لذكرها قبل فم العاذل حين جرى لسانه بحديثها وهو  
من سخافات التطرى ويكتفى لادراك مبلغ السخافة ان تتصور مثل  
هذا المنظر حادثا واقعا . وامثال هذا كثير في غزل المقلدين والعايشين  
لأنهم لما فاتهم صدق السريرة لجأوا الى الصقل وضحوا في سبيله  
الرجولة والعقل . ومهيار بعد من الفحول او هو على آثارهم ماض  
وهو من القليلين الذين ينم شعرهم عن بعض الادراك لفرق بين  
مذهب العرب في الشعر ومذهب الآريين – او الفرس فقد كانوا  
لا يعرفون الا عربا وعجماء . يدل على ذلك قوله يصف شعره :

حلى من المعدن الصريح اذا      غش تجار الاشعار ما جلبوا  
يشكرها الفرس في مدح يطح للمعنى وترضى لسانها العرب  
فكانه لم يفب عنه عنابة العرب بالللهظ واكبادهم شأنه وذهب  
غيرهم الى المعنى قبل اللهو وله ما لا يكاد يدانى في حلاوته وعدوبته  
قوله :

**اذكرنا ذكرنا عهدهم      رب ذكري قربت من نزحه**  
وقوله :

**آه على الرقة في خسودها      او انها تسري الى اكبادها**  
فاذأ كان مهيار وهو من علمت يقع في هذا فما ظنك بالتأخرین  
والعايشین الذين افتقروا في العيش كشعراء اليتيمة حتى ليخسيل  
للإنسان انهم كانوا يتبارون ليروا ايمهم اعظم تعليقا للعقل واتيانا  
بالمستحيل ونسياتنا لاحكام الحياة . أما الحلاوة فتجدها في مثل  
قول الشريف الرضي :

**اتت النعيم لقلبي والعلاب له      فما أمرك في قلبي واحسلاك**  
وقوله من القصيدة عينها :

عندى رسائل شوق لست اذكّرها

**لولا الرقيب لقد بلفتها فاك**

وليس يمنعك ان تتذوقها من البيت الاول ذكر المرأة فانها هنا اخف ما تكون وليست كل القصيدة من هذه الطبقة ولعل التمثيل لذلك من الشعر الحديث او الغربي اجدى وانفع في تبيين المراد ولكن لا نحب ان يفهم احد انا قوم افتتنا بالغرب حتى ذهلنا عن محاسن العرب ولا ان يظن بنا الاعلان عن النفس وان كان لا غضاضة في ذلك ما دمنا ندعوا الى حق وقوله صدق .

ومرجع هذه الحلاوة الى ما ترك من التنوع في الاطراد والى احساس الشاعر باللذادة والحسن احساسا هو مزيج من الاعجاب والطلب . خذ البيت الاول مثلا « أنت النعيم » وتأمل اطراد العاطفة في مصراعيه وتوازن قوتها في شطريه وكيف انه مع هذا الاطراد والاستواء يتجوّل بالتنوع من حيث لا يصدّمك . ويريك وقعين مختلفين ولكنهما غير متنافرين لأن العبارة موزونة على قدر الاحساس لا أكثر ولا أقل ولو انه كان قال « أنت النعيم لقلبي والجحيم له .. فما أمرك .. الخ » لاحسنت التنافر واختلاف القوة في الشطرين ولا استعلبت منه قوله « فما أمرك الخ » بعد لفظة الجحيم . وتأمل في عقب هذا قول المسكين شكري يصف جميلاً ويبالغ في حسنه :

**كأنما صلغكم كيمما يحبّكم**

**يا فتنـة الـحسـنـ قد جـارـ الـهـوىـ فـيـنـاـ**

يعنى الله في صدر البيت – فاتّح تحس اذ تنتقل من الشطر الاول الى الثاني كأنما قدف بك من رأس جبل اشم فهنا لا اطراد ولا تساوق وكأنما صادف ماء البيت انحدارا مباغتا وكانك بين مصراعيه على أرجوحة غير مستوية .

وتدبر بيت الشريف الثاني واتظر تحريره الدقة في العبارة عن مقصوده تحريراً اكسب البيت الاستواء والاطراد وتأمل كيف عبر

بالشوق حيث يدرس العابثون والمقلدون أقوى الالفاظ وأشدّها من غير حساب كالجوى والصدى والحنين والنزاع وغيرها مما لم يكن يعجز الشريف عن حشره في البيت لو كان مثلهم فساد ذوق وضعف طبع وسليقة .

ولست تأخذ من البيت أكثر من العبارة عن الاعجاب وهو من أخف مراتب الحب وأولها ولا أكثر من الرغبة المعتدلة لا الجامحة ومن اشتئاهه التفبيل اشتئاه لا ينبع مع ذلك في زمام الارادة فالتناسب تام بين أنواع المعانى والاحساسات المتنوعة التى ضمتها البيت - من اعجاب واحتشام واحتشاء والتشاكل كامل والاستواء بالغ الغاية ، دع عنك عذوبة التعبير عن القبلة وسلامة الذوق وحسن المعنى في الكنایة عنها بأنها رسالة لا تبلغ الا للفم ومراعاة ذلك وامتناعه عن ذكرها عن بعد .

وإذا أردت أن تعرف الفرق بين حلاوة الطبع وافساد التصنع فقارن قصيدة الشريف الرضى التى يقول في مطلعها :

يا ليلة السفح الا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم  
بقصيدة الطفراى التى احتذاه فيها وترسم مواقع اقدامه  
وليس يسعنا ايراد القصيدتين ولكننا نجتزيء بذكر البيت من  
قصيدة الشريف ونعقبه بما قال الطفراى مجازة له . يقول  
الشريف :

قدرت منها بلا رقيب ولا حشر  
على الذى نام عن ليلي ولم انتم  
فيأخذه الطفراى ويخرج صاحبها ان كان لهما وجود :  
يا صاحبى اعينتى على كلفى .

وينقول الشريف يصف ليلته معها :  
وامست الريح كالغيرى تجاذبنا  
على الكثيب فضول الربط والتم

## يشي بنا الطيب احساناً وآونة

يُضيئنا البرق مجتازاً على أضواء

فيسطه عليه الطفراي ويصوغهما في أربعة أبيات مرذولة :  
بتنا وبات الصبا وهنا يغازلنا وفرشنا الرمل وشته يدالديم  
والليل يكتم سرى والصبا كلف بنشر ما كاد تطويه يد الظلام  
يأنفحة الريح باتت بين أرجلنا بالجزع تسلك بين العذر واللام  
نهيت طيباً وأغرت الوشاة بنا ياحبنا انت لو لم تقتدي بهم  
ويقول الشريف :

وأكتم العصيغ عنها وهي غافلة

حتى تسلم عصافور على علم

فيسمه الطفراي في هذا البيت المخصوص :

وغاب عننا غراب الين ليتنا فناب عنه عصيغ على علم  
ويقول الشريف :  
رؤيحة الفجر بين الفضال والسلم  
يولع الطل بردينا وقد نسمت  
فيمسخه الطفراي هكذا :  
بانت تحرش بين الفضال والسلم  
وأذنتنا بقرب الفجر نأشئة  
ويقول الشريف :

بتنا ضجيعين في ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فرع الى قدم  
فيابس الا ان يعف عفته ويجهىء بهذا البيت المنشور السخيف :  
ورق لي قلبه القاسى ومكتنى مما اريد فلم آثم ولم الم  
ويقول الشريف في غير هذه القصيدة :

انت النعيم لقلبي والعناب له فما امرك في قلبي واحلاك  
فلا يرى الطفراي ان يتركه في قصيده دون مسخ :

طاب الهوى في الجوى حتى انسى به

فهسو المراارة يخطو طعمها بقى

فيخلط ويحسب الشريف الى هذا قصد . ويقول الشريف :

ولا استجد فؤادي في الزمان هوى

الا ذكرت هوى أيامنا القدم

والذكرى طبيعية ولكن فساد ذوق المقلد الطفراى يأبى له  
الوقوف عند حد الطبيعة :  
تريد أن تستجد العجب بعدهم والعجب وقف على أحبابنا القديم  
الخ الخ

وشتان بين كل بيت ونظيره .

كلام الشريف مستقيم المعنى والأداء وأبيات الطفراى لا يسيغها  
المرء الا بعناء . والفرق بين الكلامين اوضح من ان يحتاج الى جلاء .  
ولعل القارئ قد رأى مما اوردنا ان الحلاوة لا تتفق مع العبرت  
والتكلف ولا مع اضطرام العاطفة ووقتها .

\* \* \*

ولست بواجد شيئا من هذه الحلاوة في كلام المنفلوطى سواء  
في ذلك شعره ونشره لأنه متكلف متعمق يتصنّع العاطفة كما يتصنّع  
العبارة عنها وقد أسلفنا أن وصف أسلوبه بالنعومة اقرب الى  
الصواب ولكنه ليس كل الصواب لأنه متتجاوز ذلك ذاهب الى ادنى  
منه وليس ادنى من ذلك الا الانوثة وهي أحاط وأضر ما يصيب الادب  
ولكنها مع الأسف تجوز على فريق من الناس يتلذذونها ويسيغونها  
ويعجبون بها ويبلغ من استحسانهم ايها ان يشجعوه وينفروه بالكلد  
في ابراز ما ليس أقتل منه للرجولة ولا اعصف .

قال المنفلوطى في مقدمة عبراته :

« الاشقياء في الدنيا كثير ، وليس في استطاعة بائس مثلى ان  
يمحو شيئا من يوسمهم وشقائهم فلا اقل من ان أسكب بين أيديهم  
هذه العبرات عليهم يجدون في بكائي عليهم تعزية وسلوى . »

وأحسبه توقع ان يكبر الناس منه هذه الرحمة ويعجبوا بهذا  
القلب الذى شغل عن مطالب الحياة بالدق عطفا على المساكين  
آمثاله . ولو شاء لقال ان الناس جميرا كذلك ان كان يريد ان يذهب  
إلى هذا المعنى لأن كل امرىء طالب محروم . ولكن وظيفة المرء في

الحياة ليست أن يكون ندابة فما لهذا خلق بل وظيفته أن يغالب قوى الطبيعة ويصارعها لأن الأصل في الحياة هو هذا الصراع وتلك المغالبة وهي قائمة على ذلك ولا سبيل إليها بدونه ، بل هي تنتهي اذا امتنع وبطل .

وهذا شيء يعرفه كل أحد ويحسه كل حي . وقد فطن إليه الأقدمون البسطاء الذين كانت تقصصهم وسائل الاستدلال العلمي على ذلك وآياته في مظاهره ومن آيات هذه الفطنة – فطنة عميقة مستولية على النفس – أنهم قالوا أن في الوجود قوتين متنازعتين أبداً وقوة الشر التي تطفى بالليل وتجلل في الرعد . وتقدف بالصواعق وتبتل بالجدب والمحل والأوباء والارزاء والفناء وما يدخل في ذلك ويترفع منه ، وقوة الخير التي تسع بالفيف وتفيض نور الشمس وحرارتها وتتجدد بالخصب والحياة إلى آخر هذه المعانى وقد رمز من الفرس للأولى وللثانية بارمز .

ومثل هذا واضح في جميع الأديان وان تغيرت الأسماء وتبدل التماثيل وما أليس أن فكرت الا اسم آخر لاهرمان والارمز لقوة الشر الخارجة على قوة الخير المغالبة لها .

بل ذلك ملحوظ في خرافات العجائز وقصصهن حتى لعهدهنا هذا وفي أوهام العامة التي تعزو الأمراض إلى فعل الشياطين وفي خوف الأطفال من الظلام وفزعهم من الوحيدة فيه وتهييئهم السير في دياجيه . ولماذا يفرغ الفارع من الظلمة وتهييئ القفار والفاسد والدور المهجورة والخرائب والمقابر ؟ أليس هذا اثراً من الاعتقاد الأول بأن هذه مظاهر قوة الشر كما كان يفهمها القدماء ؟ فالحياة مبنية على المغالبة ولكن هذا الذي يحسه الأطفال وال العامة والذى فطن إليه الأقدمون السرج بغيرائزهم وفطراهم السليمة لا يدركه المنفلوطى المسكين الذى يحسب أن ليس له من عمل في الدنيا الا البكاء على الأشقياء كانوا خلق الرجل أضعف من الدودة الجوالة في جوف الثرى .

وعسى قائل يقول : ان هذا منه فرط حب للانسانية وهي فضيلة لا يقبلها وذلة ان صاحبها بالغ وغلاف الامر لانه انما يفرق في النزع لبيعة المرمى ويتجاوز القصد في التصوير ليكون أبلغ في التأثير ويتناهى في الدعوى استندناه للغاية القصوى .

هكذا يصنعون اذا ارادوا التضليل او الاعتدار لانفسهم من الانخداع بمثل هذا التدجيل وهو شعب من القول يحتاج الى كلام تدخل فيه مسائل قد يقطع استقصاؤها عن الفرض لأن الانتصاف منها لا يتأتى الا باستعانته العقل والعلم عليها . ولكن لا باس علينا من ذلك فلننتظر ما معنى قولهم هذا اذا ترجمناه الى لغة العلم ونظرنا اليه في ضوء الاستقراء الحديث .

ما هي أخلاق المنفلوطى ؟ هي بالفاظه - او ان جادل فيما ارتفع ان يوصف به من الالفاظ - اتقباض عن الناس ووحشة - عفة حتى من مد يده الى ابويه - كرم في الخلق طالما كان سببا في وصول الاذى اليه - حلم يظنه الظان عجزا وضعفا - صمت طويل يحسبه الناظر هيا - ما رؤى يوما من الايام ملما بما يفسد عليه دينه او مروعته صبر على ما يذهب بلب الحكيم ويطير رشد الحليم (١) مات له طفلان في أسبوع واحد فسكن لهذا الحادث سكونا لا تخالطه زفة ولا تمازجه دمعة على شدة تهالكه وجدا عليهما - وليس احقر في نظره من المادحين له ولا اصغر في نفسه من انتقاد المنتقدين عليه - لو ان الناس جميعا اجمعوا على انتقاد خلة من خللها لما ثناه ذلك عنها ولو انهم انفقوا على رأى مناقض لرأيه لما نال ذلك من عقیدته ليس ابغض اليه من الكذب - يحب حتى العتاب المر والتقرير المؤلم ما دام المتكلم صادقا - يطلب من الناس غير ما يطلب بعضهم من بعض - ان كان في اخلاقه مأخذ ففي هذا الخلق خلق النفرة من

---

(١) قال لسع الشاعر الشاعر الناند الالانى من لا ينقد مقتله امام بعض الحرادت قليلا له مقل ينقدر .

الناس والمجز عن احتمالهم ولبسهم على سوءاتهم - وطنى بتهالك  
و جدا في حب وطنه و يذرى الدمع حزنا عليه .. الخ .

ولا تنسى انه جرء جرأة معدومة النظير في التقدم على حياة  
الناس بهذه النعوت الفالية و انه محب مفرط الحب للانسانية -  
فيلاشروبست - و ان اسرته مشهورة بالتفوى و ان ابناءه يموتون  
في غير السن التي يكون فيها الاهمال والجهل سبب الوفاة المباشر  
في الاغلب والامم .

\* \* \*

فكيف تصف هذه الاخلاق ايها القارئ ؟ اما ان تكون مصدقاها  
فمنظر في دلالتها او مكذبها فيكون حسبنا ذلك منك رأيا لك .

اخلاق نادرة ؟ نعم ليس اندر منها مجتمعة وان اتفقت للناس  
متفرقة ! ولكن الامر اكبر من ذلك وأبعد مدى وأعمق . هاك دلالة  
هذه الاخلاق الرائعة النادرة في نظر الدكتور نسبت قال :

« ولما كانت التقوى في الاغلب من اعراض الحالة التشنجية و كان  
الفرور وكثير من الخصائص البسيطة او المركبة توجد في حالة غير  
عادية من النمو اذا كان الجهاز العصبي غير سليم فليس من المدهش  
ان يكون البخل من اعضاء ما يسميه ( فيرى ) اسرة الامراض  
العصبية . وحب الانسانية - فيلاشروبى - نفسه مما يجري هذا  
المجرى وقد كان ( هوارد ) مصلح السجون جبارا في بيته وكان له  
ابن مجنون . ومثل هذا يقال عن الانانية ايضا وشرح هذه الحقائق  
فيما أسلفنا عليه القول على الارادة . وذلك ان بعض مراكز المخ -  
واحدا او اكثرا - تكون قاصرة عن تلقى المؤثرات او الاجابة عليها  
فتسود في حيز الادراك طوائف معينة من الاراء او تصير الغلبة  
لنزاعات معينة مستقلة عن الادراك . وهناك قوم - كما يقول المثل  
- لا يصغون الى داعى العقل ولا يحسنون الا انفسهم ومصالحهم .  
وآخرون يبلغ من تضحيتهم بالنفس وانكارهم الدلائل ان يخرجوا -

بغير مبرر معقول - عن كل متعهم وكل ما ملكت أيمانهم لفائدة  
بغير أنهم مثلا . وكلما الفريقين من مرضى الاعصاب كالممودين أو  
المصابين بالتشنج . ويقال على العموم أن الاعتقادات الحادة القوية  
تصاحب الضعف أو المرض أو الاضطراب العصبي وعلى العكس  
من ذلك ترى الموفور الصحة متسامحا بالضرورة متعدد جوانب  
الرأي » .

فما قول المحتاج للمنفلوطى في هذه الكلمة التي كأنها كتبها  
صاحبها لما نحن في صدده وأيهما خير فيما يرى لصاحبه ؟ إن تومن  
بصدقه فيما نحل نفسه من الصفات النادرة والخلال الفريدة فيلزم  
حكم الدكتور نسبت ويدخل حظيرة المرضي والمبتلين في اعصابهم  
أم تقول كذب فيما ادعاه لنفسه وأن ما به ليس اثارة وحبا للإنسانية  
متجاوزا به حدود القصد والاعتلال بل أنوثة يتواхما في الكتابة  
وتتكلف بين وتصنع لكل عاطفة وتدجيل على الناس ومخادعة لهم  
واستصغار لاحلامهم واستهانة بعقولهم ؟  
لسنا نتشبث بأحد الحكمين فليختار القارئ لهذا الكاتب  
أخفهما وأهونهما في رأيه فسواء لدينا هذا وذاك والنتجة بعد  
واحدة .

« الأشقياء في الدنيا كثير وليس في استطاعة بائس مثلى أن يمحو  
شيئا من بؤسهم وشقائهم » .

سوداء ما أشدها وظلمة يأس ما احلكها واحساس بالعجز المطلق  
والقصور التام . وما أبعد هذا عن الكآبة الطبيعية المعقولة التي  
تفشى النفس أحيانا ويكون مردها إلى ما يلقاه المرء من الخطوب في  
حياته أو في علاقاته مع أسرته أو بيئته وأوساطه والتي لا تمنع أن  
يكون الإنسان موفور النشاط والمرأة صحيح النظر إلى الأمور  
صنادق الوزن لا قدرها . نعم من الطبيعي أن يكتسب مثلا من يحتسب  
طفل له كان يشيم الخير من لحاته ويأنس الرشد من سماته أو من  
يرى نفسه متبوذا من الناس لفقره أو ضعفه قومية في أبيه أو من

يُمْنَى بالفشل في بعض ما يعالج أو نحو ذلك ولكن هذه السوداء اليائسة التي تصور لصاحبها الحياة كأنها مستشفى عجزة ودار أيام ومحاجع ينقطع للبكاء عليهم - أى تعليل لها من الأحوال التي تكتنفه هو أو سواه ؟ وأى باعث عليها غير عدم التلاقي بين المرأة والبيئة ؟

خذ مثلاً لذلك مفتاحاً وقفلًا تعالج أن تفتح هذا بذلك فتشمل ولا يخرج الأمر عن ثلاثة احتمالات فاما أن يكون العيب في المفتاح كان يكون مكسوراً أو أن تكون أنبوبته مسدودة أو أن تكون أسنانه بالية وأما أن يكون الذنب ذنب القفل كأن يكون لسانه قد سقط في جوفه أو أن يكون شيء فيه خرج عن موضعه وعاقه عن العمل أو أن يكون الصدا عطله وانت في كل الاحتمالين لا تستطيع أن تفتح القفل ولكن هناك احتمالاً ثالثاً وهو أن تنحرف باتبوبية المفتاح عن حديقة القفل أو أن تدبره فيه مقلوباً أو أن لا تبلغ بأسنانه اللسان ولا يكون العيب في هذه المرة راجعاً إلى القفل أو المفتاح بل إلى الخطأ في عملية الفتح .

أهبني غضبتي . فالامر في هذه الحالة لا يعدو أحد فرضين : أن يشير غضبى رجل مثلاً بعمل مسيء فإذا كان احساسى مناسباً للدرجة الاساءة ومتكافئاً معها كان ذلك مني طبيعياً ولكن لنفرض أن الأمر جاوز العقول وان الغضب هاجه ما ليس فيه اساءة وهو الفرض الآخر فنعود إلى مثال المفتاح والقفل ونقول أما أن تكون الظواهر الخداعية أو الاتباع الكاذبة قد حملتني على اعتقاد القصد إلى الاعباء وتعهد الإيذاء فيشير في نفسي ما يحيط بي مثل ما يشيره الإيذاء لو كان واقعاً ويكون عدم التلاقي بين الاحساس والعمل راجعاً إلى الوسط والعيوب عيب القفل - أو يكون العمل في ذاته غير مقصود به إلا الخير كأن يرتب لك خادمك أوراقك في غيابك ولكنك لما لقيت في يومك من النصيب أو لعسر هضم تعباته تخرج عن طورك ويبلغ غضبك مبالغة لا يتناسب مع الظروف - أى لا يلائمها وفي هذه الحالة يكون عدم التنااسب بين الاحساس والظروف مرجمة إلى

علة فيك والعيب عيب المفتاح اذ كان قد هاجك ملا يهيج فاذا أصبحت في اليوم التالي وقد سرى عنك وسكنت نفسك وهذا ثائرك وبidalك تهورك فقد اعدت التوازن بين الاحساس والحادثة ولكن اذا ظل غضبك في الصباح كما كان في المساء وطردت الخادم فان المسالة تخرج عن كونها عدم تناسب بين الاحساس والحادثة وتصبح عجزا عن اعادة التوازن بينهما يدل على ان « عملية » الموازنة او الملاعنة مضطربة .

وهذا المثلان ينطبقان على عدم التلاؤم بين المرء والبيئة على العموم فقد يكون انتفاء ذلك راجعا الى علة عضوية او الى ان للبيئة احوالا ليس لها المرء بكماء او هو يجهلها او لا يعرفها معرفتها وفي كلتا هاتين الحالتين يكون العيب في القفل او المفتاح ولكن اذا كانت البيئة ليس فيها من الاحوال الا ما يستطيع ان يكافحه الرجل العادى وكان المرء قادرا على الوجهة الجسمية ولكنه يعجز مع هذا ان يلائم بين نفسه وبينها فان الفشل في هذه الحالة لا يكون مرجعه الى عدم كفاية او عيب في هذا العامل او ذاك بل الى فساد عملية الملاعنة ذاتها ومعنى ذلك ومدلوله يعرفهما كل طبيب وهذا الفساد تصبحه ابدا ثلاثة مظاهر : اضطراب الاجهزه العصبية والاضطراب في السلوك والاضطراب في الادراك ويدخل في هذا ما يعتور الفكر والاحساس والشعور بالذات وبعلاقة المرء بالوسط وهي اشياء على اوضاع ما تكون في قصص المنفلوطى كما سترى فيما يلى .

## العبارات «قصصه المتجم»

ونعود بعد هذا الإيضاح الى ما كنا بداناه من الكلام على عبراته  
فنقول انها على نوعين : منها طائفة مترجمة عن امثلة الضعفاء  
الداهفين مذهب التصنع والافراط في الرقة والأنوثة والباقي موضوع  
وهو في كلية ملتقى مستحيل التلقيقات - حتى فيما هو مترجم  
منها يأتي له ذهنه المتৎكس الا ان يغير ويبدل تبديلا كبيرا الدلالة .  
وقد قرأت له هذه العبرات فوجده في كل قصة تقربيا بينما هو  
جالس في مكتبه الذي كأنما صار ملتقى كل صوت ولاقط كل نبرة  
وموجة اثيرية اذا به يسمع انينا او حنينا او صوتا خاقنا او توجعا  
او زفيريا او نهيقا او شيئا من هذا القبيل فيظل من نافذته السحرية  
فيري فتى فيما شاءت له تلقيقات او هامه ومنكرات احلامه - من  
ال歇 ملتقى يتوجع على سريرا او حصيرا فيدهبا اليه ولا يزال به  
حتى يقسن عليه أمره ويروى له خبره ويكشف له عن مظاهر انوثته  
ثم يموت الفتى - وهو ما لا بد منه في كل حكايات المانغلوطي فما اعظم  
شؤمه على ابطاله - فيفسله ويلفه في الاكفان ويحمله الى قبر يدفنه  
فيه وينشر عليه دمعة من دموعه التي كأنما لها « زر » في تضاعيف  
ثيابه يضغط عليه فتنحدر وتسيل وان كان لم يตก على طفليه اللذين  
ماتا في اسبوع واحد !!

فبالله ما لهذا الحانوتى الندابة وللأدب الذى هو حياة الأمم وباعت القوة فيها ونافت الحرارة فى عروقها وحافزها الى أجل المساعى ؟ لقد كان المنفلوطى يستطيع ان يتعظ بمصير ابطاله المختفين - ان جاز الجمع بين النعتين - وبموتهم فى شرخ الشباب وميغة العمر وكان فى وسع قرائته ان يعتبروا بهم لولا سقم اذواهم ومرض نفوسهم ولكن لكل كاتب قراءا على شاكلته منسوجين على منواله وان اخوف ما تخاف على هذه الامة ان تجد هذه الجرائم ترى صالحها فى نفوسها فى وقت هى احوج ما تكون فيه الى من يبدى فيها بدور القوة ويدفعها الى تطلب الحياة العالية .

كتب جيته الشاعر الالمانى رواية «احزان فرتر» وهو في التاسعة عشرة من عمره اي قبل ان ينضج ويستكمل الرجولة فراجت واشتهر امرها وانتشر بها الصيت الى كل ركن وذهب بها السمع في كل زاوية في العالم الغربى ونتقلت الى جميع اللغات الحية ولكن واضعها الذى كان حقيقة ان يزهى بهذا النجاح وأن يفتتن بما وفقت اليه باكورة اعمال من الديوع واستفاضة الذكر وأن يغريه ذلك بالمضى في هذا السبيل ويتقليد نفسه مرة ثانية وثالثة - ظل الى ان مات لا يندم على شيء ندمه على وضع هذه الرواية ولا يخجل من عمل له خجله منها حتى لقد تمنى لو استطاع ان يجمع كل نسخها من ايدي الملائين من قرائتها ليوكل بها النار !!

ولماذا كان يخجل منها ويشعر انها وصمة لرجولته ؟؟ لأن فرتو بطلها اتحر من اجل خيبة في ميدان لهو وغرام ! والحياة اجل من ان يقطع المرء جبلها لخيبة امل كائنا ما كان او ان شئت فقل هي اهون من ان يكبر المرء امر سعادتها ونحوها الى هذا الحد . وأن مما يضم الرجولة ولا شك ان لا يكون صحيح الادارك للأمور وأن لا يستطيع ان يلبس الحياة ملابسة قوامها حفظ التوازن بينه وبين الوسط .

فأين تختبئ العبرات من هذه الرجولة الضخمة التي تقترب  
واجب الحياة وتعرف فرائضها ولا تفر منها ؟ رجولة لا تقوى في  
الدنيا أشقياء كثيرون فلأياك عليهم ولا ندب سوء حظهم ونحس  
طالعهم ولانعمهم الى الناس بل تقول الحياة طلوع ثنايا ومصارعة  
منايا والناس كلهم ساعون فمن مخطيء ومصيبة وناهض وكاب عاشر  
وناجح موفق وخائب مجهد وكلهم يقضى حق الحياة عليه ولا يمطلاها  
دينها بل يؤديه اليها من دمه وقوته وعمره وهو مشكور أن أفلح  
ومعذور أن أخفق

جيته – تلك الصخرة القائمة في لع الحياة تناطحها كل موجة  
وتلطمها كل ريح وهي وطيدة لا تلين ولا تساقط. على الصدمات  
والآهوال – هو مثال الرجل الخالق بالحياة ، هو البطل الذي قرط  
هذه ثورة « كارليل » الهائج في ميادين الفكر لا يعرف السكون  
ولا يدوق طعمه الا بالتمني حتى لم يسعه لما ترجم احدى روايات  
جيته الا ان يخضع للجامه ويستفيد لعنائه والا ان يخرج عن  
طبيعته – ان صح هذا التعبير – وينسى جموجه مع المعانى وركضه  
في حلبة متوعرة من الأداء فجاء أسلوبه فيها سلسا كالماء الرقراق  
المتحدر في سهل دمث من الأرض .

ولعمرى ما أبعد البون بين أدب تمليه الحياة المتداقة وصحة  
الادراك وبين كتابة ميتة مملوقة صديدا وبلى شائعا فيها بهذه  
ال عبرات والنظارات والساخافات والتلفيقات والمنكرات التي لا تعرف  
لها مثيلا في كل عصور الأدب التي مرت بالأمم قاطبة من آرية  
وسامية !

خذ مثلا للذلك قصة « اليتيم » التي صدر بها عبراته و موضوعها  
أن قتى في العشرين من عمره مات أبوه وتركه فقيرا لا يملك شيئا  
فكفله حمه وأكرمه وأحسن اليه احسانه الى ابنته التي كانت في  
مثل عمر الفتى فشبا عشيري صفاء وخدنى مودة ووفاء ، ثم ذهب

العم الى جوار ربه بعد ان اوصى زوجته ان تكون للفتى الذى لا اسم له ولا ام – اما كما كان هو له ايا ولكن الزوجة لم تلبث ان تنكرت للفتى فزعمت انها عزمت ان تزوج ابنتها ترى ان في بعائتها بجانبها ما يرببها عنده خطيبها وانها تريده ان تتحذل للزوجين مسكنة ذلك الجناح الذى يسكنه الفتى من القصر وأمرته ان يتحول الى منزل آخر يختاره لنفسه من بين منازلها تقوم له هي بشانه وشأن نفقاته فيه فاكبر الفتى ذلك وعظم عليه الامر وأسودت الدنيا في عيشه لانه يحب الفتاة جدا لا يعلم به أحد ولا الفتاة نفسها ، بل ولا هو نفسه الا في هذه الساعة . فانسل من البيت ليلا واثر ان يستشرد ثم سكن الغرفة العليا من المنزل المجاور لمنزل المنفلوطى . ولكنه لم يستطع البقاء فيها ساعة واحدة فرحل رحلة طويلة قضى فيها بضعة اشهر لا يهبط بيلاة حتى تنازعه نفسه الى اخرى ، ثم شعر بسكون قعاد الى الحجرة فلزمها هي ومدرسته ولم يبق من اثر لذلك العهد القديم الا نزوات تعاود قلبه امن حين الى حين . ثم ان خادمته في بيت عمه اهتدت اليه وحملت اليه كتابا من الفتاة تطلب اليه فيه ان يأتي ليودعها قبل موتها ، ولكنها ماتت قبل وصول الكتاب اليه فلحق بها ومات هو الآخر فدفنه المنفلوطى معها تنفيذا لوصيته .

هذا هو موضوع القصة . والآن فلترجع ايها القارئ الى مثال القفل والمفتاح . ليس في المفتاح عيب فان الفتى كان صحيح الجسم موافق العافية ليس به شيء من الآفات التي تهدى بالمرء عن ملasseة الحياة على الوجه الصحيح . فاذا كان الامر على خلاف ذلك فالذنب للمنفلوطى الذى نسى ان يذكر لنا عللها وأوصابه الجسدية . كذلك ليس في القفل عيب . لأن الظروف المحيطة بالفتى والاحوال التي كانت تكتنفه ليس فيها ما يتعجب الرجل العادى السليم عن مكافحته ولكن يقتنع القارئ بما نذهب اليه نجاوى الاجمال الى التفصيل ، ارادت امراة عمه ان تزوج ابنتها وهي رفبة طبيعية تحسها

كل أم ولم تكن تعلم أن الفتى يحبها لانه هو نفسه لم يكن يعلم ذلك ويدريه ومصدق هذا قول الفتى وهو يحدث المفلوطي .

ولا أعلم هل كان ما كت أضمراه لابنة عمى في نفسي ودا واحد او حب وغراها ، ولكنني أعلم انه ان كان حبا كان فقد بلا امل او رجاء فما قلت لها يوما اتنى أحبها لانى كنت أضن بها وهي ابنة عمى ورفيقه صبای ان أكون أول فاتح لهذا الجرح الاليم في قلبها ، ولا قدرت في نفسي يوما من الأيام ان أصل اسباب حياتي بأسباب حياتها – ولا حاولت في ساعة من الساعات ان أتسقط منها ما يطمع في مثله المحبوب ولا فكرت يوما أن استشف من وراء نظراتها خبيئة نفسها لا علم اى المزالتين ازلها من قلبها منزلة الاخ فاقنع منها بذلك او منزلة الحبيب فأستعين بارادتها على اراده أبوها » .

فما ذنب امرأة عمها اذا كان قد شاء ان لا يتكلم او يقدر او يتسلط او يستشف ما يستشفه كل محب ويتسقطه ويقدره ويقوله ؟ وهو يعلم ان لا لوم عليها في جهلها ما لو كانت علمته لكان لها شأن آخر معه ، ولا يعقل ان يحسب المرء ان الناس اعرف منه بخبيئة نفسه .

اذن فليس في رغبة امرأة عمها ان تزوج ابنتها شيء يستدعي منه ما صنع . كذلك لم يكن يستوجب منه التشد والانسلاال تحت الدجى طلبها اليه ان يتحول الى منزل لها غير الذى يسكنه على ان تقوم له ببنفقاته فيه حرضا على الفتاة ان يربىها شيء من وجوده الى جانبها عند خطيبها . فأنه موقف معقول واحساس طبيعي . ولا شك ان في هذا الطلب غضاضة . ولكن قليلا من التفكير بعد ليلة او ليلتين كان خليقا ان يجعله يسيغها . فلماذا انسل وآخر الاستشهاد والرحيل في البلاد ، ثم لماذا بعد ان سكتت نفسه بلغ من وقع الخبر الذى حملته الخادمة اليه ان مات ! اليس الواضح البين انه عجز عن الملاعنة بين نفسه وبين هذه الاحوال والظروف عجزا ليس مرده لا الى آفة في جسمه ولا الى الظروف !

وهذا بعد ليس في شيء من الحب الطبيعي الذي يحس حامله  
بالنهاية منه احساسا واضحا ويدركه اتم ادراك ، والذى لا يعطا  
يطلب التعارف الجثمانى الكفيل بحفظ النوع . لا كهذا المسكين الذى  
لا يدرى أهوا يحب ابنة عمه حب الاخ لاخته ام حب الرجل للمرأة .  
ولا يقدر في نفسه أن يصل أسباب حياته بأسباب حياتها ولا يحاول  
أن يعرف ما عندها له أو يطلب منها ما يطلب كل محب . وهو كلام  
لا يرضى من قلب الروايات الفاسدة عقولهم ومسخت طبائعهم  
ولا يروق من تعلموا من هذه القصص ان يعدوا الهوى العتري الذى  
لا وجود له في هذه الدنيا الدنيا مثلا ليس أعلى منه للحياة – واللين  
الذائب والنحول والضئى من دلائل سمو النفس – والانقياد للمرأة  
كالكرة في يدها والقمعود تحت حكم نظراتها وآيماءاتها وحركات  
حاجبيها وشفتيها ويديهما ورجلها من علامات الرجولة وآيات  
الفتوة والبطولة دع عنك الا ضطربات البهلوانية من جسمية وعقلية  
والزفرات والانات والدموع وتقليل الاكف والذهول والنحول  
والاصرفار والاطراق ونكت الأرض والكلام الذي لا يقوله ولا يفهمه  
ماقل والنظرات التسarde البلهاء في المجالس والمحافل وسهر الليل  
ورعنى النجوم وضم المخادع ومعانقة السرير وتقبيل اطراف الاصابع  
للأشباح والخيالات وتحميل الرياح انواع السلامات والتحيات  
الطيبات المباركات . . .

لا . لا يرضي هؤلاء كلامنا وان كان الحقيقة لانهم لا يطمعون على  
الحياة الا من منظار المنكرات التي تصفها لهم هذه الروايات  
ولا يفكرون او يحسون او يعملون الا على مثال اشخاصها ولا غرابة  
في ذلك فان من لا تؤهله تجاربها او معارفه لتصحيح خطأ الروائي  
لا يسعه الا أن يسلم بصدقه ويستمد رأيه في الحياة من كتابته  
ويتخذ اشخاصه قدوة تحتلدي وتقلد . وهى نتيجة يعلمها من له  
اقل المام بعلم النفس وبتأثير الابياء لا سيما في الضعفاء والشبان  
والنساء ومرضى الاعصاب .

وأذكر على سبيل التمثيل لتاثير هذه القصص المنحوسة أن  
أعْرَفُ رجلاً بلغ من أسلوبه «سنكلر» وضروب احتياله على نفسه  
وهو أنه في صدر أيامه أن ظل سنتين وليس له غاية يطلبها سوى أن  
يكون على رأس فرقة من «البوليس» السرى يطارد المجرمين . ذلك  
لأن هذه القصص الكاذبة الصور المستحيلة الواقع تحدث الإضطراب  
في نضوج الإحساسات الطبيعية في نفوس الشبان وأخصها الحب  
بتنبيهها مركز التوليد قبل الاوان وقبل أن يكون الباعث على الحب  
هو النضوج الجنسي في الفرد .

## أسلوب المنفلوطى

اما اسلوب المنفلوطى في هذه القصة وفي سواها فاسلوب رجل لا يبالى من اى مدخل دخل على القارئ ما دام يقدر ان سيصل منه اليه ولا اى بلاء يهدى به في احتياله ويتحممه عليه واذ كان يعرف من نفسه التلقيق والتصنع فهو لا يزال يعالج الاقناع والتأثير بضروب من التأكيد والفلو والتفصيل وغير ذلك مما ليس ادل منه على الكلب والتزوير لما وقع في وهمه من انه يكسب الكلام قوة وشدة لا يفيدهما ان يلقى ساذجا ويدعه غفلا واول ما يستوقف النظر فيه من هذا ولعه بالمفعول المطلق وتكلفه له لظنه انه من المحسنات الازمة للصلقل وان العبارات بدونه تكون مبتورة ، والجمل لا يجري فيها النفس الى اخره دون توقف واعتراض . ومع ان قصة اليتيم في تسع عشرة صفحة وبعض صفحة من الحرف الجليل فان فيها اكثر من ثلاثين مفعولا مطلقا ليس من بينها واحد لا يكون اسلوب اسلس واطبع بدونه . لكنه ذهب الى المبالغة في كل شيء وآلى ان يجاوز كل حد معقول طلبا للتأثير من طريق الافحاش في التأكيد فلم يكن له بد من هذا المفعول المطلق الذى لا يكاد يمر به القارئ في اى كتاب يفتح من كتب الادب .

وعلمون ان الكلام لا قيمة له من اجل حروفه فان الالفاظ كلها سواء من حيث هي الفاظ ، وانما قيمته وفصاحتها وبلغتها وتأثيرها تكون من التأليف الذى تقع به المزية في معناه لا ، اجل جرسه

وصداء ، والا لكان ينبغي ان لا يكون للجملة من النثر او البين من الشعر فضل مثلا على تفسير المفسر له . وملووم كذلك ان الالفاظ ليست الا واسطة للاداء فلابد ان يكون وراءها شيء ، وان المرء يرتب المعانى اولا في نفسه ثم يحدو على ترتيبها الالفاظ وان كل زيادة في اللفظ لا تفيذ زيادة مطلوبة في المعنى وفضلاً معقولاً فليست سوى هذيان يطلبه من اخذ عن نفسه ، وغيب عن عقله ، وأبلغ من ضلال الرأى ان راح يحسب ان تأليف الالفاظ تأليفاً طبيعياً مطرداً خالياً من العكس والقلب منها عن الحشو والحضر يذهب برونق الكلام ويفقده المزية والتأثير . وينسى المسكين ان كان كلمة يستطيع القاريء ان يقطها بدون خسارة في المعنى او تعويق لتحوله الاحسasات او افقار لفنها - كل لفظة يمكن الاستغناء عنها قاتلة للكاتب ، فان العالم اغنى في باب الادب من ان يتحمل هذا الحشو ويصيير عليه وليس شيء احق بان يثير عقل العاقل من عدم اكترااث الكاتب لوقته ومجهوده وكم من كاتب اضربه هذا الداء وآخر ضئيل الشأن والحال لم يحيه من المزايا غير حبك الاداء ، ولكن هذا كلام لا يفهمه المنفلوطي لأن اللغة عنده ليست الا زينة يعرضها وحلى يخيل بها لا اداة لنقل معنى او تصوير احساس او رسم فكرة . ومن اين له ان ينزل اللغة هذه المنزلة وهو لا معنى في صدره ولا فكرة في ذهنه .

وهذه أمثلة للمفعول المطلق في كتابة المنفلوطي وكلها لا ضرورة فيها ولا داعي الا من الرغبة في تأكيد الفلو الذي يتطلبه من يحمل نفسه على التلفيق والتصنع او ما يجري هذا الجرى من الاغراض الأخرى .

- ١ - وقلت لابد ان يكون وراء هذا المنظر الضارع الشاحب نفس قريحة معدبة تذوب بين اضلاعه ( ذوبا ) .
- ٢ - فيتهافت لها جسمه ( تهافت ) الخباء المقوض .

٣ - ثم لم أزل أراه ..... أو منطويًا على نفسه في فراشه يُنْ  
 (أثنين) الوالهة التكلى .

٤ - وأتمنى لو استطعت أن أدخله (مداخلة) الصديق  
 الصديقة .

٥ - وقد بلغ الأمر (مبلغ) الجد .

٦ - وقد سمعت الليلة تعالج نفسك (علاجا) شديدا .

٧ - نشعرت برأسه يلتهب (التهابا) .

٨ - وإذا قميس فضفاض من الجلد يموج فيه يدنه (موجا) -  
 يصف حوله .

٩ - فاستفاق قليلا ونظر إلى (نظرة) علبة .

١٠ - فتنهد طويلا ونظر إلى (نظرة) دامعة .

١١ - أصبحت معنيا بأمرك (عنایتك) بنفسك .

١٢ - فأنزلني من نفسه (منزلة) لم ينزلها أحد من قبل .

١٣ - ١٥ - قعنى بي (عنایته) بها وأرسلنا إلى المدرسة في يوم  
 واحد فائست بها (أنس) الأخ باخته وأحبيتها (جسا)  
 شديدا .

١٦ - ولقد عقد الود بين قلبي وقلبها (عقدا) لا يحله الارب  
 المنون .

١٧ - فتشرق لها نفسانا (اشراق) الراح في كأسها .

١٨ - ثم انسلت من المنزل (انسلا) من حيث لا يشعر أحد .

١٩ - وهكذا فارقت المنزل ... (فارق) آدم جنته .

٢٠ - فرحلت (رحلة) طويلة .

٢١ - هنالك شعرت أن قلبي قد فارق موضعه إلى حيث لا أعلم  
 له مكانا ثم دارت بي الأرض الفضاء - يعني غرفته -  
 (دورة) سقطت على أثراها في مكاني .

٢٢ - فحزنت عليها (حزن) الشاكل على ولدها .

٢٣ - وما وصل من حديثه الى هذا الحد حتى زفر (زفرة) خلت ان كبده قد ارفقت .

٢٤ - وان الضربة التي اصابته قد سحقته (سحقا) .

٢٥ - ٢٦ - اشمر برأسى يحترف (احسترافا) وبقلبي يذوب (ذوبا) .

٢٧ - تم انتفاض (انتفاضة) خرجت نفسه فيها الخ .

وقد عدتنا له الى الان ٥٧٢ مفعولا مطلقا ولا ندرى الى اى رقم يرتفع العدد اذا استقصينا وانما حملنا على تجسيم انفسنا هذا الحساب غرابة هذا الكلف منه بصيغة المفعول المطلق . ولنعرف هل الشيأن واحد في كل كتابه ام هو اتفاق ومصادفة في هذه القصة وحدها فاذا به قد استعمل هذه الصيغة أكثر مما استعملها العرب جميعا !

ولعل القارئ لاحظ فيما اوردنا من الامثلة كثرة النعوت والاحوال كقوله « خرجت منه » - يعني المترى - شريدا طريدا حائرا ملتاما » وقوله : « تركنى فقيرا معدما لا املك من متع الدنيا شيئا » وقوله وراء هذا المنظر الضارع الشاحب نفس « قريحة معدبة » وقد يعلم القارئ او لا يعلم ان هذا الاسراف في النعوت من دلائل الضعف وفقر الذهن لأن الكاتب انما يرصها واحدا بعد واحد وفي مرجوه ان يوافق واحد منها محله وأن يقع في مكانه ولكن المطبوع يعرف ماذا يأخذ وما يلقى وينبذ وانما كان هذا الاكثار من الصفات من علامات الوهن لأن الكاتب الضعيف لا يستطيع ان يتحرى الدقة اذ كان لا يدرى أى الرموز اللغوية اكفل بالعبارة النابية عن المعنى المراد فهو من اجل هذا يستعمل اللغة جزافا ويكيل اللفاظ بلا حساب مستعينا على الاختيار بالارتباط الفامض بين الالفاظ في ذاكرته وبرئين الاصداء المتقطعة للآصوات المألوفة . وهناك امر آخر

وهو أن الترافق في اللغة من الأكاذيب الشائعة أذ ليس ثم في الحقيقة لفظان يؤديان معنى واحدا على وجه الضبط . وما من متراودين يزعم الزاعمون أنهما سواء في المدلول الا وبينهما مقدار من الاختلاف قل او كثر ، فإذا ساق اليك كاتب سلسلة نعوت متقاربة المعانى متشابهة المدلول كان لنا أن نسأل أيها يعني على التحقيق وأى مدلولاتها المتفاوتة يقصد اليه ويريد منا في فهم المراد أو تكوين الصورة ان نعتمد عليه ؟ لأن السرد لا يستقر به معنى على حد ولا يعين على التصور اجراء الوصف على كثرة الاسناد والعد والشأن في هذا مثله في التصوير والرسم فكما أن المعمول فيهما ليس على كثرة الالوان بل على أصابتها مواضعها ووقعها مواقعها قلت او كثرت وصححة التأليف بينها كذلك في الكتابة ليست العبرة بتعدد النعوت ولكن بمبلغ ابانتها عن المراد وكشفها عن المقصود .

أترى سيسمعنا السخفاء وأشباههم من يعرفون من ناحية . وينكرؤن من ناحية أن هذا ليس سوى فن وكترة محفوظ ؟ نعم وماذا عساهم لا يقولون ، وبأى حمساًة وضلال لا يتعلقون ؟ ولكن هنا أصلا يفوتهم العلم به ويخطئهم التوفيق اليه وإن كان على هذا لا يحتاج الا أيسر فكرة وأدلى نظرة وهو ان اللفظ من حيث هو لفظ مفرد لا شيء في ذاته ولا معنى له في نفسه ولكن يكون المعنى وتحصل الفائدة بالتأليف وبضم اللفاظ بعضها الى بعض كاللون في ذاته لا يفيده صورة ولا يعطيك شيئا الا بعد ان ياتلف مع سواء ويجرى كل الى أخيه مجرأه وليس لغير ذلك مساغ في العقل او مجاز الى الفكر وقيام في النقوس فلا كتابة حتى يكون معنى هو المزجي لها والمقدم والمؤخر والرتب فيها وفي جعلها موافقة او مخالفة ومصيبة او مخطئه وحسنة او قبيحة سخيفة ، والا فأن أحذنا لا يعجزه أن يعمد الى معجم او كتاب متراواف فيأخذ منه ويسرد وليس كثرة اللفاظ المستعملة المسوقة من شأنها أن تدل على كثرة الاطلاع وسعة الحظيرة وطول الباع وانما التأليف والتركيب والافتنان بهما والقدرة عليهما هي آية هذه السعة والطول والكثرة

فلا تجعل بالك الى الالفاظ اذا شئت ان تعرف مكان الرجل من العلم وحظه من العرقان ، ولكن اجعله الى طريقة تأليفه الكلام فان رأيته يدور منها في حلقة لا يكاد يعودها حتى يكر اليها فاعلم انه ضيق المضطرب محدود المجال ، ضئيل الحال ، والق بعد ذلك الفاظه من اى حلق شئت .

وكذلك المنفلوطى لا يكاد يفوتك ان تقرأ له هذا التركيب : « قعدت به حزينا منكسرًا وما على وجه الارض أحد أذل مني ولا أشقى » - « ومارئى مثل يومها يوم كان اكر باكية وباكيا » او هذا التأليف « فما هو ان مرت أيام الحداد حتى رأيت وجوها غير الوجوه » - « وما هي الا أيام قلائل حتى ضرب الدهر بينهما بضرباته » ونحن فانما نمثل ولا نستقصى ولو كان الرجل واسع الحيلة رحيب المصال لوجد له مخرجا من هذه الدوائر - والالفاظ كالحجارة في محاجرها قريبة المنال من كل طالب والناس لو عقلوا من أمرها في راحة وانما الكتابة مجسها الحصافة والتثبت في انتقاء الالفاظ واستشهاد القرىحة وسبر النفس وفليها عند تأليفها والمزاوجة بينها .

فإذا تقرر هذا وان المنفلوطى ذاهب مذهب التخنيت في كتابته وملحق مستحيل التلفيقات ، وانه لا يزال يعالج التأثير بالتطري والرخاوة في المعاطفة المتکلفة والاحساس المصطنع وبالغلو والتاكيد في صوغ الكلام وتصوير المسألة فان بنا بعد هذا ان ننظر كيف يسوق القصة اى في الاسلوب بمعنى الطريقة التي يحرى عليها فيتناول الموضوع وعرضه .

وقد ألف الناس لطول عهدهم بالمقلدين ان ينظروا الى الاسلوب من حيث هو تأليف للكلام على معانى النحو ونحن نريد ان نلقى على هذه القردة درسا فيما يفيده صحة النظر واعتدال ميزان العقل وسعة افق الفكر .. وانا لتعلم انه لن يفيدهم الا الحسرة على ما اضاعوا من العمر وجنوا من السوء والخبيث في هذه الامة التي نكبت بهم على

قدر سلو أعينهم وضلال افهامهم ، ولكن ما قصدناه فقط الى اعمالتهم  
عطاهم فيه وان كانت الخزانة حاضرة بل تبصیر من له طبع من  
النشیء اذا قدحته وری وهدی من له قلب اذا اریته رأی .

ونهد لانزيد تبينه بمثل من التصوير محسوس فان هنا قوما لا يدركون الشيء او يصدّهم فنقول ان ه هنا في ناحية من الطريق شرطيا واقفا يرقب الحركة ويلاحظ العادين والرائحين والراكبين والرجلين ويمنع الزحام ويقتاد المتنزرين الى الشر الى اى هو تابع له من « الاقسام » تراه وتزن التبعة التي عليه والسلطان الذي في يديه وتقيس النصب الذي ينبغي ان يعانيه الى القدرة الالزمة التي لا تؤديه فتعطف عليه في محنته وترثى له في وقته وتصوره وانت ناظر اليه من جانب الجد الذي لا هزل فيه وفي ضوء الواجب مكابدا اوامر ونواهيه - هذا وربما ذهبت تعتبره منة اخرى من الجانب المضحك في هيئته وفي تراخي همته وبطء حركته او عدم التلاؤم والتناسب في بزته ووفاء قامته وتخاذله في مشيته وتشاويه واستناده الى الجدران وذهول نظرته او حواره مع البااعة وتأتيه الى غاية وتقطبيه جيئه وهو يدفع في جديته او تواريه في الدروب ووراء العمد اذا جد الجد بالطعام في « نقطته » الى آخر ذلك . ثم تصوره صورة تركبها فيها بالدعابة فائت قد تناولت موضوعه من جهتين متباينتين اذ كنت قد نظرت الى امره وحاله نظرتين مختلفتين كنت في الاولى جادا وفي الأخرى هازلا وجعلت الصورة في كل من المرتين معيرة عن اعتبارك ايها ناطقة بالفرض منها فوجهة النظر الى الموضوع والطريقة التي تتحرّاها لغايتك هي ما نسميه اسلوب التناول ولا شبهة في ان المرء ينظر الى الامور من جهات معينة - من ناحية الجد او الهزل او المألفية او الشذوذ او الجلال او الحقاره وليس يعنيها من اى ناحية عالج المسالة وانما الذي يعنيها مقدار ما في سعيه من صدق السريرة وصحة الادراك ودرجة النجاح ومبلغ التغلب على الصعوبات . ونقول مبلغ التغلب على الصعوبات لأن

القصصي لا تظهر قدرته في المواقف الهدئة السلسة وإنما تستبين وتتضح حيث تكون أشخاصه تحت ضغط العواطف القوية وفي المواقف التي تتطلب أدق النظر وأشق التمييز وأصح العبارة .

فكيف تناول المنقوصي موضوعه وما هي الفكرة العامة التي نظر بها فيه ، وبماذا أعد لها وكشف عنها وهل اللنة التي استعملها صادقة وهل السلوك الذي عزاه إلى أشخاصه مما هو معهود في الأدميين كما نعرفهم وما مبلغ اسرافه أو قصده وما مقدار خبطه وتخليطه أو أصابته وسداده .

عن قائل يقول : إنك تضعي في ميزان لم يتعصب لنفسه ولا كان في باله ولا جرى له هو وأمثاله في خاطر . ورددنا على هذا الحاجة أن الأدب لا شأن له بهذا الاهتمام أو الجهل والاعتداد فيه إلا بالصلاحية للحياة . وهي هي ميزانها أبداً واحد لا رفق فيه ولا هوادة فان خفتم على أصحابكم ان تشيل به الكفة فاخرجوا به من هذا الميدان وادهبوا محمودين مشكورين على النكوص . فان ابitem الا ان تعدوه كتاباً أدبياً فلامسح عن قذفه في هذا الآتون الحامى لنعرف من اي معدن هو . وانتم بعد خلقاء ان تروضاً لصاحبكم مانر تضى لأنفسنا مختارين مرتاحين فانا نعيش في عصر تفكير عميق . وعهد قلق عظيم واضطراب كبير ، وشك حييف ليس يتسع لهذه المكرات والشناعات والتلفيفات عصر تتعصر فيه العقول ويستنفذ في حيرته مجهود القلوب وقد استولت الظلمة على عوالمنا السياسية والخلقية والعلقية وصارت حياتنا محاطاً زاخراً العباب يضطرب بنا متنه في عشى لياليينا المتباوحة بصيحات التك والظما إلى المعرفة والحنين إلى النور .

ولقد غبر زمن لم تذهب في أثره عقابيل أدواه كان القوم فيه يحسون أن الأدب والفلسفة - أو النظر المخلص الصحيح أن شئت - لا يتفقان وإن الفائز على الأسرار الطالب للحقائق لا يكون أدبياً وإن الأديب لا يكون سعفداً ورائداً وإن ما وصل الله من الخصائص .

والغة يجب أن يقطنه الإنسان ويغادري بيته ولكن عهد الظواهر والزبد والقشور وقد سقط في هوة الابد وجاء زمننا الشادي بصلة الطبيعة بنفس الأدمى الراکض بمداركه من ميدان الى ميدان ، والمرing وراء السماء سماء وبعد الاباد ابادا ، المصينخ الى صوت اعتلاج موج الزمن المتكسر على صخور ذلك « العالم الآخر » .

ونعود الى صاحبكم المنفلوطى - وما أهول هذا الانحدار - فنقول: ان فيما أسلفنا القول فيه من حيث موضوع القصة وسلوك شخصها لكتابية وفوق الكفاية . ولقد كان حسب سوانا في غير هذا الباب ان يشير بطرف القلم الى ما فصلناه ولكننا وطنا النفس على الجلد ورضناها على السكون الى ما تكلفتنا اياه حداثة العهد بالأدب الحى.

يحسب المنفلوطى ان تكلف التفصيل في المحسوسات مظنة الاجادة وفاته - وانى له ان يفهم هذا - انه لا يعجز احدا ان يقول لك هل فلان هذا الذى تراه طويل ام قصير ونحيل ام بدين وهل في يده كتاب ام عصا ونائم هو ام جالس ؟! وانما محك القدرة في تصوير حركات الحياة والفاطفة المقدة لا ظواهر الاشياء وقشورها وفي رسم الانفعالات والحركات النفسية واعتلاج الخوالج الذهنية وهو بسبيل ذلك .

اما تفصيل المنفلوطى فلا خير فيه بل الخير في اجتنابه وتحاشيه وليدرك القارىء ان هذا المسكين يروى عن نفسه ويحدث بما يلسى انه كان شاهده من غرفة مكتبه المطلة على غرفة الطالب - وهو بطل القصة - في البيت المقابل له في الشارع فاسمع ماذا يقول المسكين وهو يظن انه قد استحق المنزلة الاولى بين شيوخ الرواية .

« كنت اراه من نافذة غرفة مكتبي وكانت مطلة على بعض نوافذ غرفته فأرى أمامي فتى ( شاحب ) الوجه منقبضا جالسا الى مصباح منير في احدى زوايا الغرفة ( ينظر في كتاب او يكتب في دفتر او يستظر قطعة او يعيد درسا ) فكيف استطاع هذا التمييز بين

الاستظهار والاعادة وكيف رأى شحوب لون الوجه مع هذا البعد ؟  
ولكن هناك ما هو أدهى :

« عدت الى منزلي منذ أيام بعد منتصف ليلة قرة من ليالي الشتاء فدخلت غرفة مكتبي لبعض الشئون فأشرفت عليه فإذا هو جالس جلسته تلك الى مصباحه وقد أكب بوجهه على دفتر منشور بين يديه على مكتبه فظنست أنه لما ألم به من تعب الدرس وألام السهر قد عبث بجفنه سنة من النوم فاعجلته عن الذهاب الى فراشه وسقطت به في في مكانه فما رمت مكانى حتى رفع راسه فإذا عيناه مخضلتان من البكاء وإذا صفحة دفتره التي كان مكتبا عليها قد جرى دمعه فوقها فمحا من كلماتها ما محا ومشى ببعض سطورها الى بعض ثم لم يلبث أن عاد الى نفسه » .

وهي لا تفيد ولا يمكن أن تفيد شيئا سوى أنه يريد أن يطيل الجملة ويمطها حتى يبلغ بها آخر نفس القارئ ثم هل تدرى أنه أحسن أنه موشك أن يقول شيئا مستحيلا ؟ الوقت بعد منتصف الليل والبرد قارس وبين النافذتين عرض الشارع وهو مهما ضاق و حتى لو كان الوقت وقت الظيرة المتقدمة لا يسمح بأن يرى فعل الدمع بالسطور المكتوبة أو جولان العبرة في الجفن وقد شعر المنفلوطى باستحالة ذلك ولكنه لصابه لم يجد ما يخرجه مما أوقع نفسه فيه من تكفل الحال غير أن يقول أن الفتى رفع راسه ! كان هذا يكفى لكينه من ناصية المستحيل !

وانت أيها القارئ هل قنعت أم نزيدك من هذه التلفيقات ؟  
ليس بنا بخل ولا لصاحبك عقل فخذ ثلاثة الاثانى : ذهب المنفلوطى  
إليه لأنه سمع « في جوف الغرفة انه ضعيفة مستطيلة » ووضع  
يده عليه فعلم ان الفتى محموم .

« فامررت نظري على جسمه فإذا خيال سار لا يكاد يتبيّنة  
رأيه وإذا قميص فضفاض ( واسع ) من الجلد يموج فيه بدنـه

موجا فامررت الخادم ان يأتيني بشراب كان عندي من اشربة الحمى  
فجሩته منه بعض قطرات فاستفاق قليلاً

ابنا حاجة الى التعليق على هذا الهراء ؟ لقد سمعنا بمن لولا  
محادثته ايلاك لم تره وبالجسم لو توکات عليه لأنهم فاما القميص  
من الجلد يموج فيه البدن فلم تكن تتوقع ان يسمعه أحد الا في  
مستشفى المجاذيب ! ومع كل هذا التحول احتاج صاحبكم  
المفلوطى أن يمر نظره على جسم الفتى .

ولست أحب أن انفص على القارئ كتابنا بكثرة ما أورد من  
هذه التلقيقات المنكرة ولكنني أسائله الصبر على هذه الجملة أيضاً  
ـ دعا المفلوطى الطبيب فجس المريض وهمس في لذنه أن العليل  
مشرف على الخطر ـ ولا عجب أن يصير إلى هذا المصير الخبيث  
بعد أن جرمه المفلوطى ـ شراب حماه ـ ثم دفع إليه المفلوطى  
الأجر وأحضر الدواء .

ـ « وقضيت بجانب المريض ليلة ليلة ذاهلة النجم بعيدة ما بين  
الطرفين أستقيه الدواء مرة وأبكي عليه أخرى حتى انبثق نور  
الفجر » .

ـ والعادة أن الاشربة يسقاها المريض بعد فترات ( زمنية )  
يحددها الطبيب ولكن الظاهر أن طبيب المفلوطى أمره أن يعطيه  
الدواء بعد كل ٠٠٠ بكاء !!

ـ ومع ذلك فإذا لم تكن الذاكرة قد خانتنا فان المفلوطى مات  
له طفلان في أسبوع واحد « فسكن لهذا الحادث ( سكونا ) لم  
تخالطه زفراة ولم تمازحه عبرة على فرط حبه لهما وتهالكه و جداً  
عليهما » ٤٤٤ وكذلك كان سكونه لما ماتت زوجته فقد جلس الى  
الناس يحادثهم حتى كان المرزوء سواه .

ـ وبعد أن استفاق المريض المنكوب بالطبيب والجار صب  
المفلوطى عليه وابلًا من الأسئلة وهو يعلم انه في سياق الموت

( فاستفاق ودار بعينيه حول فراشه حتى رأى فقال انت هنا ؟  
قلت نعم : أرجو أن تكون أحسن حالا من ذي قبل . قال أرجو أن  
أكون كذلك . قلت : هل تاذن لي يا سيدى أن أسألك من انت وما  
مقامك وحدك في هذا المكان وهل انت غريب عن هذا البلد او انت  
من أهليه وهل تشكو داء ظاهرا ( يالعمى ) او هما باطننا وهل لك  
ان تحدثنى بشانك وتفضى الى بهمك كما يفضى الصديق الى صديقه  
فقد أصبحت معنيا بأمرك ( عنائك ) بنفسك ؟

ومن الغريب ان الفتى لم ويصفه ماذا كان يخشى المسكين لو  
 فعل وهو ميت لا محالة - بل شرع يقص عليه تاريخ حياته الذي  
انتهى بين يدي هذا الحانوتى بعد ان فرغ من الحديث الذى يملا  
احد عشر صفحة من تسع عشرة فما اطول نفسه في ساعة الموت !  
وما اخلق هذا الادب الميت بان يروى عن المحترفين ؟ وما احق  
أهل الفتى ان يطالبوا المنفلوطى بدمه ؟

ابراهيم عبد القادر المازنى

## شوقى فى الميزان

### ٣

هرضنا (شوقى) فى الميزان لاول مرة فارجع به ارجاجا عنينا  
وأيقظه من غفلة كان فيها سادرا وما هو الا ان حط به ثم شال حتى  
تمنى ان يرتكز به على حال ، وذهب يوطن نفسه على جاه غير جاه  
الشعر ويقول لخلطائه وسماسره : « هبوني لست بالشاعر أليس  
لى فخر آخر ادل به »

تقول أجل ولكنه على كل حال ليس بفخر الفحول

اما القراء فقد يبلغ الكتاب بينهم من الاثر ما كنا نقدر له لاربعة  
اجزاء فكان استعدادهم لتلقيه دليلا على ظهوره في اوانيه -  
اسرعوا الى اقتناه حتى نفت نسخه فى أسبوع او أقل ونادرا  
ما كانت تقصى النسخة منه على قارئ واحد وتوالى الطلب له  
فى المدينة والاقاليم فلم تر بدا من التعويل على اعادة طبعه ، وقد  
كان قرأوه من طبقات الناس على افتراق نظراتها الى الأدب .  
فمنهم شيوخ وكهول من فضلاء الجيل الماضى ذوى العقول المترنة  
والنطر المستقيمة والاطلاع المجدى وموافقتهم عليه مرضية ورأيهم  
فيه جميل . ومنهم اذكياء الشبان الدارسون او السالكون على  
الجادة وكثير بينهم الشاعرون بل المتهلون . وطائفة اخرى حفظها  
من السماع اكثرا من اطلاع وجدناها الى المواقف المشغوفة

بالدهش اميل منها الى النافرة والعنف وربما عن على بعضهم ان يشهد على نفسه بين يوم وليلة بالخطأ ويتهم ناقدته بالانحراف فهو يتلمس المعاذير ويدرب لسانه على التغافل ، وفي هؤلاء امل لا يضيع ولا سيما بعد هداة الدهشة وتطامن المفاجأة لأن نزامة الشباب تغلب مع الاقتناع كل مراوغة ومكابرة ويقال على الجملة ان اثلام المحراث اشتبتت بصعيد صالح ليس فيه من يبوسسة الحصباء ما يشق تسويته او يعسر عند اليأس منه تبذله . واما التذمر فقد استقبلنا معظمها من حيث كنا ننتظره ولا تتوقع غيره ونعني فريق القراء – وبالحرى المحدثين – الذين لم نوجه اليهم خطابا . وهما فريق المعجبين على الاشاعة الدين يطربون لما يطرب له الناس فرارا من تهمة الجهل والغرابة ويغرون بالشعر كما يغرون بعضهم بجمع العاديات والمخوطات او بتربيبة الديكة ويغار على صيت شاعره كما يغار على اللعبة التي فتن بها . ومن اظرف ما يروى عن احدهم انه سمع جملة في نقد رثاء شوقي لعثمان غالب وفيها تسخيف للمناحة التي اقام لها الازهار والرياحين وسؤال عما كان من القطن ياصنافه في تلك المناحة فظنن – صان الله لشوقى اعجابه – اننا انما انكرنا سكوتة عن القطن وأردنا منه ان يذكره فقال متعجبا : وهل كان القطن ( طالعا ) وقتئذ فيذكره في القصيدة ؟؟

والفريق الآخر من الساخطين هم أولئك الذين عرفوا باتهم شركاء شوقي في ( العادات الخصوصية والمنادمات الليلية ) فما رأينا اخر من سخطهم ولا اكثر تصنعا لاسبابه وتمحلا لعمله ، وهذه آخر اشارة نلمع اليهم بها .

\* \* \*

ولا نحب ان نسكت هنا عن انتقادين سمعناهما من يحسن القصد ولا نستبعد رجوعه الى الحق متى وضح له وجهه . اول انتقادين وأشبههما بالحق اننا اخترنا او هن قصائد شوقي

وأكثرها مغامز . وليس هذا صحيحا فاننا إنما رأينا الحداثة فيما اخترناه من قصائد و هي لا تقل في اعتقادنا و اعتقاده عن أخود شعره صياغة و معنى . ولكن الحقيقة - كما قلنا في الجزء الأول - هي أن قراء اليوم غيرهم بالأمس فليس يرضيهم ما كان فوق الرضى قبل عشرين سنة . ونحن نذكر أصحاب هذا القول بأننا إنما كنا نصوب الانتقاد إلى شاعرية شوقي وذوقه وروح قصائده ومنهج أدبه متباوzen عن الصياغة واللفظ وما تؤثر فيه العجلة والتأني ، وإذا كان الطعن في الشاعرية والعاهة في الذوق والاعوجاج في المنهج فاختلاف القصائد كيما كان الموضوع والأسلوب لا يقدم ولا يؤخر في الحكم على الشاعر . ولعلهم بعد الاطلاع على هذا الجزء يعلمون أن الفديم والحديث في شعر شوقي سواسية .

أما ثانى الاعتقادين فهو إننا أغفلنا العصا لشوقى وشدّدنا عليه النكير . ولهؤلاء نقول إننا لا نهدم خطأ مؤسسا على البرهان فننقضه بالبرهان وحده ولكننا نهدم الوهم المطبق والدسائس المترابطة وما أحوج البرهان في هذه إلى الشدة وما أقل ما يغنى فيه اللين والهوادة .

ومما استصعبه إننا قرنا معانى الشحاذين . فياعجبا !!  
كأننا نحن نهينه إذا قابلناه أدعىهم وتوسلاتهم بكلام له لا يختلف عنها وهو لا يهين نفسه ويهين ضمير الأمة حين يجمع المحافل المشهودة لتكريم الشحاذة في أشنع ضروبها !! وأى حق على الناس ملن لا يعرف لنفسه ولا للناس حقا !! فنحن لا نرى للرجل في أنفسنا قدرا يتجلّى به عن أخشن عبارات الزجر والتقرير وهذا ما اعلناه في توطئة الجزء الأول ولا نريد العدول عنه في هذا الجزء ولا في الأجزاء التالية فمن كان يفقه ما نقول ولم يغصب لكرامة الفكر تداس هوانا ولضمير الأمة يلطم على وجهه عيانا فليغصب علينا ما شاء فإنه لا يعرف كيف يغصب .

وكاننا بزمرة شوقى يتساءلون : وما كرامة الفكر هذه التي يغضب لها الناس في آخر الزمان ؟؟ بدعة طارئة على ما يظهر ولكننا تؤكد لهم أنها حقيقة تحس وتلمس وان كانت لا تؤكّل ، وانها حق بين يحكم به القضاء كما يحكم بحقوق الملك والاجارة والديون !! وسنحدثهم بخبر قضية حرت ايان ظهور الجزء الأول عسى ان يعرف منها من لم يعرف بعض ما يتألف منه الاديب الجدير بشرف الادب، وما ترخص له المحاكم في التألف من اللصوق باسمه ومقاضاة الذين يجنوته عليه .

كان ولا يزال في حاضر الزمان ، لا في سالف العصر والأوان . وفي الجزر البريطانية لا في جزائر واق الواقع ومعاهد السحر والجان ، انسى يقال له رديارد كيلنج يقرض الشعر ويقص للناس القصص – لهذا الرجل فيما نظم من الشعر الكثير قصيدة عنوانها « اذا » يحضر بها الهم ويدركى في النقوس الضرم . شاعت شركة جناتوزان ان تقتبس منها أبياتا لترويج غذاء مشهور من أغذيتها التي تجهزها المداواة الأعصاب فاقتبسها وكتبتها على لفائف دوائها . فماذا كان من أمر ذلك الرجل المدعى رديارد كيلنج الذي قلنا انه يقرض الشعر ويقص النوادر على الناس ؟

زعموا انه قاضاها الى احدى محاكم لندن ، وزعموا ان وكيله – ويدعى المستر هيوز – وقف فطلب الى القضاء منع الشركة من امتهان الأبيات بهذا الاستعمال ، وقال فيما قال . « انه لم اصعب الاشياء ان يتخيّل الانسان امراً أشد ايداء لنفس المؤلف من ابتدال كلامه بادماجه على هذه الصورة في صباح الباعة على سلעם . أنها لاهانة لا تقل عن السباب المقدع لكل من لامست نفسه أقل مسحة من الكرامة الأدبية » .

قالوا : فلما نطق القاضي بحكمه على الشاعر وقال : « لا مجب ان ينفر المستر كيلنج من استخدام كلامه على هذه الصورة – وهندي

ان هذا الاقتباس لا يدخل في حق الاستشهاد الذي يجيزه قانون حقوق الطبع الصادر سنة ١٩١١» وحكم بتغريم الشركة أربعين شلنًا تعويضاً للإهانة التي الحقتها بالشاعر (١) .

فهذه اسطورة يحفظها الشوقيون ليتذكروا بروايتها عن تلك العنقاء التي يسمونها الكرامة الأدبية ، ولكن الدين لا يستغربون وقوع هذه الاساطير في غير قصور ألف ليلة حربون ان لا يقفوا بها عند حد التفكمة .

لمثل ذلك الابتداىل يفضي أديب الغربيين ويقول محامיהם انه اشد ما يتخيل ايذاء لنفس المؤلف ويؤيدوه قاضيهم باسم الشريعة ، فما بال شاعرهم أنف أن يتخذ اسمه ذريعة لترويج السلع ولو كانت دواء نافعاً وعندنا أمير شعراء وجنوده يظنون أنهم لا يقترون ما يحاسبون عليه حين يتذمرون بقضائهم وقضيضتهم لترويج شر تجارة يبوء بها كاسب ، ان صح أن التسول بالمثال تجارة !!

ذلك لأن أمير الشعراء هذا وجنوده سوقة لا يفهون للفيرة الأدبية واريخية الفنون أقل معنى ولا يفهمون من جمال الشعر انه « أسرى مروءة الدنى وأدنى مروءة السرى » كما كان يقال في عهد مدرسة الاستجداء بالقرىض ، وتأله لو لا حكم القضاء وفيه مقنع لهم لما عدوا شركوى كبلنج من تصرف الشركة الا اعجوبة مبهمة ولفزاً مقلقاً ، لأن هذا الذي أنف كبلنج أن يصنع بشعره على غيره على غير علم منه قد صنعه شوقي بشعره مختاراً وتعمد أن يكون اعلاناً لسلعة معروضة ؟ ألم ينظم أبياتاً يروج بها « ريشة صادق » ونشرها في الصحف ؟ بل فقد قال ادامه الله للدكاكين والملائكة والأفراح والسمرات :

لله ريشة صادق من ريشة تزري طلاوتها بكل جديد  
كست الكتابة في المشارق كلها حسناً وفكتها من التقييد

(١) جريدة الدليل كونيكيل عدد يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ .

وتمد في الاحسان كل «جيد»  
من ريشة الالماس عند الغيد  
من ريشة الليشى فوق العود  
وتقول أيام ابن مقلة عودى  
مصرية لاستوجبت تمجيدى  
تهدى لحسن الخط كل مقصى  
أغلى لدى الكتاب ان ظهروا بها  
والذفوف الظرس ان خطرت به  
وتکاد تحبى مؤنسا بصريرها  
لو لم يكن في الأمر الا أنها

وفي هذه الآيات اوفى دلالة على عامية الروح وتبذل الملكة —  
شعر لا يتأنبه صاحبه ان ينزل به منزلة الاعلانات التجارية ، وعقبريه  
درجة ابانت ان اخيلته وابتکاراته هي ومبالغات الباعة وتزویقات  
الدلالين وتحلية البضاعة على حد سواء . وان من يروج ريشة  
كتابة بأنها « أغلى من ريشة الالماس » لقرب نسب من ينادى في  
قوارع الطرق « ياجواهر يا عنب » والذى يدلل على ريشة عربية  
بأنها « حسنت الكتابة في المشارق كلها » انما يرشف من البحر  
الذى تعرف منه « الفرصن الحقيقية وأحسن بضاعة في العالم كله »  
و « ولم لم يكن في الأمر الا أنها مصرية » شبيهة بكل ما يناسب  
الى مصر والمصريين على عناوين الدكاكين . ولا اختلاف سوى ان  
الباعة لا يغلوطون غلطة شوقي فيقولون لهم يعرضون ريشة  
ويمدحونها بالجدة والسلامة ان لها صريرا يکاد يحيى الاموات !!  
وبعد فان المرء ليزدرى العقل الانساني نفسه ان قيل ان هؤلاء  
الصالحون الفكريين الذين تفوم عليهم الامارة الشوقية من ذوى  
مزيدا وحملة امانته في الأرض . فالادباء في الامم هم عنوان حياتها  
الروحية والفكرية ومعيار لا تحسه من مفاحر الحياة وقوى  
الطبيعة ومعنى الوجود ، وهم الرافعون فيها لقبس ذلك النور  
السماوي الذي يفيضه الله من الآيات والفنون جمالا ونبلا . ويوجهه  
كمالا وفضلا ، وهم اذا ذكرت الفصاحة في الامم صفتها الواضحة  
وطبيعتها الممتازة الراجحة ، فقل لى رعاك الله اى هذه الطفمة اميرا  
كان او مامورا تفخر الامة الحية بأنه صورة ما في نفوسها من زينة

وجمال ومظهر ، ما في رؤسها من تكر وخيال ، وترجمان ما يجول بوحدها اناتها وتعمر به صدورها من قسط في الوجود ، وتراث مقسم بين ابناء ادم . وان المرء ليزهى بادميته حين يلهى بنفسه في عمار الاداب الفريبية ، وتجييش اعماق ضميره بتدافع تياراتها ، وتعارض مهابها ومتوجهاتها وتجاوب اصدائها وأصواتها - ابواب للكتابة متوعة ، ومهابع متسبة ، وفنون مبتذلة . ونحل ومذاهب ، ومدارس ومشارب . والحياة بين هذه الافكار المشرقة معروضة للنظر في كل شبة من شياتها ، محسوسة في كل حطره من خطراتها ؛ متكررة متضاعفة ، شاكرة موقنة ، جادة ساخرة ، ناقمة راضية . شهوانية متنطسة . فياضة غير بكية ، موصولة ينابيعها مروية ، والنفس تحس من احدى نواحي ذلك العالم الرحيب ما لا تحسه من سواها . فكأنها نفوس متفرقة لأنفس واحدة جائمة .

كذلك عالمهم . ثم تلتفت الى الادب الذي يدعى أولئك الاميون المارفون بالكتابة ، الجهلة المتذرون بلباس المعرفة . العامة المتطفلون على موائد الخاصة فترى عجبا . ترى هذا عاكفا على رقمته ولعلمه وذاك مدبرا الى رببه وسربه ، ومادحا وهاجيا ومحسوبا على آل فلان ومتمسحا بآل عمران . نفوس ضاوية وعقول خاوية وآخيلة في التراب ثاوية . او كانوا هى الانتقال الى القراد هاوية . فصدق احدى اتنين : اما ان ادبا تسمعه من هؤلاء اشرف ما تنطق به النفس ساعة تسمو الى اسمى معارج الانسانية . او انهم ليسوا من ذاك وانما هم محترفو حرفه ليس من آلاتها نباغة الطبع وامتياز المدارك ووفر الشعور .

وان من الجناية على مصر والشين لها ان يسمى هؤلاء النفر بعد اليوم ادباءها وترجمة حياة الروح والفكر فيها . وما ظنك بحياة فنية يعنو ذووها لكل وبش يخطر له ان يسخرهم لقضاء غرض من اغراضه او يستجلب القوت لهم كما يستجلب الحواة والبهوانات ارزاقهم بعرض تعابينهم وخبلهم !! ووارحمنا « المكتور المصري »

يساق دعائمه لتمثيل الروايات وانشاد الاشعار بيسار مما يساق  
المولوية لتشييع الجنائز وتلاوة الاذكار !!

ولقد كان مما قيل في المدينة الحديثة أن أقلام أدبائها أحدهى  
الحواجز التي تصونها أن ترتد إلى العصور المظلمة وانها مصممة لها  
من أن تستبدل بعقولها عادة أو تسيطر على ميولها مصلحة فرد أو  
طائفة ، وانها سلاح من أسلحتها الماضية تخشاه كل قوة ويحسب  
حسابه كل طاغية – فأى عصمة لصر في أقلام هؤلاء المخططين  
والنظاميين وهم بهذه الحال من الخور والمداجأة !! الا أن العصاف  
يد الاكار لانفع لمدينة مصر وأصون لسمعتها من كل قلم تشرعه  
تلك النفوس المهزولة .

ومن كان كهؤلاء بحيث ينزلون أنفسهم من الكرامة فلا احتجاف  
بهم ، ولا غضاضة تلتحقهم مهما كانت وطأة القلم المنصب عليهم . ولقد  
وجب بل أن ان يفهم الادب على غير ما يفهمونه وان ينحووا عن مكان  
لم يخلقوا له ولم يخلق لهم .

\* \* \*

وكانما شاء القدر أن يبدد حبائل شوقى وطلاسمه كلها في  
بضعة أسابيع . فقد كان الناس يسمعون من يدعونهم في مصر عليه  
ال القوم يتنون عليه فيفترون بتشييعهم له ويروعهم اعجابهم به  
ويحسبون أن لرأيهم فيه شأنًا وخطرا ، حتى جاءت لجنة الأغاني  
فأمامت الستر بما وراء ذلك ، وهتكت للناس حقيقة اعجاب هؤلاء  
العلية اذا أعجبوا وقيمة استحسانهم اذا استحسنوا . وانها ان هي  
الا محاباة ماسخة عرت حتى من حسن السبك ولباقة المداراة  
شمرت اللجنة عن سعادتها واغمضت أمام المترجين عينيها كما  
يصنع المشعوذ الهندي اذا هم باللعبة ، ثم وضعت يدها في الجراب  
فأخرجت نشيد شوقى وهي تقسيم أنها لا تعرفه وجعلت تلوح به

للملائكة يشار إليها في الابتهاج به في المهارة !! ولكنها لسوء حظ شوقي . كانت تنقصها خفة اليد !!

ولا حاجة بنا إلى الاستنتاج ولا إلى العود لما حذر في الجلسة مما أظهر اطلاع أكثر الأعضاء على النشيد قبل التئامها اكتفاء بتسجيل حكم اللجنة نفسها على حكمها الأول ،

فالقراء يذكرون أن اللجنة بمن كان فيها من المفنيين والعوادين – وهم أعضاؤها الأخصائيون – اختارت نشيد شوقي وأعلنت أسباب اختيارها له في منشورها وهي أنها « انتهت في مناقشتها إلى أنه أكفاءها وأوفاها بالغرض وأجمعها للمزايا التي ينبغي أن تتسق لنشيد قومي » وكذلك علمنا أن حكمها لم يصدر اعتباطا ، ولا كان عن جهل بالمقصود من الاختيار بل جاء بعد المناقشة .

ويذكر القراء أن الاستاذ منصور عوض كتب بعد ذلك في الصحف ينقد النشيد ويقرر أنه لا يصلح للتلحين بانقسام الاناشيد القومية . ثم انهم يذكرون أن فريقا من أعضاء نادي الموسيقى من الذين كانوا في لجنة الأغاني أذاعوا بعقب ذلك في الصحف أن الاستاذ انما يتكلم برأيه ، ومعنى هذا انهم كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين مصررين على حكم اللجنة مجددين في أبعاد كل مقطنة في صلاحية « النشيد الوطني المختار » للتلحين .

فماذا جرى بعد ذلك الحكم المبني على المناقشة وهذا الصرار الصادر عن رؤية ؟

ثم يصفق جمهور الناس مع اللجنة وقد بدأت هي أمامهم وأقبلوا يسألونها وهي متحتمة تصفيقا : ما هذا الذي تصفقين له ؟ ! نعم لم يعد يكفي في هذه الأمور أن يرى الناس ذا لقب يصفق فيصفقون وراءه . وكثر اللفط بتعزيزها واجترأ الموسيقيون على الافضاء يأرائهم في تلحين النشيد فسقط سقوطا تماما وكان صاحبه أول

المنهرين . فقد أخذ يزعم انه انما نظمه ليغنىه جماعة عكاشه في مسرحهم . . كأنما النشيد مشى بقدمين الى ديوان لجنة الأغانى !! وخشيت اللجنة ان يكون حكم الامة عليه حكما قاضيا على معرفتها وانصافها واحلاصها فبادر أعضاؤها الاخصائيون يبلغون الصحف ان النشيد يصلح للتلحين ولكن لا كنشيد قومى !! وقيل بلسان رئيسها انهم لم يشترطوا ذلك في تلحينه . اذن فماذا اشترطم ؟؟ اتراكם كنتم تقدمون للامة « طقطوقة » تغنىها على المعاذف والآلات ؟ واين ذهبت تلك المزايا التي اتسقت « للنشيد الوطنى المختار » ؟؟

كذلك تهافت حكم لجنة الأغانى بيدها وانكشف طلسمن كان من ابهر طلسم الشهرة الجوفاء لعيون الدهماء ، ونعني به طلسمن الأسماء الخلابة ووهم الالقاب الجذابة . وعندنا ان لجنة هذا مبلغ غيرتها على مهمتها لن يرجى منها صلاح للأغانى ولا لسوها ولكنها اذا كانت تخرج من العدم لتؤب اليه بعد ان تكون قد ابطلت وهم العامة في امثالها فتلك مهمة طيبة تستحق من اجلها نعمة هذا الوجود القصير .

على أنها مهمة نفسها على هذه اللجنة فقد شوركت فيها مشاركة لم تدع لها فضلا كبيرا فلو لم تقضها الحوادث لاظهار قيمة التحبيذ والاطراء من ذوى الالقاب والاسماء لتكتفى بذلك محفل آخر اقيم في شهر ديسمبر الماضي وهذه حكايتها نرويها ولا نعقب عليها .

قال المقطم في عدد يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذلك الشهر: قد كان يوم الجمعة الماضى ميعاد القاء القصيدة الحسينية التى نظمها حضرة الشاعر الفاضل السيد محمد عبد الله القضرى فى الحفلة التى اقيمت تكريما له برئاسة حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسن بدار الجمعية الاسلامية بقصر النزهة بشبرا فما وافت الساعة التاسعة صباحا حتى أقبل المدعوون من علماء وكباراء وادباء وأعيان فازدحم بهم المكان ثم أقبل نائب الامير محمد

بك جلبى باشمعاون الدائرة فصدحت الموسيقى بالسلام وكذلك فرق الكشافة للكشاف الاعظم ثم ابدات الحفلة بالذكر الحكيم فنشيد شوقي بك فنشيد الكشافة فمقطوعات شعرية من بعض طلبة مدارس الجمعية ثم وقف نائب الامير واعتذر عن سموه بكلمات رقيقة لم تهض الشاعر ناظم القصيدة والقها بين الاعجاب والتصفيق الشديد . وبعد انتهاءه قدم له نائب الامير ماعة ذهبية اثرية ثمينة وتبرع حضرة العربي الكريم عبد المجيد بك محمد السعدي بمائة جنيه لطبع عشرة آلاف نسخة من هذه القصيدة التاريخية ثم وقف حضرة الشاعر العربي عمر بك السعدي والقى قصيدة عامرة اثنى فيها على سمو الامير لتعضيده العلم وامتدح بها الشاعر ثم نزع من اصبعه خاتما من الماس ووضعه في اصبع الاستاذ القصري وقدم له سيادة السيد محمد أبو بكر مرغنى شيخ السادة المرغنية بمصر خاتما من الماس وأهداه حضرة عبد الفتاح أفندي عليش لوحة كتب عليها اسمه بخطه الجميل وختمت الحفلة بنشيد مدارس الجمعية انشده بعض التلاميد والتلميدات ثم بالقرآن الكريم وأقبل المدعون وهم يزيدون على ثلاثة آلاف نسمة لتهنئة الشاعر .

انتهى ما نقلناه من المقطم . فليتأمله القارئ وليتصور اسم شوقي مجردا من مثل هذه الطنطنة بل ليتصوره محلى بها وليستدل منها على ما شاء من مزية تدخر أو شهادة تقدر ..

وثم مثل آخر نسوقه تبصرا وعبرة لهؤلاء الذين لا يعرفون كيف يشرعون أسمانا ويستوجبون الثقة بنا من أعمالهم . هذا الدرس مستمد من حكم لجنة فرنسية كان يصح أن تكون لجنتنا مثلها في انصافها وفي الاخلاص للفن الذى تخدمه وتنشيط المواهب الفتية التى تنهض اليه لو لا أنها آثرت لنفسها الخطة العوجاء على الخطبة المثلى . ففى فرنسا مجمع معروف يسمى مجمع المسابقات ( اكاديمية كونكور ) يحكم فى كل سنة بجائزة قدرها اثنى عشر ألف فرنك للسابق من الأدباء فى باب من أبواب التأليف ، فاصاب جائزة الستة

المنصرة فتى اسمه ارنست بيروشون لرواية قصصية الفها .  
أفيديري القاريء من هذا ارنست بيروشون ؟

نقلت الآباء البرقية اسمه ذات يوم فالتفت زميلنا المترجم  
الفرنسي يسال عن شأنه فإذا المسؤول والسائل في العلم به سواء .  
راجعوا كتب الفهارس والترجم المشهورة فالفوها خلوا من كل  
إشارة إليه أو إلى اسم قريب منه . فترجموا النبذة متبوعاً فيه أسمة  
بعلامة استفهام . ومضت الأيام ونسينا خبره حتى جاء البريد  
فلفت نظرى عنوان في أحدى صفحه هذه ترجمته « خير روايات  
العام . يؤلفها ابن فلاح . يربع جائزة الأكاديمية الفرنسية » (١)  
فتتصفح الجملة فإذا به صاحبنا بيروشون وإذا هو مجهول هناك  
كجهل قراء مصر به . قال مراسل الدليلي كرونيكل في باريس « وكان  
بيروشون ، وهو في الخامسة والثلاثين ، مجهولاً إلى يوم أمس جهلاً  
تاماً وإن كان قد طبع في الأقاليم عدة دواوين شعرية وتلذث قصص  
.. ولم يكن أحد من أعضاء المجمع يعرفه إلا أن أحدهم قرأ قصته  
المقتمية اتفاقاً فأعجبته فقرؤها لزملائه . وكان كثير من الأدباء  
النابهين بين طلاب الجائزة يوم أمس ولكن فاز استاذ القرية المتواضع  
دوتهم بمشعل النصر » .

فيأقوم . إذا نشطت القرائح هناك وخدمت هنا فلا هجوب .  
تلك لجائهم تعذر في أحکامها هذا العدل وتحبى كل ملکة صالحية  
للحياة وهم لا يأتون بها مفهومين ولا يسلمون لها خاضعين ، فكيف  
لو أنها كانت كلجنتنا هذه المباركة : لجنة لا تحسن غير المجاملة ولا  
تحسن أن تجامل الا بأن ترضى فرداً لتقضى على أمة كاملة بالعمق  
والافتقار ! إن في ذلك لوعة .

\* \* \*

---

(١) جريدة الدليل كرونيكل عدد ١٢ ديسمبر ١٩٤٠ .

· وخاصة القول اننا عرفنا رأى القراء في عملنا فقسمناهم الى فريقين · فاما الذين يعجبون بشوقى لغير سبب معقول يفزع الى شعره فقد اسخطناهم ولا نسأل الله ان يخفف سخطهم · وأما الذين يرجعون الى الاسباب فقد وثقنا منهم بالمؤازرة وكان اقلهم موافقة من ارجا الحكم لنفسه حتى يرى · واننا لنعلم انه يرى ما يقنعه ·

ونجمل هذه الخلاصة بشكل آخر فنقول : ان رأى الاولين يمثله كتاب ورد اليانا غفلا من التوقيع يقول فيه كاتبه ما ترجمته : « خل مذهبك الجديد لنفسك فما نحن بحاجة اليه »

وجوابنا لهذا وامثاله : « صدقتم ولا هو بحاجة اليكم » ·

ويمثل رأى الآخرين بيت لقينا به اديب مشهور فقال : ايه يا فلان ، اليك بيتا يسير مسير الأمثال :

شوقى تولاه عباس فاظهره · واليوم يحمله في الناس عباس  
وجوابنا له : بل انه عصر يحمل عصرا ولاقية وهم تخفتها  
صيحة حق · وانا لعلى الحق صامدون ·

# رثاء مصطفى كامل

قال قائل من سماحة شوقي : ما ترى في رثائه لمصطفى كامل ؟  
انتقده ؟ قلت وماذا عساي أن انتقد ان لم انتقد المراء والتزييف  
والشتات ؟ قال ان القصيدة آيتها . قلت لقد هدّيتني هداك الله  
قما كنت اظنها آية لاحد من العالمين وما حسبتها الا زلة اسقطته  
فيها « مفالة الشجون لخاطره » او داهية خانه فيها امكانه الذي  
ما فتىء يخونه كما قال منها :

**ماذا دهانى يوم بنت فعقنى      فيك القرىض وخاتنى امكاني**  
وما دهاء الا العجز والفهادة والحرج . دهته اولا فاجبل  
وحرر واستعصى عليه النظم فصنعها في أربعين يوما ثم زاد كثيرا من  
أبياتها وغير وبدل فيها . ثم دهته ثانيا فجرى فيها على عادته من  
التلقيق والعمق والزغل المموج . فاما وقد علمت أنها الآية التي بها  
تومن شيعته وذوو المأرب عنده ، والمعجزة التي يستنصر بها دعاته  
فيآيتها فلنلدخلنها رسالته وفي معقله الحصين فلنكشف ونهن  
ونفضح مطاعنه ، وانها لآية ومعجزة والحق يقال ومعقل واى معقل  
ولكنها آية السيماء ومعجزة الشعوذة ومعقل الرمل بل اخوى  
من ذلك وأضعف ، وأضلال في الضئولة وأسخف ، اراحه الله من  
شعره بما اراح من اقلام نقاده فانه علم الله لم يزعج لهم بديهية وأن  
كان يزعج بديهته في صباح ومساء ، ولا كد لهم خاطرا وان كان

خاطره منه في وصب وشقاء . ولقد فات اصحابنا سماارة شوقي  
ان خلافنا معهم لم يكن خلافا على درجات الاجادة وخطوات السبق  
فتتقارب كلما اجاد شاعرهم في رأيهم او خيب آمالهم واختلف  
ظنونهم ، ولكننا نختلف على نوع الشعر وجوهره ثم على ادائه  
وطبقته فربما كانت ارفع القصائد عندهم درجة احسها عندنا معدنا  
وربما طربوا كل الطرب من حيث نعزف كل العزوف . كالمسحور  
كلما ازداد استحسانا لما هو فيه كان ابعد عن حالة الصحو والصواب  
وكالاعجمى كلما امعن في فصاحته وبيانه استغلق على مسامع  
الاعراب . وهذا هو الواقع في ما اخذناه ونأخذه على شعر شوقي  
وهو بخاصة شأننا في الحكم على قصيده هذه التي رأينا بعض  
المفتونين يجلها عن الانتقاد ويعجب من ان تعاب ، وهي لو يفقه من  
القصائد التي يصاب منها المذهب العتيق في مقاتله والشواهد التي  
يبحث عنها لا يراز مأخذ . وسنستعرضها على عيوب ذلك المذهب  
فنبين مواقعها منها حتى يكون لن قصر النظر على قشورها رأى غير  
رأيه الأول فيها .

فالعيوب المعنوية التي يكثر وقوع شوقي وأضرابه فيها عديدة  
مختلفة الشيات والمداخل ، ولكن أشهرها وأقربها الى الظهور  
وأجمعها لاغلاطهم عيوب أربعة وهي بالايجاز : التفكك والاحالة  
والتقليد والولوع بالأعراض دون الجواهر – وهذه العيوب هي التي  
صيّرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم من النفس  
الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة والخلود من الزنجى  
عن المدنية من صور الأبسطة والبسجاجيد كما يقول ماكولى عن  
نفائس الصور الفنية : ولكل من العيوب الانفة اثر ظاهر في هذه  
القصيدة قد لا تجده في غيرها من القصائد الا مزريا او دقيقا عن  
فهم الكثرين . وسنرى بعد سبر هذه القصيدة بهذا المسبار ان من  
نفائس الشعر ما لا يمنع ان يامح له رواء معجب يستهوى البسطاء  
بل ربما زادته جمالا في الظاهر كالحللى المزيفة فانها في الفالب أجمل

من كريم الحلى والجواهر ، ولكنها تمنع أن يكون للشعر قيمة  
غالية .

### ( ١ ) التفكك

فاما التفكك فهو أن تكون القصيدة مجموعاً مبدداً من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية وليس هذه بالوحدة المعنوية الصحيحة إذ كانت الفصائد ذات الأوزان والقوافى المتشابهة أكينر من أن تحصى فإذا اعتبرنا التشابه في الأعراض وأحرف القافية وحدة معنوية جاز إذن أن ننقل البيت من قصيدة إلى مثلاً دون أن يخل ذلك بالمعنى أو الموضوع وهو ما لا يجوز . ولتوفيق البيان نقول أن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تماماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال ببعضائه والصورة بجزائها واللحن الموسيقى بانفاصه بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وافسدها . فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا ينفع عنه غيره في موضعه إلا كما تغنى الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة . أو هي كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائتها وهندستها . ولا قوام لفن بغير ذلك حتى فنون الهمج المتأبدلين فانك تراهم يلأمون بين اللوان الخرز وأقداره في تنسيق عقودهم وحليلهم ولا ينظمونه جزاً فا إلا حيث تنزل بهم عمادية الوحشية إلى حضيضها الأدنى ، وليس دون ذلك غاية في الجمالية ودمامة الفطرة . ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها فاعلم أنه الفاظ لا تنطوى على خاطر مطرد أو شعور كامل الحياة بل هو كامشاج الجنين المخدج بعضها شبيه ببعض أو كأجزاء العلايا الحيوية الدقيقة لا يتميز لها عضو ولا تنقسم فيها وظائف وأجهزة ، وكلما استفل الشيء في مرتبة الخلق صعب التمييز بين أجزائه . فالجماد كل ذرة منه شبيهة بأخواتها في اللون والتركيب

صالحة لأن تحل في أي مكان من البنية التي هي فيها . فإذا ارتفعت إلى النبات الفيت للورق شكلًا خلاف شكل الجذوع وللألياف وظيفة غير وظيفة النوار ، وهكذا حتى يبلغ التباين أتمه في أشرف المخلوقات وأحسنها تركيباً وتقويماً . وهي سنة تتمشى في أجناس الناس كما تتمشى في أنواع المخلوقات ومصداق ذلك ما نشاهد من تقارب الأقوام المتأخرة في السخونة واللامح حتى لتكاد تتشبه وجوههم جمیعاً على الناظر وهي حقيقة فطنت إليها قبائل البدو بالبداهة وألسها البحترى في هجوه لعشر ينعتهم بالهوان والضمة ويقول فيهم :

و بنو الهجيم قبيلة من حوسنة حس اللحى متشابهو الالوان  
لو يسمعون باكلة او شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان  
وعلى تقىض ذلك الشعوب العريقة في الحضارة تراها تتفاوت  
أقداراً وملامح وبدوات وأطواراً حتى ليوشك أن يكون من المستحيل  
اتفاق النين في هندام الجسم وهيئته وفي مواهب الذهن ونزعته .  
ونقترب مما نحن بصدده فنقول إنك كلما شارت فترة من فترات  
الاضمحلال في الأدب الفيت تشابها في الأسلوب وال موضوع والشرب  
وتماثلاً في روح الشعر وصياغته فلا تستطيع مهما جهدت أن تسم  
القصائد بعنوانين وأسماء تربط بمنهاها وجوهرها لما هو معروف  
من أن الأسماء تتبع السمات والعنوانين تلتصق بالمواضيع، ورأيهم  
يحسبون !  
البيت من القصيدة جزءاً قائماً بنفسه لا عضواً متصلًا  
بسائر أعضائها فيقولون أخر بيت وأغزل بيت وأشجع بيت وهذا  
بيت القصيدة وواسطة العقد كان الأبيات في القصيدة حبات عقد  
تشتري كل منها بقيمتها فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات  
شيئاً من جوهرها وهذا أدل دليل على فدان الخاطر المؤلف بين  
أبيات القصيدة وقطع النفس فيها وقصر الفكر وجفاف السينية  
فكأنما القرىحة التي تنظم هذا النظم وبصات نور متقطعة لا كوكب  
صلمه متصل الأشعة يريك كل جانب وينير لك كل زاوية وشعبة،

او كانوا هى ميدان قتال فيه ألف عين وalf ذراع والـf جمجمة  
ولكن ليس فيه بنية واحدة حية . ولقد كان خيرا من ذلك جمجمة  
واحدة على اعضاء جسم فرد ترى فيها حياة .

واذ كان ذلك كذلك فلا عجب ان ترى القصيدة من هذا الطراز  
كالرمل المهيل لا يغير منه ان يجعل عاليه سافله او وسطه في قمته ،  
لا كالبناء المقسم الذى ينبعى النظر اليه عن هندسته وسكانه  
ومزاياه .

وهـا هـ كـوـمـةـ الرـمـلـ التـىـ يـسـمـيـهاـ شـوـقـىـ قـصـيـدـةـ فـىـ رـثـاءـ مـصـطـفـىـ  
كـامـلـ نـسـائـ مـنـ يـشـاءـ آنـ يـضـعـهاـ عـلـىـ آىـ وـضـعـ فـهـلـ يـرـاـهاـ تـعـودـ الـأـ  
كـوـمـةـ رـمـلـ كـمـاـ كـانـتـ ؟ـ وـهـلـ فـيـهاـ مـنـ الـبـنـاءـ الـأـ اـحـقـافـ خـلـتـ مـنـ  
هـنـدـسـةـ تـخـتـلـ وـمـنـ مـزـاـيـاـ تـنـتـسـخـ وـمـنـ بـنـاءـ يـنـقـضـ وـمـنـ رـوـحـ سـارـيـةـ  
يـنـقـطـعـ اـطـرـادـهـ اوـ يـخـتـلـ مـجـراـهـ .ـ وـتـقـرـيرـاـ لـذـلـكـ نـأـتـ هـنـاـ عـلـىـ  
الـقـصـيـدـةـ كـمـاـ رـتـبـهاـ قـائـلـهـاـ ثـمـ نـعـيـدـهـاـ عـلـىـ تـرـتـيبـ آـخـرـ يـبـتـعـدـ جـدـ  
الـاـبـتـعـادـ عـنـ التـرـتـيبـ الـأـوـلـ لـيـقـرـأـهـاـ الـقـارـىـءـ الـمـرـتـابـ وـيـلـمـسـ الـفـرـقـ  
بـيـنـ مـاـ يـصـحـ آنـ يـسـمـيـ قـصـيـدـةـ مـنـ الـشـعـرـ وـبـيـنـ أـبـيـاتـ مـشـتـتـةـ لـاـ رـوـحـ  
لـهـاـ وـلـاـ سـيـاقـ وـلـاـ شـعـورـ يـنـتـظـمـهـاـ وـيـوـلـفـ بـيـنـهـاـ .ـ وـنـحـنـ نـأـسـفـ عـلـىـ  
فـضـاءـ نـضـيـعـهـ مـنـ صـفـحـاتـاـ فـلـاـ يـعـزـيـنـاـ عـنـ ضـيـاعـهـاـ الـأـ آنـهـاـ كـمـاـ نـرـجـوـ  
لـاـ تـضـيـعـ عـبـثـاـ .ـ قـالـ شـوـقـىـ أـصـلـحـهـ اللهـ :

- ١ المـشـرـقـانـ عـلـيـكـ يـنـتـجـبـانـ قـاصـيـهـمـاـ فـىـ مـاتـمـ وـالـسـدـانـىـ
- ٢ يـاـ خـادـمـ الـاسـلـامـ اـجـرـ مـجـاهـدـ فـىـ اللهـ مـنـ خـلـدـ وـمـنـ رـضـسـوـانـ
- ٣ لـمـ اـنـعـيـتـ الـحـجـازـ مـشـىـ الـأـسـىـ فـىـ الـزـائـرـيـنـ وـرـوـعـ الـحـرـمـانـ
- ٤ السـكـةـ الـكـبـرـىـ حـيـالـ رـبـاهـمـاـ مـنـكـوـسـةـ الـاعـلـامـ وـالـقـضـبـانـ
- ٥ لـمـ تـالـهـاـ عـنـ الشـدـائـدـ خـدـمـةـ فـىـ اللهـ وـالـمـخـتـارـ وـالـسـلـاطـانـ
- ٦ يـاـ لـيـتـ مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ فـازـتـاـ فـىـ الـمـحـظـيـنـ بـصـوـتـكـ الرـنـانـ
- ٧ لـيـرـىـ الـأـوـاـخـرـ يـوـمـ ذـاكـ وـيـسـمـعـواـ  
ماـ غـابـ عـنـ قـسـ وـعـنـ سـجـبـانـ

٨ جار التراب وانت اکسرم راحل  
 ماذا لقيت من الوجود الفتى

٩ ابکى صباك ولا عاتب من جنى هنا عليه كرامة للجاني  
 ١٠ يتساءلون ابالسلاسل قضيت ام  
 بالقلب ام هل مت بالسمرطان

١١ الله يشهد ان موتك بالجها  
 والجند والاقدام والمرفان

١٢ ان كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا فانت البالى  
 ١٣ بالله فتش عن فوادك في الثرى هل فيه امال لنا وامانى  
 ١٤ وجداك الحى المقيم على المدى ولرب حى ميت الوجدان  
 ١٥ الناس جار في الحياة لغاية ومضلل يجري بغير عنان  
 ١٦ والخطى في الدنيا وليس بهين عليا المناصب لم تتح لجيان  
 ١٧ فلو أن رسول الله قد جبنوا لما  
 ماتوا على دين ولا ايمان

١٨ المجد والشرف الرفيع صحيفة  
 جعلت لها الاحلاق كالعنوان

١٩ واحد من طسول الحياة بذلة  
 قصر يريك تفاصير الاقران

٢٠ دقان قلب المرء قائلة له ان الحيسنة دقائق وثوان  
 ٢١ فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها  
 فالذكر للانسان عمر ثان

٢٢ للمرء في الدنيا وجم شئونها ماشاء من دفع ومن خسران  
 ٢٣ فهي الفضاء لراغب متطلع وهي المضيق لمؤثر السلوان  
 ٢٤ الناس غاد في الشقاء ورائح يشقي له الرحماء وهو الهانى  
 ٢٥ ومنعم لم يلق الا لذة في طيها شجن من الاشجان  
 ٢٦ فاصبر على نعم الحياة وبؤسها نعمى الحياة وبؤسها سيان  
 ٢٧ ياطاهر الغدوات والروحات والخطرات والاسرار والاعلان

٢٨ هل قام قبلاك في المدائن فاتحا  
 ٢٩ يدعوا الى العلم الشريفي عنده  
 ٣٠ لفوك في علم البلاد منكسا  
 ٣١ ما حمر من خجل ولا من ريبة لكنما يبكي بدموع قان  
 ٣٢ يزجون نعشك في السناء وفي السنى  
 فكأنهما في نعشك القران

٣٣ وكانه نعش الحسين بكريلا يختال بين بكى وبين حنان  
 ٣٤ في ذمة الله الكريم وبره ما ضم من عرف ومن احسان  
 ٣٥ ومشي جلال الموت وهو حقيقة وجلالك المصسوق يلتقيان

٣٦ شقت لمنظرك الجيوب عقائلا  
 وبكتك بالدموع الهتسون غسوان

٣٧ والخلق حولك خاسعون كعدهم  
 اذ ينصلتون لخطبته وبيان

٣٨ يتسائلون باى قلب ترتقى بعد المنابر ام باى لسان  
 ٣٩ فلو ان اوطانا تصور هيكلها دفنوك بين جوانح الاوطان  
 ٤٠ او كان يحمل في الجوانح ميت حملوك في الاسماع والاجفان

٤١ او صيح من غرر الفضائل والعلى  
 كفن لبست احسن الاكفان

٤٢ او كان للذكر الكريم بقيمة  
 لم تأت بعد رثيت في القرآن

٤٣ ولقد نظرتك والردي بك محقق  
 والداء ملء عالم الجثمان

٤٤ يبغى ويطفى والطبيب مضلال  
 قنط وساعات الرحيم سر، مران

٤٥ ونواظر العواد عنك أمالها  
 دمع تصالح كتمه وتعلى

٤٦ تعلى وتنتب والمشاغل جمة  
 ويداك في القرطاس ترتجفان

٤٧ فهششت لى حتى كانك عائدى  
 وانا الذى هدم السقام كيانى

٤٨ ورأيت كيف تموت آساد الشرى  
 وعرفت كيف مصارع الشجعان

٤٩ ووجدت في ذاك الخيال عزائمها  
 ما للمنسون بدكمون يدان

٥٠ وجعلت تسالنى الرثاء فهاكه من أدمى وسرائرى وجنانى

٥١ لولا مغالية الشجون لحاطرى لنظمت فيك يتيمة الأزمان

٥٢ وانا الذى أرى الشموس اذا هوت  
 فتعسود سيرتها من الدوران

٥٣ قد كنت تهتف في الورى بقصائدى  
 وتجعل فوق النسيارات مكانى

٥٤ ماذا دهانى يوم بنت فعقتني  
 فيك القرىض وخانى امسكاني

٥٥ هون عليك فلا شهادات بميته  
 ان المنيمة غاية الانسان

٥٦ من للحسود بميته بلفتها  
 عزت على كسرى انو شروان

٥٧ عوفيت من حرب الحياة وحربيها  
 فهل استرحت ام استراح الشهانى

٥٨ يا صب مصر ويا شهيد غرامها  
 هندا ثرى مصر فنسم بامان

٥٩ أخلع على مصر شبابك عاليًا  
والبس شباب الـحـور والـولـدان

٦٠ فلعل مصرًا من شبابك ترقدى  
مجـداً تـقـيـه بـه عـلـى الـبـلـدان

٦١ فـلو أـن بـالـهـرـمـين مـن عـزـمـاتـهـ  
بعـض المـصـاءـ تـحـركـ الـهـرـمـانـ

٦٢ عـلـمـت شـبـانـ المـدـائـنـ وـالـقـرـىـ  
كـيـفـ الـحـيـاةـ تـكـوـنـ فـيـ الشـبـانـ

٦٣ مـصـرـ الـأـسـيـفـةـ رـيفـهاـ وـصـعـيـدـهاـ  
قـبـرـ اـبـرـ عـلـىـ عـظـمـاتـ حـانـ

٦٤ أـقـسـمـتـ أـنـكـ فـيـ التـرـابـ طـهـارـةـ  
مـلـكـ يـهـابـ سـؤـالـهـ الـمـلـكـانـ

\* \* \*

كـذـلـكـ اـنـظـمـتـ لـشـوـقـىـ مـرـثـاـ فـيـ مـصـطـفـىـ كـامـلـ وـسـماـهاـ قـصـيـدةـ  
لـأـنـهـ لـمـ تـأـبـ أـنـ تـسـتـقـرـ فـيـ قـرـطـاسـ وـاحـدـ ،ـ وـلـقـدـ كـانـ أـخـرىـ بـهـاـ أـنـ  
تـسـمـيـ أـرـبـعـةـ وـسـتـيـنـ بـيـتاـ مـنـظـوـمـةـ فـيـ كـلـ شـىـءـ أـوـ فـيـ لـاـ شـىـءـ .ـ فـاعـتـبـرـهـاـ  
أـيـهـاـ الـقـارـىـءـ عـلـىـ هـذـاـ التـرـتـيـبـ ثـمـ خـذـهـ عـلـىـ تـرـتـيـبـ آخـرـ أـرـبـعـةـ  
وـسـتـيـنـ بـيـتاـ لـمـ تـزـدـ وـلـمـ تـنـقـصـ وـلـمـ تـخـسـرـ حـسـنـةـ كـانـتـ لـهـاـ بـلـ لـعـلـهـاـ  
رـبـحـتـ وـعـادـتـ أـحـسـنـ نـسـقـاـ وـأـقـرـبـ نـظـمـاـ .ـ قـالـ شـوـقـىـ أـيـضاـ :

١ المـشـرـقـانـ عـلـيـكـ يـنـتـجـبـانـ  
قـاصـيـهـاـ فـيـ مـاـتـمـ وـالـسـدـاتـىـ

٤ وـجـدـانـكـ الـحـىـ الـمـقـيـمـ عـلـىـ الـمـدـىـ  
وـلـرـبـ حـىـ مـيـتـ الـوـجـدـانـ

٢١ فـارـفـعـ لـنـفـسـكـ بـعـدـ مـوـتـكـ ذـكـرـهـاـ  
فـالـذـكـرـ لـلـأـنـسـانـ عـمـرـ ثـانـ

٦٤ أـقـسـمـتـ أـنـكـ فـيـ التـرـابـ طـهـارـةـ  
مـلـكـ يـهـابـ سـؤـالـهـ الـمـلـكـانـ

٢٧ يا ظاهر الفتوات والروحات والخط  
 سرات والاسرار والاعلان  
 ٩ ابكي صباك ولا اعاتب من جنى  
 هنـا عـلـيـك كـرـامـة لـلـجـانـى  
 ١٩ واحب من طول الحياة بذلة  
 قصر يريك تقادص الاقران  
 ٦٥ من للحسـود بـميـة بـلـقـتها  
 عـزـت عـلـى كـسـبـرـى اـنـوـشـرـوانـى  
 ٣٦ شـقـت لـنـظـرـك الجـيـوب عـقـسـائـى  
 وـبـكـتـك بالـسـمع الـهـتـونـ غـوانـى  
 ٥٥ هـونـ عـلـيـك فـلا شـمـات بـمـيـت  
 انـ الـنـيـةـ غـاـيـةـ الـأـنـسـانـى  
 ٢٠ دـقـات قـلـبـ الرـءـ قـائـةـ لـهـ  
 انـ الـحـيـاةـ دـقـاتـقـ وـثـوانـى  
 ١٣ بـالـهـ فـتـشـ عـنـ فـؤـادـكـ فـيـ الشـرـى  
 هـلـ فـيـهـ آـمـالـ نـسـاـ وـامـانـى  
 ٦٠ فـلـعـلـ مـصـراـ منـ شـبـابـكـ تـرـتـدـى  
 مـجـداـ تـتـيـهـ بـهـ عـلـىـ الـبـلـادـانـى  
 ٤٣ وـلـقـدـ نـظـرـكـ وـالـرـدـىـ بـكـ مـحـدـقـ  
 وـالـدـاءـ مـلـءـ مـعـالـمـ الـجـهـانـى  
 ٤٤ يـبـغـيـ وـيـطـغـيـ وـالـطـبـيـبـ مـضـالـلـ  
 قـنـطـ وـسـاعـاتـ الـرـحـيـلـ دـوـانـى  
 ٤٩ وـوـجـدـتـ فـيـ ذـاكـ الـخـيـالـ عـزـائـهاـ  
 ماـ لـلـمـنـسـونـ بـدـكـهـسـنـ يـسـدانـى  
 ٦١ فـلـوـ انـ بـالـهـرـمـينـ بـنـ عـزـماـتـهـ  
 بـعـضـ الـمـضـاءـ تـحـرـكـ الـهـرـمـانـى  
 ٤٦ تـمـلـىـ وـتـكـتـبـ وـالـمـشـاغـلـ جـمـةـ  
 وـيـدـاـكـ فـيـ الـقـرـطـاسـ تـرـجـفـانـى

٥٨ يا صب مصر ويا شهيد غرامها  
هنا ثرى مصر فضم بامان  
٦٣ مصر الأسيفة ريفها وصعيدها  
قبر ابسر على عظامك حان  
٦٤ في ذمة الله الکريم وبسره  
ما فضم من عرف ومن احسان  
٦٥ لو صيغ من غرر الفضائل والطى  
كفن لبست احسن الکفان  
٦٦ او كان يحمل في الجوانح ميت  
حملوك في الاسماع والاجفان

٤٢) و لو ان اوطاناً تصور هيكلاد  
دفنهوك بين جوانح الاوطان

٤٢) او كان للذكر الحكيم بقيمة  
لم تأت بعد رثيت في القرآن

٤) يا خادم الاسلام اجر مجاهد  
في الله من خالد ومن رضوان

٦) يا ليت مكة والمدينه فازتا  
في المحفلين بصوتك الرنان

٧) ليرى الاواخر يومذاك ويسمعوا  
ما غاب عن قس وعن سجان

٩) لما نعيت الى الحجاز مشى الاسى  
في الزائرین وروع ~~الحمر~~ رمان

٩) السكة الكبرى حیال رباهما  
منكوسه الاعلام والقضبان

٢٨ هل قام قبك في المدائن فاتحا  
 فاز بفسير مهند وسنان  
 ٢٩ يدعو الى العلم الشريف وعنده  
 ان المعلوم دعائم العمران  
 ٣٠ علمت شبيان المدائن والقرى  
 كيف الحياة تكون في الشبيان  
 ٣١ والخلد في الدنيا وليس بهين  
 عليا المناصب لم تصح لجبلان  
 ٣٢ فهى الفضاء لراغب متعلقة  
 وهي المضيق المؤثر السوان  
 ٣٣ ولو ان رسول الله قد جبنوا  
 لما ماتوا على دين ولا ايمان  
 ٣٤ لفوك في علم البلاد منكسا  
 جسرع الهلال على فتي الفتى  
 ٣٥ ما احمر من خجل ولا من ريبة  
 لكتئا يبكي بدموع قان  
 ٣٦ ومشى جلال الموت وهو حقيقة  
 وجلالك المصدق يلتقي  
 ٣٧ يزجون نعشتك في السناء وفي السنى  
 فكانما في نعشتك القمران  
 ٣٨ وكانه نعش الحسين بكير بلا  
 يختسال بين بكى وبين حنان  
 ٣٩ والخلق حولك خلشون كمهدم  
 اذ ينصلتون لخطبة وبيان  
 ٤٠ يتسلعون باى قلب ترتقى  
 بعد النابر ام باى لسان  
 ٤١ اخلع على مصر شبابك حاليا  
 والبس شباب الحسود والولدان

٥ لم تالها عنـد الشـدائـد خـدمة  
 فـي الله والـمختـار والـسـلطـان  
 ١٥ النـاس جـار فـي الـحـيـاة لـفـاـية  
 وـمـضـلـل يـجـرـى بـفـيـر عـنـسـان  
 ٢٥ وـمـنـم لـم يـاق الـلـسـنة  
 فـي طـيـها شـبـجن مـن الـأـشـجـان  
 ٢٢ لـلـمـرـء فـي الدـنـيـا وـجـمـ شـتـونـها  
 مـا شـاء مـن دـبـع وـمـن خـسـرـان  
 ٢٤ وـالـنـاس غـاد فـي الشـقـاء وـرـائـجـ  
 يـشـقـى لـه الرـحـمـاء وـهـو الـهـانـي  
 ٢٦ فـاصـبـر عـلـى نـعـمـ الـحـيـاة وـبـؤـسـها  
 نـعـمـ الـحـيـاة وـبـؤـسـها سـيـانـ

فـانـظـرـ أـيـهـا الـفـارـىـء إـلـىـ هـذـهـ الـمـرـثـاـ هـلـ تـرـىـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ سـابـقـتـهاـ  
 مـنـ تـفـاـوتـ ؟ـ عـلـىـ أـنـاـ قـدـ تـنـاـولـنـاـ إـلـيـاتـ عـفـواـ كـمـاـ بـدـرـتـ اـنـاـ وـلـمـ تـنـحـرـ  
 الـاـقـصـاءـ فـيـ التـرـتـيـبـ .ـ وـلـوـ أـنـاـ غـيـرـنـاـ بـعـضـ الـضـمـائـرـ التـىـ تـعـلـقـ الـاـسـمـ  
 عـلـىـ الـاـسـمـ وـلـاـ رـابـطـةـ بـيـنـهـمـاـ وـصـحـفـنـاـ حـرـوفـ الـعـطـفـ التـىـ تـصـلـ  
 الـجـمـلـةـ بـالـجـمـلـةـ وـلـاـ تـنـاسـبـ بـيـنـ مـعـنـاهـمـاـ لـمـ يـكـدـ يـجـتـمـعـ بـيـتـ مـنـ  
 الـقـصـيـدـةـ عـلـىـ بـيـتـ ،ـ وـاـنـمـ يـظـهـرـ اـنـحـلـالـ هـذـهـ الـقـصـيـدـةـ مـنـ سـؤـالـ  
 الـقـارـىـءـ نـفـسـهـ :ـ هـلـ قـرـأـ فـيـ الشـعـرـ اـشـدـ تـفـكـكـاـ مـنـهـاـ ؟ـ فـعـلـىـ حـسـبـ  
 الـجـوـابـ يـكـوـنـ حـكـمـهـ عـلـىـ مـصـدـرـهـاـ مـنـ قـرـيـحةـ شـوـقـىـ وـهـلـ هـىـ نـبـعـتـ  
 مـنـ شـعـورـ فـيـاضـ يـتـدـفـقـ عـلـىـ مـوـضـعـهـ فـيـفـمـرـهـ كـمـاـ يـفـمـرـ السـيـلـ  
 الـوـهـنـادـ وـالـنـجـادـ اوـ تـقـطـرـاتـ مـنـ عـقـلـ نـاضـبـ يـنـبـضـ بـالـقـطـرـةـ بـعـدـ الـقـطـرـةـ  
 بـخـلـعـ الـضـرـسـ وـبـخـلـعـ الـنـفـسـ فـتـأـنـىـ كـالـرـشـاشـ لـاـ يـتـولـدـ مـنـهـ.ـاـلـاـ الـوـلـنـ  
 وـالـيـبـسـ ؟ـ

وـقـبـلـ أـنـ تـحـولـ مـنـ كـلـامـنـاـ عـلـىـ التـفـكـكـ وـفـقـدانـ الـوـحـدـةـ الـفـنـيـةـ  
 تـنـبـهـ مـنـ يـسـتـبـهـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ إـلـىـ أـنـاـ لـاـ نـرـيـدـ تـعـقـيـبـ الـاـقـيـسـةـ  
 الـمـنـطـقـيـةـ وـلـاـ تـقـسـيـمـ الـمـسـائـلـ الـرـيـاضـيـةـ وـاـنـمـ نـرـيـدـ أـنـ يـشـعـ  
 الـخـاطـرـ فـيـ الـقـصـيـدـةـ وـلـاـ يـنـفـرـدـ كـلـ بـيـتـ بـخـاطـرـ فـتـكـونـ كـمـاـ اـسـلـفـنـاـ  
 بـالـأـشـلـاءـ الـمـلـقـةـ أـشـبـهـ مـنـهـ بـالـأـعـضـاءـ الـمـنـسـقـةـ كـمـاـ رـأـيـنـاـ فـيـ هـذـهـ  
 الـقـصـيـدـةـ .

## ( ٢ ) الاحالة

اما الاحالة فهي فساد المعنى وهي ضروبٍ فمنها الاعتساف والشطط ومنها المبالغة ومخالفة الحقائق ومنها الخروج بالفکر عن المقول او قلة جدواه وخلو مفزاها وشواهدها كبيرة في هذه القصيدة خاصة .

فمن ذلك قوله :

**السكة الكبرى حيال رباهما منكوسة الاعلام والقضبان**

وقضبان السكك الحديدية لا تنكس لأنها لا تقام على أرجل وإنما تطرح على الأرض كما يعلم شوقي . اللهم الا اذا ظن أنها أعمدة تلغراف . على أنها لو كانت مما يقف أو ينكس لما كان في المعنى طائل اذ ما غناه قول القائل في رثاء العظاماء ان الجدران أو العمود مثلاً نكست رؤسها لاجله ؟

ومنه قوله :

**ان كلن للاخلاق وكن قاتم (في هذه الدنيا) فانت البلي**  
وهذا بيت لو جرى المدح والرثاء كله على سنته وانتظم النطق والأداء أجمعه على طريقته ونمطه لما فهم الناس من الكلام شيئاً ولا كان على من يتوتى هذه القدرة من المنطق ضير ولا خسارة من قطع لسانه . والكلام في كل لغة ولاي قصد انما يحتاج اليه للدلالة على معنى معين او وصف يطابق موصوفه فان لم يكن كذلك فهو وبهران المحموم وعتر المجنون سواء ، والشعر اذا لم يصح ان يقال في انسان

علوم أو صبح أن يقال في كل انسان : في السياسي والعالم والأديب والواعظ والصانع ، فهو المديان بعينه ، فماذا يفهم السامع من بيت كهذا يرثى به مصطفى كامل ؟ ايهم انه وحده هو البانى لكل ركن للأخلاق في هذه الدنيا ؟ اذن فماذا يقال عن النبي ان قيل هذا عن الزعيم السياسي ؟

وهل لا يصح حينئذ أن يقال هذا القول في قائد الحرب وفي جوابة الافاق وفي خطيب المحافل وفي التاجر السرى والوزير الحنك والمربى المرشد والمخترع الحاذق في كل انسان بل في الناس جميعا بل في مخلوقات الله وكانتاته طرا من حى ونابت وجامد ؟ فانه على كل وجه صرفته قول خلا من الصدق والمدلول سواء أرثيت به حجرا أم رثيت به كونفوشيوس الذى دان بعدهه آلاف الملايين منذ الوف السنين .

ولا جرم فان كونفوشيوس وحده صاحب شريعة في قومه ، وله نبيهم الفرد فما الصين كل العالم ، ولهها كل العالم فما كان تاريخ ( هذه الدنيا ) تاريخ جيل واحد . ولقد كان مصطفى زعيميا سياسيا يوقظ هذه الأمة فلو قيل انه موظف كل نفس بمصر في عصره لما كان هذا حقا اذ كم في مصر من رجل ايقظه ما ايقظ مصطفى نفسه من الحوادث وال عبر والمعارف وكم فيها من اناس لم يطرق صوته لهم سمعا ولا قلبا !

فاذما زيد على ذلك أنه موظف كل نفس بمصر في كل عصر فقد صار الكلام لغوا وسفها فاذا لم يكتفى بهذا وقيل عنه انه موظف كل الناس من جميع الأمم في جميع العصور فالامر شر من اللغو واقبح من السفه - هذا وما تجاوزنا دائرة من النهضات السياسية فما ظنك اذا خرج القائل من هذه الدائرة الى دائرة الاصلاح الأخلاقي فزعم ان ليس للأخلاق ركن قام في هذه الدنيا الا وهو من بناء رجل ولد في اواخر القرن التاسع عشر ، وأنها من بنائه قبل مولده وخىط لم تخطر له قدم ولم يسمع لاسمه صدى ؟

اذن يكون بكم العجماءات خيرا من شعر الادميين كما قلنا في  
فصل مضى .

\* \* \*

ومن الاحالة قوله :

بأنه فتش عن فؤادك في الثرى  
هسل فيه آمال لنا وامانى

لو سأل : هل في قلبك المدفون في الثرى آمال لنا وامانى  
لا غفرت له هذه الشرارة على قلة ممحصلها وتفاهة مغزاها . أما الذي  
يسأل أن يفتش فلا يصح أن يسأل هل في قلبك آمال وامانى الا في  
معرض التبكيت والتائب كمن يقول لرجل يتحرك ولا يعى : يا هذا  
الذى يعنى هل أنت حى ؟

ولقد قال حكيم :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى  
فكل من يفرض فيه أنه يفتش فله قلب تجول فيه الآمال ، به  
كبار النفوس وبعيري الهم ومنها :  
فلو أن دسل الله قد جبنوا لما

ماتوا على دين ولا ايمان  
لتصواب في اظهار فضل الشجاعة ان يقال أنها لارمة في اصتو  
المطالب واقرب الغايات كما يقال في اظهار فضل المال ان الانسان  
لا يقدر على ان يسترئ ابرة بغيره ولا يقال في الدلالة على شدة  
ازومه وبيان الحاجة اليه انه لا يقدر على شراء مدينة بدونه .

ولو قال شاعرنا أن أحقر الناس خليق ان لا يكسب قوه القفار  
بغير الشجاعة لكان لقوله معنى ، أما الاستشهاد على قدرها  
واستجاشة الناس لها بأنها ضرورية لمن كان رسولا ففى وسع الناس  
قاطبة أن يقنعوا بما دون الرسالة فلا يحتاجون الى الشجاعة . أما  
ان قبل ان الشاعر يعني ان الرسل الذين تمدهم قوه الله وتويدهم

دوح الله لابد ان يكونوا شجعانا حتى يؤمنوا فقد اعتذر القائل من  
فارغ الكلام بما هو افرغ منه وهل اذا سمعت ايهما القارئ رجلا  
يخبرك ان المصارع اتى بماله ومتانة الخلق لو لم يكن قوياما ما كان  
قويا اكنت تظنه يخبرك بشيء يستحق ان ينظم في بيت شعر ؟ فهذا  
الذى يخبرنا به شوقى ان صح انه يعني ما افترضناه ومن احوالاته :  
**فهي الفضاء لراغب متطلع وهي المضيق مؤثر السلوان**

\*\*\*

والذى ي قوله الناس - وشوقى منهم اذا شاء - ان فضاء الدنيا  
يضيق بالراغب المتطلع وان سعة الربح تازم بالطامع المتدفع ،  
لبعد آماد همته وتطاول آناء طماعته ، وقد يقولون ان القانع السالى  
تفسح له سبب الخياط ويرحب به جحر الضب !!

فاما القول بأن المطامع تفسح الدنيا والسلوان يحرجها فرأى  
لا يخطر الا على فكر كفكرة شوقى القلوب .  
ومن هذه الاحوالات هذه الفهامة :

**فاصبر على نعيم الحياة وبؤسها**

**نعمي الحياة وبؤسها سيان**

والصبر على بؤس الحياة معروف أما الصبر على نعيمها فعاذرا  
هو ! ولكن ويحنا فقد نسينا أن المصائب والخيرات سيان فلا غرابة  
في أن يصبر الانسان على النعمة وأن تسيطره المحنـة . هكذا يقول  
شوقى وما أصدقه فاننا لا نرى منحة هي اشبه بالمحنة من هذا  
الشعر الذى أنعم الله به عليه . والله في خلقه شئون .  
ويقول :

**يزجون نعشك في السناء وفي السنى**

**فكأنما في نعشك القرآن**

وزعيمنا الفقيـد كان فردا والقرآن اثنان فمن كان الثاني في  
ذلك النعش !!

ولا يقال ان صاحبنا أراد مقابلة النساء والسناء بالقمرين لأن النساء هو الرقة والسنى النور والشمس والقمر كلها رفيع منبر فلو إنه قال «كأنما في نعشك القمر» أو «كأنما في نعشك الشمس» لما نقص في الحالتين وصف من ذينك الوصفين . ولعمري كيف يكون النعش في النساء والسناء ثم يكون النساء والسناء في النعش ؟ وما هذا الرثاء الذى لا يتم الا بالقاء الشمس والقمر من عليائهم ميتين ؟؟ ولحيته رثاء يتم بهذه النكبات التى تزلزل الأفلاك . فما علمنا من فرق بين شعرائنا الذين يصفون الغظيم في كل حالة بأنه كالشمس والقمر وبين الطفل الذى يمدح كل ما يعرفه بأنه كالسكر فالمدرسة سكر والكتاب سكر وأبوه سكر وبيته سكر . كذلك شعراً ونا هؤلاء : مريثهم شمس وقمر وممدوحهم شمس وقمر ومعشوّقهم شمس وقمر وأولادهم شمس وقمر ولا اختلاف بين أمرىء وامرئ ولا بين حالة وحالة في جميع هذه الأوصاف .  
ويقول عافاه الله :

**وأنا الذي أرثى الشموس اذا هوت  
فتعدود سيرتها من الدوران**  
أى والله ظاهر . لكن الشموس والأقمار والنجوم التى تباع  
الحرمة منها بخمس مليمات وفي هذه نظر .  
ويقول :

**يا صب مصر ويا شهيد غرامها  
هستنا ثرى مصر فنم بامان**  
وتقول إنما يرثى بهذا البيت غريب جاهد في سبيل مصر وهو بعيد عنها فإذا قضى نحبه ولم يرها كان من العزاء أن تتعلّل بأنه سينام في ثراها . ومن السخف أن يقال لرجل مات في وطنه : أحببت بلدك فتم في ثراه اذا كان لا يدور بخلد أحد انه سيدفن في غيره .  
ومن مبالغاته التى تلتحق بما تقدم من هذا القبيل :  
**فلو أن بالهرميين من عزماته بعض المضاء تحرك الهرمان**

ولعله أراد المقابلة بين الشباب في البيت المتقدم والهرميين في هذا البيت ونحن ننوي على هذه المبالغة دائمًا أنها لا تدل على شيء فهب أنه قال :

فلو ان بالقطبين من عزماته بعض المضاء تحرك القطبان  
أو قال :

فلو ان بالشطرين من عزماته  
بعض المضاء تحرك الشيطان

إلى آخر المثنويات التي تسكن ولا تتحرك . ثم هب أنه قال البيت في رثاء مصطفى أو رثاء باستور أو في رثاء ابن زريق أو مشهور كائناً من كان فماذا يختلف من المعنى ؟ ومتى كانت الأوصاف لا تتغير موصوفاتها فلماذا يتجمس تعب كتابتها ونظمها ؟  
ويقول :

مصر الأسيقة ريفها وصعيدها  
قبر ابرى على عظامك حان

\* \* \*

مصر أيها القارىء - ولا تخطئ فتحسبها القاهرة المعزية فأنها مصر بريفها وصعيدها - مصر كلها ما هي الا قبر واحد . فله در شاعرها يرى رجلاً أحيا نهضة بلاده فيجعلها قبراً ، ولا يضروره وليدل على ماذا ؟ لا شيء .

وقد اجتزانا بهذه الأبيات ، لأنها كل ما في التصيدة من شوaled الا حالة وأعوجاج الطبع ، بل لأنها ذات طعم وان كان ودينا ممجوجاً وما سواها تافه لا طعم له ولا مذاق فيه . والحقيقة أن التصيدة بجملتها بنت الا حالة والسقط فإذا سلم منها بيت من النقد فأنما أكثر سلامته من الخلو لا من الاتنان .

\* \* \*

### (٣) التقليد

أما التقليد فاظهره تكرار المأثور من القوالب اللفظية والمعانى وأيسره على المقلد الاقتباس المفيد والسرقة وأعز أبيات هذه المرتاة على المعجبين بها مسروقة مطروقة فهذا البيت :

فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها  
فالذكر للإنسان عمر نان

مقتضب من بيت المتنبى :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته  
ما فاته وفضول العيش اشغال

وهذا البيت :

والخطق حولك خاسعون كعدهم  
اذ ينصلون خطبة وبيان

شوه فيه معنى أبي الحسن الانبارى فوق تشويهه وذاك حين يقول في رثاء الوزير أبي طاهر الذى صلبه عضد الدولة :

كانك قائم فيهم خطيبا وكلهم قيام للصلة  
وتقول شوهه لأن الخطيب لا يخطب الناس وهم سائرون به  
وانما يفعل ذلك اللاعبون في المعارض المتنقلة.

وقوله .

او كان يحمل في الجوانح ميت  
حملوك في الأسماع والاجفان

ما خوذ من بيت ابن النبيه في قصيده التي لم تبق صحيحة لم  
تستشهد بمطلعها :

الناس للموت كخييل الطراد  
فالسابق السابق منها الجواب

والبيت هو :

دفنت في الترب ولو أنصفوا      ما كنت الا في صميم الفؤاد  
على ان المعنى مرذول بلغ من ابتداله وسخنه ان تنظمه «عوالم»  
الا فراح في اغانيها وحسب الشاعر ان لا يكون ابلغ ولا ارفع من  
القاتلات « احطك في عيني يا سيدى واتكحل عليك » وانه ليقول  
كما قلن :

ولو ان لي علم ما في غد      خباتك في مقلتي من حمل

وقوله :

او كان للذكر الحكيم بقية      لم تأت بعد رثيت في القرآن  
منظور فيه الى بيت المعرى :

ولو تقسم في عصر مضى نزلت  
في وصفه معجزات الـى والسود

وهذا البيت :

او صيغ من غرد الفضائل والعلا  
كفن لبست احسن الاكفان

من قول مسلم بن الوليد :

وليس نسيم المسك ريا حنوطه  
ولكتبه ذاك الثناء المخلف

فما اضاف شوقى الى هذه المعانى سوى انه جعل الاكعان تصاغ  
وانه تحدائق فقال :

فلو ان اوطانا تصمصور هيكلنا  
دفسوك بين جوانح الاوطان

يريد جسدا . كانه يحسب ان الاوطان ان لم تصور جسدا لم  
يدفن الفقيد النابه فيها !!

وربما سرق شوقى ما لا يستحق ان يسرق فهذه شطنته :

لما نعيت الى الحجاز مشى الاسى  
الى بست هي شطرة الشريف في احدى همزياته :  
لما نعاك الناعيyan مشى الجوى

وكل ذلك هذه الشطرة « ان المنية غاية الانسان » هي من قول  
الشريف ايضا « ان المنية غاية الابعاد » وكان القافية صدته عن  
انتهاب الشطرة كلها فعاد اليها في رثاء فريد اذ قال :

من دنى او ناي فان المنايا      غاية القرب او قصارى البعد  
فأتم الفنيمة في قصيدين ، وسنعود الى بيان سرقاته في فصل  
على حدة .

\* \* \*

ويشبه الاحالة من عيوب المقلدين ولعهم بالأعراض دون الجوائز  
وهو العيب الرابع الذى اخترنا الكلام عليه من عيوب هذه القصيدة  
الدالة على انماط التقليد ومذاهبه . ييد ان الفرق بينهما كالفرق

بين الخطأ واللعب والسخف والubit ولكل منها سبب يمت به الى الآخر اذا تشابها في الصدور عن طبع اعوج وعقل فارغ . وقد يسهل التفطن الى الا حالة ولكن الفطر الى هذا الضرب من ubit عسير على من لا يدركه بالبداهة كما يسر على الاطفال ادراك رزانة الرجال انظر ايها القارئ الى هذا البيت :

### دقائق قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثوان

فانه بيت الفصید في رأى عشاق شوقى فعلى اي معنى تراه يشتمل ؟ معناه ان السنة او مائة السنة التي قد يعيشها الانسان مؤلفة من دقائق وثوان ، وهذا هو جوهر البيت ، فهل اذا قال قائل ان اليوم أربع وعشرين ساعة والساعة ستون دقيقة يكون في عرف قراء شوقى قد اتى بالحكمة الرائعة ؟ ولكنهم يقولون لك انه قرن بين دقات القلب ودقات الساعة وهذه هي البراعة التي تعجينا وبها هدانا الى واجب الضن بالحياة — وهنا يبدو للنظر في قصر المائة التي يذهبون اليها في اعجابهم وان بلاغتهم المزورة لا تتعلق بالحقائق الجوهرية والمعانى النفسية بل بمشابهات الحس العارضة . والا فلو قورن بين الساعة والقلب أيام كان يقاس الوقت بالساعات المائية او الرملية فهل يفهم لهذه المقارنة معنى وهل لدقات القلب الخالدة علاقة حقيقة بدقائق الدقائق والثوانى يستنبط منها الانسان سر الحياة ؟

ابهده العوارض يقدر الاحياء نفسة حياتهم وهل يتوقف المعنى الذى ينظم في الحياة الانسانية على علاقة سطحية باختراع طارىء ؟؟ ولقد قلنا في تقدنا لرثاء فريد « ان الحقائق الخالدة لا تتعلق بلفظ او لفظ لأنها حقائق الانسانية باسرها قد يهمها وحدتها عربتها وأعجميها » وتعيد هذه الكلمة هنا وتزيد عليها ان الحقائق الخالدة لا تتعلق بفترة محدودة ولا تقوم على مشابهة زائلة فليذكر ذلك قراء الجيل الغابر وليتذمروه . ويقيننا ان احدهم لو سمع

ناصحا يمظه في موقف جد - وأى موقف جد أجد من رثاء النابغين !! - فيناديه يا اخي صن وقتك لان قلبك ينبعض كما تنبعس الساعة لاغرب في الضحك ولخطر له ان صاحبه يخامر الشك في عقله ، ولكنه حين يسمع هذا الكلام شعرا يطرب له ويكبر قائله ، وما ذاك الا لحسبيانه ان الهزل جائز في الشعر فكاهة وحكمة ، ولو علم ان الشعر جد كجد الحياة لما تمثل بما حقه ان يضحك منه ويلهو به .

وكم هذا البيت اخواه هذان

لفوک في علم البیلاد منکسا جزع الھلال على فتی الفتیان  
ما احمر من خیل ولا من ریبة لسکنما یبکی بدمع قان

وللعلم جوهر وعرض فاما الجوهر فهو ما يرمز اليه من مجد الأمة وحوزتها وما ينطأ بمعناه من معالم قومية وفرائض وطنية . وأما العرض فهو نسيجه ولونه خاصة وليس لها قيمة فيما ترفع الأعلام لاجله . فشوقي يولع بهذا العرض اذا هو نظم في العلم ولا يعنيه ذلك الجوهر . ولا ريب انه ما كان يذكر لف نعش المرثى بالرایة المصرية لو لم تكن حمراء كى يكون لونها دمعا ودمها دما منزوفا . وليست هذه هفوة او فلتة بدرت منه هنا بل هي دأبه كلما وصف علما ، فقد قال في وصف الھلال الأحمر :

كان ما احمر منه حول غرته دم البراءة ذکى شیب عثمانا  
كان ما ابيض في اثناء حمرته نور الشهید الذى قدمات ظمانتا  
كانه شفق تسمو العيون له قد قلاد الافق ياقوتا ومرجانا  
كانه من دم العشاق مختصب يشير حيث بدا و جدا و اشجانا  
كانه من جمال رائع وهدى خرود يوسف لمساعف ولهاانا  
كانه وردة حمراء زاهية في الخلد قد فتحت في كفرصوانا  
فهو يمثل رایة الامة وعنوانها بالوردة وبالوجنة وبالپاقوت

والمرجان في لون الشفق . حتى الدم اذا ذكره يكون خضابا لشبة او دم عشاق . فيا للطافة الشعرية !! وليته سلم بعد ذلك من عيوب اللفظ فلم يخلق ليوسف خدودا من حيث خلق الله له خدين ولم يجعل للراية غرة ولا غرة لها بل ليته طابق الواقع المحسوس اذ هو قد وصف هلالا ابيض في أثناء حمرة والهلال الا حمر على عكس ذلك كما يدل اسمه عليه لو انه تنبه اليه - ومع هذا فاني لا قسم ان صاحبنا رص هذه (الكتانات ) في ابياته الستة ويخيل اليه انه لو تقدم به الزمن الى عهد عمر بن الخطاب لقال اشعركم من يقول كأن و كان لا من يقول من ومن ..

ومن الغباء العجيب ان يصف هذا الرجل راية حمراء ملفوفة على نعش بطل من ابطال الوطنية فيسرع بنفي الخجل والريبة عن احمرارها كأنها ملفوفة على نعش راقصة يخشى ان يظن بها الناس الظنون وهي بريئة عفنة !! اذ ما الذي يخطر على باله الخجل والريبة في هذا المقام وهو يرثى الرجل الذي يخاطبه قائلا

**ان كان للأخلاق وكن قائم في هذه الدنيا فانت البانى .**

ولكنها الغباوة لا تعلم اذا بدأت اين تنتهي بصاحبها !! ولبيت شعر شوقي اذا كانت رايتنا كالراية الفرنسية فماذا تراه كان يقول !!  
اكان لا يرى للف النعش بها اي معنى لانها لا تبكي بدمع أحمر !! .

تلك آية شوقي ومعجزتها : آية السيمباء . معجزة الشعوذة .  
كومة الرمل كما قلنا في اول المقال . ولقد أتم فيها امتساخ الطبائع بمخالفة الواقع فجاءت معرضا مختارا من الأغلاط ، وسعلما مرقاها من الشوز والأختساط . وما كان يسعه ان يخرج نفسه خلقا آخر فيأتي بالمستوى من الشعر وهو غير مستو ، ويستقيم في اغراضه ومعانيه وهو ملتو ، ولكن كان يسعه ان يعلم ان السكة الحجازية لم تصل الى مكة فلا يقول

لما نعيت الى الحجاز مشى الاسى    في الزانزين وروع الحرمان  
السكة الكبرى حيال رباهما    منكوبة الأعلام والقضبان

والحرمان في الحجاز هما الحرم المدنى والحرم المكى وكل قارىء  
للسحف ولا سيما لدن وفاة مصطفى كامل يعلم ان ليس حيال  
ربى مكة سكة كبرى ولا صغيرى ، وكذلك هى حتى الساعة  
وكان في مقدوره ان يعلم ان الحسين لم يشيع في موكب حاشد  
كما شيع مصطفى فلا يقول في وصف نعشة

وكانه نعش الحسين بكر بلا    يختال بين بكى وبين حنان  
وقد رأيناه يغیر على قصائد الشريف افتراه لم يفقه رأيته التي  
يقول منها في مصرع الحسين .

وخر للموت لا كف تقلبه    الا بوطىء من الجرد المحاضير  
كان بيض المواضى وهي تنبهه    نار تحكم في جسم من النور  
تهابه الوحش ان تتنو لمصرعه    وقد افام ثلاثة غير مقبور

وقصة مصرع الحسين مشهورة سيارة . ومن العامة من يستظهر  
خبره ويعلم كيف انه قاتل حتى اثخن بالجراح وانه – لا حيا الله  
قاتليه – مات وبه ثلاثة وثلاثون طعنة واكثر من اربعين ضربة ثم  
دبس بالخيل ورض جسده واحتز رأسه وطوفه ابن زياد الكوفة .  
ثم ارسله الى يزيد في خبر فاجع لا حاجة الى تفصيله . وانى لمن  
يموت هذه الميته ان تتحشد له العجائز ويطاف بنعشه في المواكب !!  
ولا نقول يختال بين البكاء والحنان فما من أحد ينسب الاختيال  
الى النعوش الا من كان نعشا مختالا كهذا الذى لا يميز بين تشيع  
قتيل الى قيره وزف عروس الى خلرها . فأن زعم انه يقصد  
موكب عاشوراء الذى يحتفل به الشيعة كل سنة تذكارا لوفاة  
الحسين فالخطأ اعظم واقبى لاننا نرى كل عام صورة من هذا الموكب

فما رأيناهم يحملون نعشا وانما يقتادون جوادا مسرجا ملجمـا لأنهم  
أزكنـ من شوفـي وأدرـي بما ينـبغـي ان يـذـكرـ به يومـ الحـسـينـ اذـ كانواـ  
يـحـتـلـفـونـ بـعـصـرـهـ فـيـ مـيـدانـ حـرـبـ لاـ يـمـدـفـنـهـ فـيـ الثـرـىـ .

كان يسعه ان لا يقول ذلك كما كان يسعه ان يسكت ولكنه الهم  
ان يستقصى عاهات الشعر ما يتداركه منها ، اذا شاء ، وما لا  
يتداركه . وان يجتهد في ذلك كأنه يكافأ على مجده و هو في الحقيقة  
يكافأ المكافأة التي يستحقها فانه بهذه العاهات يفق شعره بين  
الجهلة والسلجو و من لا يهمه من قراءة الشعر واستحسان ما يشيع  
عنه الاستحسان الا ان يدفع عنه تهمة الجهل والسذاجة او يقال  
نه انه يشتغل بكـيتـ وـكـيتـ منـ الفـرـائـبـ وـالـفـنـونـ .

\* \* \*

ولا ندع هذه القصيدة التي ملأها شوقى بما يسميه حكمة  
و بما يتسمى به الى مضاهاة المتبين ومضمارعة المجرى قبل ان  
تكتشف عن غشاوة يخدع من قبلها كثير من قراء الشعر الذين  
يؤمل صلاحهم واقتناعهم وان نروز تلك البدويـات و اشبـاهـ  
البدـويـاتـ التيـ يتـصـنـعـ شـوـقـىـ بـهـاـ الـحـكـمـةـ وـالـرـشـدـ لـعـلـهـ يـرـيـخـناـ منـ  
هـبـنـقـيـاتـ وـيـرـيـعـ نـفـسـهـ منـ عـبـاءـ لـأـطـافـةـ لـهـ بـهـ .

فالحكمة في الكلام ضربان : الحكمة الصادقة وهي من أصعب  
الشعر مـرـاماـ وـأـبـعـدـهـ مـرـتـقـىـ لـأـسـاسـ قـيـادـهـ لـغـيرـ طـائـفةـ منـ النـاسـ  
توحـيـ الـيـهـ الـحـقـائـقـ منـ أـعـماـقـ الـطـبـيـعـةـ فـتـجـرـىـ بـهـ الـسـنـتـهـ آـيـاتـ  
تـنـفـجـ بـيـلـاغـةـ النـبـوـةـ وـصـدـقـ التـنـزـيلـ وـيـلـقـىـ أـحـدـهـ بـالـكـلـمـةـ الـعـاـئـرـةـ  
مـنـ عـفـوـ خـاطـرـهـ وـمـعـيـنـ وـجـدـانـهـ فـكـانـهـ هـىـ فـصـلـ الـخـطـابـ وـمـفـرـقـ  
الـشـبـهـاتـ تـسـتـوـعـبـ فـيـ أـحـرـ فـمـدـودـاتـ مـاـ لـأـتـرـيـدـهـ الـأـسـفـارـ الـضـافـيـةـ  
الـأـشـرـحـاـ وـأـمـتـدـادـاـ وـتـسـمـعـهـاـ فـتـشـعـ فـيـ ذـهـنـكـ ضـيـاءـهـ وـتـرـكـ كـبـيـرـ  
يـتـقـابـلـ الـعـقـ وـالـبـساطـةـ وـيـاتـلـفـ الـقـدـمـ وـالـجـدـةـ : قـدـمـ الـحـقـيـقـةـ كـائـنـتـ  
مـاـ تـحـلـوـهـ الـحـيـاـةـ الـمـقـلـبـةـ وـحـدـةـ الـنـظـرـ الـثـاقـبـ وـالـنـفـسـ الـحـيـةـ الـتـىـ  
تـطـبـعـ كـلـ مـرـئـىـ بـطـابـعـهـاـ .

فهي تارة تلم لك شعث الحقيقة فتحسبها مجموعة كذلك منذ الأزل لم تتفرق قط ولا يكون لها أن تتفرق . كبيتى المتنبى اللذين يعدد فيهما من تصفو لهم الحياة . وهما :

تصفو الحياة جاهمل او غافل عما مضى منها وما يتوقع  
ولن يفالط في العاتق نفسه ويسومها طلب المعال فتقطع  
فالجاهمل من لا يعى والفاصل من يعى لو شاء ولكنه لا ينتبه  
والفالط نفسه واع منتبه يحجب بيديه ما تبصره عيناه . وهؤلاء  
هم الذين يغدون من الحياة صفوها على قدر حظهم الذى قسمه  
من الشعور بها ومهما يجهد الجاهمل فلن يجد انسانا غير هؤلاء  
تصفو له الحياة على حال ولن يحذف من عبارة البيتين كلمة الا  
نقص يقدرها من المعنى .

وتارة يلمع الى الحقيقة المألوفة فيحسن تصويرها حتى لكان  
قارئها قد كان يجهلها او قد نسيها فعاد يذكرها . كقول طرفة بن  
العبد :

لعمري كان الموت ما اخطأ الفتى لكالطول (1) المرخي وثنيةه باليد  
وهذا اجمل ما يقال في بحبوحة العمر المرتهنة بالأجل  
وطورا تصل طرقى الفكرة فتعرضها عليك من جانبها كما قال  
البحترى

متى ارت الدنيا نباهة خامل فلا ترقب الا خمول نبيه  
وطورا تصدع برأى يشطر الخلاف شطرين كالسيف الجراز  
تغرب به العقدة المؤربة فيقسمها على عجل كقول المتنبى المأثور  
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم  
او كقول أبي فراس  
ما كل ما فوق البسيطة كافيا فاذا قنعت فشكل شيء كاف

(1) الطول : حيل يطول للدبابة لترعن والثى الطرف .

ومن هذه الحكمة ما ينتزع به الشاعر مشاهدة من مشاهدات الطبيعة فتصبح كأنها القانون الجامع او يقصد بها حالة واحدة فتطابق لصدق نظره كل حالة من نوعها ومنها بيت العباس بن مرداس

بفاس الطير اكثرا فراخا وام الصقر مقلات نزور  
غليس الشأن كذلك في كرائم الطير فحسب بل هو مما يطرد  
كثيرا في كل نسج ونتاج .  
ويقرب الشاعر الحكيم المعنى العويض وال فكرة البعيدة فيوضحها  
وضوح المألفات كما صنع الافوه الاودي بهذا البيت الفذ  
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم  
ولا سراة اذا جهـا لهم سـلـوا

فقد حفيت الاقلام بحشا وتنقيبا في علوم الاجتماع وكلت  
القرارئع تدبـرا وانعاما في شـؤـون الـأـمـمـ وراقبـتـ الدـوـلـ عـلـىـ سـنـنـ  
شـتـىـ منـ الـأـنـظـمـةـ وـالـدـسـاتـيرـ فـمـاـ خـرـجـتـ كـلـهـاـ بـزـبـدـةـ اوـ جـزـوـ لـاـ أـصـدـقـ  
وـلـاـ أـتـمـ مـنـ هـذـهـ حـكـمـةـ التـىـ اـهـتـدـىـ إـلـيـهـاـ هـذـاـ الـبـدـوـيـ النـاشـئـ فـيـ  
عـصـورـ الـجـهـالـةـ وـأـنـكـ لـاـ تـزـنـ أـمـةـ بـمـيـزـانـ هـذـاـ بـيـتـ إـلـاـ كـتـتـ عـلـىـ ثـقـةـ  
مـنـ السـدـادـ وـالـأـصـابـةـ .

هذه هي الحكمة الصادقة وهي كما ترى غير قاصرة على ايراد  
الحقيقة المسلم بها وانما هي الحقيقة كما تبصرها الفطرة الخصيبة  
والفطنة النافذة واللسان البلigh ، وبغير ذلك لا تكون الحكمة الا ملكا  
مشاعا للدهماء كحصباء الطريق يحرزها من يلتقطها .

والضرب الآخر حكمة مبتدلة او مفشوحة معتملة . اشر فيها  
ما كان من قبيل تحصيل الحاصل ، وكلها لا فضل فيها لقائل على  
قائل ولا لسابق على ناقد ، اذا قارنا بينها وبين الحكمة من ذلك  
الطرانز كانت كمن يحفر الآبار للناس على شاطئ النهر الفزير ،

وكانت تلك كمن ينبط الماء من ينابيعه الصلدة لمن لوحهم الصدى  
والهجر ، واحمق من يحفر البئر على سطح النهر من يروح  
ويغدو ينظم من اشباه البديهيات تلك النصائح الفاشية التم حفلت  
بها كتب التمرينات الابتدائية . « كالعلم نافع والصدق منج والبركة  
في البكور واحترم الاستاذ تتقدم وفي العجلة الندامة وفي التائى  
السلامة » وما الى هذه النصائح والامثال والحكم – ينظمها ليشتهر  
بالحكمة وليصيغ من فوقها .

### لي دولة الشعر دون العصر وائلة

#### مفاخرى حكمى فيها وأمثالى !!

فهل يدرك القارئ من صاحب الحكم والامثال المخوز !! انه  
هو شوقى ، ثم هل يدرك ما حكمه وأمثاله التي اعتببت له بها  
دوله الشعر !! هذه هي :

عليكم لواء العلم فالفوز تحته وليس اذا الاعلام خانت بخدال  
والعلم في فضله او في معاخره ركن الممالك صدر الدولها خالى  
يقل للعلم عند العارفين به ما تقدى النفس من حب واجلال

\* \* \*

بالعلم (يتنبك) الدنيا ونضرتها ولا نصيب من الدنيا لجهال

فليقارن القارئ بين هذه المفاخر وبين مفاخر التمرين الاول  
نحو « العلم بور . من عاشر العلماء وقر . تعلم العلم لحفظ الدرس .  
حلى النساء الذهب وحلى الرجال الادب » وليسأل نفسه ماذا زاد  
عليها ملك الشعر المتفرد بدولته وأى ميسم يبدو عليها من مياسم  
نفسه وماذا من وحى الشاعرية والهام البصرية ونهاية العبرية  
وأصالتها !! أليس كل ما يميز بينهما الوزن والقافية !!

ومن اركان ملكه أعزه الله هذه الجمل المركبة من سنت كلمات  
فأكثراً فليتلق الوحي اناس حجبوها عن صفاء الشاعرية  
وليسفيدوا :

المحسنون هم البا ب وسائر الناس النفاية  
ان القضاة اذا رمى دك القواعد من ثير  
والمال لا تجني ثمار رؤسه حتى يصيب من الرؤس مدبرا  
الجد غاية كل لاه لاعب عند المنية يجزع المفراح

سر في الهواء ولذ بناصية السهى

الموت لا يخفى عليه سبيل

فلم ار غير حكم الله حكما وان ارد دون باب الله بابا  
وابقى بعد صاحبه وثابا ومن يعدل بحب الله شيئا  
كحب المال فعل هوى وخيلا اذ الحظ لم يهجر المحترف  
وما الرزق مجتنب حرفة ما الدين الا تراث الناس قبلكم  
كل امرئ لا يبيه تابع تال ومن العقول جداول وجلائد حرائر واما  
ارم النصيحة غير هاب وقها

ليس الشجاع الرأى مثل جبانه

ولعمري لقد كانوا يقصون علينا ونحنأطفال حكاية تاجر الزجاج  
مع الحمال وهي الحكاية التي يضرب فيها المثل بالحكم الفاترة فكان  
يضحكنا أن نسمع التاجر الحصيف يرمي بحكمه الثلاث للحمل  
واحدة في أثر واحدة فيفهمه متى أنه : « ان آل لك حد الراكب  
مثل الماشي أول له بتفسر . وان آل لك حد الفنى مثل الفقير أول  
له بتفسر » فكنا لا نظن هذه الحكم تساوى أجرة « شيلة » حتى  
رأى شوقي أن يسمعنا نظما « ان آل لك حد الشجاع مثل الجبان  
أول له بتفسر » فاما يخرب ذلك الحمال الذى لم يقدر ما قبضه  
من الأجرة الفالية !!

وهل علم أحد ان المسافر اذا آب فقد آب قبل ان يقول  
شوقي :

وكل مسافر سبوب يوما اذا رزق السلامة والاباما  
ام علموا الحق حتى اخبرهم به مستغربا جهلهم سائلا اباهم :  
اليس الحق ان العيش فان وان الحى غايتها الممات  
اليس كذلك ام ماذا بالله ؟؟

ام حكم احد الاحلام الا حين علموا منه ان :  
الحق ابلغ كالصباح لنظر لو ان قوما حكموا الاحلاما

\* \* \*  
ومن امثلة حكمته المفسوحة المتمللة قوله

لتن تمشي البلى تحت التراب به

لا يؤكل الليث الا وهو اشلاء

والبيت من قصيدة في شكسبير . ومعنى ان جثة شكسبير  
استعصت تحت التراب على البلى فلم يقدم عليها حتى مرقها - اى  
انه لم يمزقها حتى مرقها ولم يبلها حتى ابلها ولم يتلفها حتى  
أتلفها ولم تتفتت هي حتى تفتت . مهابة واجلاا !! . وانه لما  
اكلها اكلها ولكن بعد تقسيمها كما ان الاسد لا يؤكل الا عضوا  
عضوا ..

تصفيق متواصل لشاعر المشرقين والمغاربيين والأرض والسماء،  
المحسن الى واحد من رعاياه بالتقدير والرثاء ، المنعم عليهم بالذكر  
والابياء .. تصفيق متواصل .. لا بل ضحك تتجاوب به الاصداء،  
على القرىحة الصماء ، والفطرة البليدة الخرساء : فطرة ملك الشعر  
وامير الشعراء .

فيهذا . ان جثة شكسبير ليست بموضع العظمة منه لانها  
في الحياة جسد تفوقه في الحسن والقوة اجساد كثيرة . وهي في  
الموت رفات يبلى كما تبلي بقايا الاحياء من اكملها الى ادنها . ولو

جاز أن يعظم أحد بأن يقال إن الموت يتهيب جسده لكان ذلك اليق  
بابطل الحروب اذ كاث أبدانهم موضع صلابة يتغلبون بها على  
أقرانهم . ولتنا مع هذا نرى المتنبي يقول في ابن شجاع .

### من لا تشبهه الاحياء في شيم امسي تشبهه الاموات في الرسم

وهو من نعلم محضا الحروب وابن الكريمة وحلس الخيل كانوا  
يلقبونه المجنون لا قدامه وتهجمه . فما بال من كان اللب والحنى  
فخره الوحيد يمدح بأنه ذو جسد لا يملى بعد موته ؟؟ وعلى انه لا  
معنى لأن يقال ان البلى تهيب أن يتمشى فيه الا بعد تقسيمه لأن  
تمشيه فيه هو التقسيم . ثم لا معنى لأن يميز الليث بأنه لا يؤكل  
الا هو واشلاء لأن الشأن كذلك في كل ما كول فالقارب أيضا لا يؤكل  
الا وهو اشلاء والدجاجة لا تؤكل الا وهي اشلاء بل حتى الارز لا  
يؤكل الا وهو اشلاء مضوغة وما من شيء يزدرد لقمة واحدة فيما  
نظن ويظن جميع الاكلين . وصاحبنا يرى شاعرا فيخلط هذا  
الخلط فعماه الله ؟؟ نوع من أنواع العظلمة يفقهه ان كان لا يفقة  
الظلمة التي يلتمسها منذ ثلث قرن من الزمان ؟؟ وأين من تقدير  
شكسبير من يرثيه رثاء اذا صح فيه فانه يصح في كل حيوان ؟؟  
على ان لشوقى دون هذا الحضيض حضيضا ينزل بالحكمة  
الىه فيلحقها بوظيفة كتاب الاعلانات ويكلف الشعر أن يقول ا

احذر التخمة ان كنت فهم ان عزرا تسل في حلق نهم  
واتنق البرد فكم خلق قتل من توقاء انقى نصف العمال  
اتخذ سكناك في طلق العجواء بين شمس ونبات وهواء  
خيمة في اليد خير من قصور تدخل الشمس عليها بالمرود

وتقول : ان كانت هذه حكمة وشعرًا فلم لا يكون كاتب « احترس من النشالين » و « ان أردت النزول اطلب من الكمساري توقيف القطر » نابفة يستعمل الحكمة ويستعمل وحى الشعر ويرتجل البلاغة ؟؟

وتكميلاً للبيان المتقدم نورد هنا أبياتاً يجوز أن يكون معناها مطروقاً شائعاً ويجوز أن يكون من جوامع الكلم ليتبين كيف يتناولها الشاعر المطبوع فينفتح فيها حياته وكيف تعن للنظام المقلد كما هي ونختارها من معانٍ ورد مثلاً في شعر المنشي الذي يقتفي شوقى أثره ويطمع أن يجاريه . وهذا بعضها :

لولا المشقة ساد الناس كلهم  
الجود يفترق والأقدام قتال  
الف هنا الهواء اوقع في الآلة  
فس ان الحمام من المذاق  
من اطاق التماس شيء غالباً  
وافتصاراً لم يلتمسه سؤالاً  
من يهن يسهل الهوان عليه  
ما لجحري بعيت ايلام  
لا يعجبن ماضيما حسن بزته  
وهل تروق دفينسا جودة الكفن

فهذه أبيات من رائع الحكمة تحمل في طواياها حجة الطبع الدامفة وآية الفطنة البالغة ، وهي قد كان يمكن ان تقع لشوقى من ذخيرة الاحاديث المشاعة فتسمعها منه كعادته في نقل هذه الاحاديث منظومة فإذا هي مثلاً : ( الجود مفترق والأقدام مقتلة . الحمام من المذاق . القوى مفترض . من هان سهل عليه الهوان . لا يزبن الذليل حسن البزة ) وهكذا عهدنا الأمثال العامة فذاشت أن تزن الحكمتين بميزان الصحرين فكلاهما صحيح ، ولكن ليست

الصحة الواقعية هي ما نطلب من النفس المهمة والطبيعة المشرقة والسريرة العميقة وإنما المصدر الذي تبجست منه والشخصية التي طبعتها بصورتها والقلب الذي خرجت من لدنه واللحجة التي صيرتها مقنعة شافية هي بفيتها من نجوى الالهام وهي التي يرثى منها غليل السامع حين يسمع من بيت المتنبي « لولا المشقة ساد الناس كلهم » ثم يتم العنى لأن هذه الشطارة التي لا تزيد البيت صحة تزيده حياة وتنبئنا وحدها بأن في البيت حقيقة أقرب البناء وحجة الصدق بنا وثمرة أجدى علينا من الحقائق الرياضية المجردة التي تمحن بموازين الجمع والضرب ، وتأمل تعبيره عن الحياة بأنها « الف هذا الهواء » فهل ترى أصدق من هذا التعبير !! أليس المتنبي قد لمس به سر كل تركيب في هذه الموجودات التي ليس كيانها إلا عادة تأنفها زمنا ثم تتبدلها !! ومثل ذلك يقال في بقية الآيات .

وصفة القول أن الحكمة المبتذلة أيسر ما يتعاطاه الناظرون لأنها صوغ متاع مشاع على حين أنهم لا يمسون الحكمة العالية مساسا ولن يقاربواها ولا اختلاسا . لأنهم لا يملكون جواهرها ولا يقدرونه لو وقع لهم ولن يحسنوا ممشاهاته وان اغتروا ببساطته وسهولته . وربما خدع بعض الناس في بعض أقوالهم فخالوها من قبيل الحكمة العالية لما يبهرهم من رنين صيافتها وبريق طلائهما فليعلم هؤلاء المحسنون الذين بحكمة الناظرين أن أرقى ما يرتفعون إليه أن يأتوا بكلمة مقبولة في شئون المعيشة وفرق بعيد ويبون شاسع بين المعرفة المعيشية والمعرفة الحيوية ، فاما الأولى فبنت المران والمكابدة تقرأ آلافا من أمثالها في كتب اللياقة ونصائح « اياك وحدزار عليك » وأما الثانية ففيها مزايا الحياة النادرة وثمرة التفوق في شمائتها المقدسة وضمائرها السرمدية . كتابها صفحات الاكوان وسريرة الانسان ومن ينابيعها تفجر المقاديد والاديان وتنبثق روح الرشد والبيان . الأولى لون من الوان البيئة المكتسبة والثانية قبس من نور الحياة الدائمة ، وشنان هذان شنان .

وربما اتفقت الحكمة المطبوعة لن لا شك في غلبة الصناعة عليه  
كالحريرى على ما اذكر حين يقول :

كل من الوجود يطلب صيغا غير ان الشياك مختلفات  
ولكنها فلتات لا يقاس عليها

ولقد ذاع لشوقى بيت سوقى فظن انه سقط على كنز وطار  
به كأنه لا يصدق انه له او كأنه يخشى ان ينزعه لفرحته به وهو  
وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وكرر فقال

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان تولت ماضوا في اثرها قدما

ثم كرر ايضا في قوله

اذا اخلاقهم كانت خرابا وليس بعاصم بنيان قوم

ثم كرر اذ يقول

ملك على الأخلاق كان بناؤه من نحت اولكم ومن صوانه

وكرر في نشيده وفي قصائد أخرى وكل هذا الفرح بمعنى  
بعد من تحصيل الحاصل ان كان له مدلول ، فليس يقول لك  
ما يستحق ان تصفى اليه من يخبرك بأن الأخلاق الصالحة ملاك  
صلاح الاجتماع وقوام الأمم . ومن كان يقرر معنى يعكس فيكون  
عكسه ظاهر البطلان ويطرد فلا يزيد على ما هو متعارف فانما يقرر  
البديهيات ويدخل فيما نسميه بالحقائق الرياضية او حفائق  
التمرينات الأولية .

ورحم الله القناعة ، لقد كان ابن سودون الجنون يضحك الناس  
في بائيته بمثل هذه الحكم :

عجب عجب عجب عجب بقسر تمشي ولها ذنب  
والناس اذا شتموا غضبوا لا تغضب يوما ان شتمت

الى أن يقول

### النسقة لا منقار لها والوزة ليس لها قتب

وكتيرا في قصيده من حكمة كهذه كان أقصى مناه أن يقال فيها أنها سخيفة ظريفة . وها هنا شاعر خلا كلامه من هذا الظرف ولكنه يطمع بالسخف البحث أن يستائز بدولة الحكم والأمثال .

وقلنا ان كان للبيت مدلول ، لأن البيت في الحقيقة لا مدلول له . فلو أنك حذفت كلمة الأخلاق وجعلت مكانها أصفارا لما نقص من معناه شيء . لأن هذه الكلمة لا تؤدي معنى محدودا في الدهن فقد تكون بمعنى الآداب كالصدق والسخاء وحسن المعاشرة والوداعة والحلم ، وقد يفهم منها نقىض ذلك من الطياع كالعناد والمراءة والدهاء والبطش وهو ما يفهم أحيانا من كلام الإفرنج حين يصفون رجلا بأنه من ذوى الطبائع البارزة والحيوية المتينة فأى المعنيين يقصد شوقي !! أن من الأمم ذوات الحيوية الفلاية من لا تعرف للصدق معنى وقد تعد الكذب والمرقة فضلا وهى مع ذلك من تأصل مادة الحياة فيها واحتواها على بواعث القوة والسيادة بحيث لا يخشى عليها الانقراض العاجل أو البارد . والتاريخ غاص بسير هذه الأمم . وان منها لما تحمد سجاياه ثم لا تلفيه من القوة على نضيب وافر فليقل لنا شوقي ما غناه بيته ان كان لا يبين لنا ما لونها كما قال بنو اسرائيل .

ولقد أضحكنا مرة أحد الشراة الدين يتلقفون من الكلام ما لا يفهون فقال لنا ان البيت الحكيم ما وافق هوى من نفوس الناس وان في ذيوع بيت شوقي الدليل على قيمته . فقلت له يا صاح : أشييع من بيت حكيمك هذا بيت ابن الوردي .

لا تقل اصلى وفصلى ابدا انها اصل الفتى ما قد حصل

فان كان لهذا الشعر قيمته فهنيئنا لنا !! اننا امة من ثلاثة مشر مليون حكيم بل هنيئا للانسانية فان الشمس لا تطلع الا على الحكماء من اينائها .

## رثاء الأميرة فاطمة

أقسم بالكعبة ذات الأستار ، وبقبر النبي المختار . أقسم  
بفاطمة الزهراء ، وجلسها الوضاء ، أقسم بالشهد الحسيني  
والضريح الزيتني ومقام السيد البدوى ومزار كل شريف من ولد  
فاطمة وعلى . أقسم بالعترة النبوية ومراتدها الزكية ، ما ان دفنا  
باليام الا نيرة ..

بهذا القسم ، او على الاصح ، بهذه الاقسام استهل شوقى  
رثاء للأميرة الحسنة فاطمة بنت اسماعيل . وهى منثور قوله :

حلفت بالسترة والروضة المعطرة  
ومجلس الزهراء في الحظائر المنورة  
مراتد السلالة الطيبة المطهرة  
ما انزلوا الى الشري بالامس الا نيرة

ولولا ان الأمر اظهر من ان يحتاج الى قسم لا قسم له بعن  
قبلة ومقام ، وبكل نبى وامام ، انه لنسيج وحده في فكاهة الرثاء ؟  
ان كان للرثاء فكاهة ، ولم لعمر الله لا يكون له فكاهة وقد ارانا  
شوقى في مراثيه اجمع فنا بيتدا منه وطفق يبكي من يبكيهم كافة  
ينمط يلتبس عليك فيه اليجد بالمزح ، ويقترب العبت بالملح -  
أفرأيت احدا قط يقسم لك على صدقه في تعداد منافب مراثيه  
كانه يخشى التكذيب او يتقى ان يحمل كلامه محمل الرياء والمجانة

غير شوقي ؟؟ وإذا اطrod هذا في جميع شعره قلم لا تحسن الظن ونتقاه منه على أنه مذهب جديد في بابه ونأخذ له اسما في أصول البلاغة مصطلحا عليه : فكاهة الرثاء مثلا كما قلنا أو اسم آخر مقبولأ لديه ان لم ترقه هذه التسمية ، ثم نورد الشواهد عليه من مرائيه وانها لكثيرة طويلة بحمد الله الذي لا يحمد على المكره سواه ؟؟

وسنرى الذين يمارون في اختراع شوقي لهذا الباب واطراده في قصائده جميعا وفي أبيات القصيدة الواحدة ، نقول سنريهم أنها ليست بفلترة نظم أو هفوة خاطر ولكنها أصول يرعاها وأسوم يعيها ولا ينساها ، والا فلو كان خذره من التكذيب واتقاؤه تهمة المداجة فلتة سبقت بها قريحته في مطلع القصيدة فماذا كان يدعوه الى أن يقول بعده :

**دع الجنود والبنو د والوفود المحضرد  
وكل دمع كتب ولوعة مزورة**

الا ان الامر بين من ينصفون ... فالشاعر بذلك قصيده بالقسم فأشعرنا الريب واتهم نفسه في ثنائه ، ثم عاد فذكر الدمع الكلب واللوعة المزورة فارانا حكمة ذلك القسم وانه لم يبدر منه جهلا بفنون الرثاء وانما تفتنا واختراعا لم يسبق اليه ، ونرجو أن لا ييارى فيه ... فاما أن يسمى هذا الاختراع الجديد رثاء كما عهدا الرثاء القديم فهذا غبن لشاعرنا وتسمية للأشياء بغير اسمائها . فلابد اذن من أن ينتقى له اسم مبتكر مطريف وعليه هو تحرير قواعده وضبط اصوله ورسم نماذجه .

\* \* \*

عجب والله أمر هذا الرجل !! ما رأينا خطأ أشبه بالتعتمد ولا توقرا أقرب الى المجانة من هدائه في رثائه . وما التبس الهزل بالاجلال قط التباسهما في تأبينه وبيكائه . فما كان أفناء عن الحلف ومبرات الاميرة أشهر من ان يرتاب فيها او يتنازع عليها ؟؟ وهبها

لم تكن كذلك فهل جرت العادة أن تؤيد المأثر إذا لم يصدقها الناس  
بالإيمان أو البراهين في قصائد الرثاء ؟؟ تتجاوز هذا وساله :  
ما باله يفترض أن الناس تبكي على الأميرة بدمع كذب ولوحة  
مزورة ؟؟ أضروري هذا ليقول بعده أن الدموع الكاذبة لا تفني  
عنها وأنه .

### لا ينفع الميت سوى صالححة مدخلة

أيقول ذلك لأن الدموع إذا كانت صادقة واللوحة خالصة نفعت  
الميت وأغنته عن الصالحة المدخلة ؟؟ فإذا كان التباكي كالبكاء في هذا  
المعنى فلم هذا السخيف الذي يغض من المبكية والبسكين وليس له  
من جدوى ؟

ونحن ما كنا لنوسع لهذه القصيدة محلا من النقد لو لا أنها نريد  
أن يلمس ضعف تمييز شوقي عن التفرقة بين حالات النفوس  
ضعفا لا تنفرد به قصيدة دون قصيدة ، ولو لا أنها سمعنا يتبين  
منها يرددان في معرض الاستحسان فأحببنا أن نمسح الرغوة عن  
محضهما لأن عساه أن يكون على رأس المستحسنين لهما . فالبيت  
الأول وهو .

فاطسم من يولسد يمت المهد جسر المقبرة .  
أعجبهم منه « جسر المقبرة » وهو معنى متوارد عليه . نذكر من  
السابقين إليه أبا العتاهية حيث يقول :

وعبروا الدنيا إلى فيرها فانها الدنيا لهم عبور  
ونصله المجرى وقشه فقال :

حياة كجسر بين موتيين : أول وثان ، وقد ألمء ان يعبر الجسر  
وهو اوضح وأوجز في قول محمود الوراق :

اغتنم غفلة المنية واعلم انها الشيب للمنية جسر  
فالذى صنعه شوقي هو انه سرقه وشوهد كعادته لأنه جعل  
المرء يخرج من المهد إلى المقبرة وما نظن الناس يموتون كلهم أطفالا !!

والصحيح ان المهد اول مراحل الجسر والحياة بمراحلها التالية  
بقيته .

والبيت الثاني او هو بيت القصيدة في رأيهم قوله :

**يلفظهما حنظلة كانت بفيشه سكرة**

يعنى الروح . وقد كان يخطر لنا ان يمتدح كل بيت في القصيدة  
خلا هذا البيت ، وهذا من الغرائب في تضاد الاذواق وانتكاسها .  
فقد دل به شوقى على سقم تعبيره واراد ان يقول ان المرء يحب  
الحياة ويشعر بمرارة فراقها عند الموت فعكس المراد لانه كنى عن  
صعوبة ترك الحياة بلفظ الحنظلة ولفظها محبوب يرتاح الانسان  
الى ما فيه من ازالة المرارة عن فمه ولو انه قال :

**يلفظهما سكرة كانت بفيشه حنظلة**

لكان هذا الصواب في تمثيل تألف الانسان من الحياة حتى اذا  
ادركه الموت حلا مذاقها لديه وكره ان يلفظها كأنها « السكرة » !!  
ولكننا نخال صاحبنا كمن يمشى على يديه او ينام على بطنه فيري  
العالم معكوسا ...

ومن ترهات شوقى التي يخرجها مخرج الحكم قوله من هذه  
القصيدة :

**وكل نفس في غمد ميّة فمشيرة**

فالنفوس لا تموت في قد فحسب ولقد ماتت نفوس لا تتحصى  
امس واول من امس وقبل ذلك بآلاف السنين وهي تموت اليوم  
بل الساعة . ولكن الرجل اشتته ان يقول : ان كل نفس تموت  
منشرا غدا – فخانه الاداء وخذلتة العبارة وهي لو استقامت له لما  
 جاء بطائل .

واما سائر ابيات القصيدة فلا فرق بين اثباتها وانتقادها  
وحسينا ما شفينا من حيز هذه الصفحات نقل شعر شوقى فلا  
تضرب في الهواء ولا نطرح في البوتقة الحصاء ، والشعر اذا تساوى  
فيه التقد والاغضاء فخير منه الصحائف البيضاء -

## ماهذا يا أيام و ٢٢

مصطفى أفندي الرافعى رجل ضيق الفكر مدرع الوجه يركب رأسه مراكب يتريث دونها الحصفاء أحياناً وكثيراً ما يخطئون السداد بتريثهم وطول انتظارهم . وطالما نفعه التطوح وأبلغه كل أربه أو جله اذ يدعى الدعاوى العريضة على الامة وعلى من لا يستطيع تكذيبه فتجوز دعواه وينق الحافه عند من ليس يكرثهم أن يخدعوا به . ييد أن الاعتساف اذا كان رائده الخرق في الرأى وشيك أن يوقع صاحبه في الزلل احدى المرار فيضيع عليه ما لو علم انه مضيقه لفدام بكل ما في دماغه من هوس وما في لسانه من كدب ، وكذلك فعل ضيق الفكر وركوب الرأس بمصطفى الرافعى فحق علينا أن نفهمه خطر مركبه وأن قدميه أسلس مقاداً من رأسه لعنه يبدل المطية ويصلح الشكيمة .

أصدرنا الجزء الأول من هذا الكتاب فكان مما نقدناه فيه نشيد شوقي وهو بعض ما ننظر اليه من شعره وجماع ما ينظر اليه الرافعى لأنه لا لبالي اذا سقط التشيد ان تحسب كل خرزة من بضاعة شوقي جوهرة وتقلب كل حنظلة من كلماته سكرة ١١ ولكنه مع هذا الجاج المحدود والولع المحصر لم يفوق اليه من هناته مصممية ولا مدمية وسرق بل انتهب منا الكنانة والدخيرة فلم يدع في طبعة نشيده الثانية وجهاً من اوجه النقد التي اتينا بها الا انتزعه وبسده وفاته ان القديفة لا يرمى بها مرتين ولا تصيب من متزعين .

ولقد أحسن بنا الظن وأساءه فلم يستغف عننا ولم يقدر فينا التنبه  
إلى صنيعه ، وما له عفاه الله يقدر فينا السكوت عن سطوه علينا  
ونحن يسوعنا أن يسرق الناس من غيرنا ولا نرضى اجتراءهم على  
غير سياجنا ؟

وليته اعتدل أو ترافق فيعذر بعض الأعذار ولكنه اذن لنفسه  
نهاية الأفراط ولا يريد أن يأذن لنا بسوى نهاية من التفريط .  
فبعض هذا يا أبا درويش أو يا أبا السامي كما تكى نفسك أو يا أبا  
عمرو كما تقول للجنة الأفانى في خطابك فان صاحب الساكنين حرى  
أن لا يفتسب بالسيف كما صنعت وفي رائعة النهار .

قلنا في نقد نشيد شوقي ان النشيد القومى يجب « ان لا يكون  
وعظاً يحمسة ونحوه وأن يكون موضوعاً على لسان الشعب ».  
فرجع صاحبنا أبو عمرو إلى نشيده فحور منه ما استطاع  
بضمير المتكلم فقال :

إلى العلا في كل جيل وزمن فلن يموت مجسداً كلابون  
وقد كان هذا البيت في الطبعة الأولى :

إلى العلا في كل عصر وزمن فلن يموت مجد مصر لا ولن  
ولما ان طوى هذا الضمير ووثق من مواراته وتغض عن يديه  
ترابه وقف بين الناس كان لم يصنع شيئاً وصاح بئوب شوقي  
لقوله :

على الأخلاق خطوا خطوا الملك وابنوا الخ . . . . .

ويسائله : « ومن هذا الوعظ يا ترى . . . أمن الشعب لنفسه  
أم من شوقي للشعب ؟ ص ٧٩ » كما سأله من قبل : « فعن الذي  
يأمر المصريين هنا ويناقشهم هذه المناقشة لا » وكما أخذنا عليه  
« أنه لمحظاً مطية الفلسفة والمواعظ » .

وانكرنا من نشيد شوقي أنه « قد حسب أننا سنظل طوال  
الدهر كلابنا في يومنا هذا فنظم لنا نشيداً لا نتخلى به في جميع

العصور أن يتهيأ م مكاناً وأن لا ينبع نشرع في التمهيد ونأخذ في الاستعداد ونبدأ برسم خطط الملك ونهم بتشييد الأركان ». .

فجاء أبو عمر الببغاء فقال : « و اذا قيل اليوم لبني مصر هيا  
مهدوا للملك و مكانتكم تهيا فهل يقال لهم هذا بعد مائة سنة وبعد  
الف سنة وما شاء الله والي آخر الدنيا ولا يزالون الدهر كله في  
تمهيد ؟ » ص ٧٨ .

وعقبنا على قول شوقى عن الشمس : « لم تك تاج او لكم مليا ؟ » بإن الشمس « لم تكن تاج الفراعنة وإنما كانت معبودا لهم وكانوا يزعمون أنهم من سلالتها » .

فعلمت البيهقي أيضاً «أن زعم شوقي أن هذه الشمس كانت  
تاج أولية المصريين خطأً بين وإنما كانوا ينتسبون إليها ويعبدونها»  
ص ٧٩ .

فَلَمَّا مَا أَعْلَمُ الْبَيْفَوَاتِ بِالتَّارِيخِ إِذَا لَقْنَتْهُ !!

وعينا على شوقى تخفيف الهمزات وأنه صير « سئلت » سيلت  
و « تهيا » تهيا و « شينتا » شيا .

فلم ينسها أبو عمرو وجعل يقول: « وهذا التسهيل في همزة سيلت لم يفهمه الا القليل وقد لقينا بالسؤال عنه طوائف من الاساتذة مما ادركوه وأصل الكلمة سيلت » ص ٨٢

فمنْدَ الآنْ لَهْ مَنْدُوْحَةْ عَنْ سُؤَالْ طَوَافَ الْإِسَائِدَةِ الْدِيْنِ  
لَا يَدْرِكُونَ مَا يَدْرِكُهُ هُوَ بِهَذِهِ السَّهُولَةِ !!

ورويانا أن بعض الملحنين والظريفاء يستقبحن تلحين نطاول  
عهدهم عرا و «فخرا» الخ الخ .

لأن التنوين لابد أن يسقط في الاشداد فيخلفه المد وترجيع الصوت . قالوا « و اذا انتهى المنشد متلا الى كلمة ( فخرا ) و مد

بها صوته ورجمه فاي راحه تفوح منها؟ ثم قلنا : « ولسنا نحن  
من يبالي بهذا النوع من النقد ولكننا نعلم المنشد » .

فروى هو كذلك عن الأدباء والملحنين انهم : « تنادوا بقوله فخرا  
وجعلوا الكلمة معرض نوادرهم وقالوا انها مما لا يدوقه أحد  
الشعراء من طعم كلامه » . ثم قال كما قلنا ولسنا بسبيل هذا  
السخف فلننفعه .

اتراه كان يدعه لو كنا نحن لم ندعه؟

واستضعفنا هذه المقطوعة :

لنا الهرم الذى صحب الزمانا ومن حديثه أخذ الامان  
ونحن بنو السنى العسالى نهانا اوائل علموا الأمم الرقيا  
لأن الناظم ساقها مساقا ليس فيه « من نشوة الفخر ما تهتز  
له النفوس » .

فاستضعفها صدانا الواقف لنا بالمرصاد وتلتفت متوجبا : « كيف  
غفل شوقى عن ان يحتال للفخر بهذا المعنى الضخم » ص ٨٣ .

فأسأله بالله ثم أسم الله كيف غفل آيها الراسد اليقظان !!

ونقلنا عن بعض أعضاء اللجنة انه لما تليةت هذه المقطوعة :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا  
فليس وراءها للعسر د肯  
ليس لكم بوادي النيل عدن  
الخ الخ . . .

قال : « إن البيت الثاني منبر وسأل : ما العلاقة بين النص  
بيان الملك على الأخلاق وتشبيه وادى النيل بعدن والكوثر » .

فترك هو القائل والراوى وزوى وجهه عنهم وصاح وحده ؟  
« كلام مقطوع عما قبله » . وسأل من لدنه سؤاله : « فاذا كان لهم  
بوادى النيل عدن وكوثرها فماذا ؟ » ص ٨٠ .  
ونقلنا عن آخر نقه لهدا البيت :

جعلنا مصر ملة ذى الجلال والفينسا الصليب على الهلال  
ووافقناه فقلنا : « وهو انتقاد سديد فاننا ان سميوا الوطن ملة  
ذى الجلال فماذا يكون الاسلام وال المسيحية واليهودية » .

فوضع اصابعه في اذنيه - او لم يضعهما - وأشار وولى واستكبار  
استكبارا وكانه لم يسمع بهذا النقد فراح يقول :

فاذا : « زعم انه يريد بملة ذى الجلال الدين مطلقا قلنا له فان  
ال القوم على ذلك لا يزالون بين مسلمين ومسيحيين وابرائيليين وكل  
هذه الاديان ملة ذى الجلال » ص ٨٤ .

هذا كله ولا اشارة الى الديوان ولا كلمة يستشف منها ان احدا  
تقدمه الى هذا النقد بل لعله قصد الى ادعائه عنوة فكتب على الرسالة  
انها طبعت في نوفمبر سنة ١٩٢٠ ونسى لفترة ذهنه انه ضمنها في  
صفحة ٦٧ كتابا للاستاذ منصور افندي عوض مؤرخا في ١١  
ديسمبر ٠٠٠

فهذا الخلق البغيض ونظائره من جرفوتهم هى التي تملأ .  
نفو ننا تفراز وعزوفا من ادب الجيل الماضى وادب الله ، ومن صناعة  
من ينتسبون اليها ولكن ليس لها ما لا حقر الصناعات من حرم يرمى  
ودستور يفاء اليه ووازع يوقف عند حده - ارجحهم منها سهما

اجمعهم فيها بين استخدام الجبن وصفاقة الأدباء ، وأرقعهم فيها اسماء اطبعهم على ضعة الحيلة وصنوف الرياء ، وشعارهم جمياً نقىضان من شعور بالعجز وخيانة ، وملق واستعلاء : صناعة لا واجب لها ولا حقوق لذويها ولا نعرف غيرها من صناعة بلا واجب ولا حقوق ، وما على المحترف بها بأس من السماحة والافتراء ؟ وانما الباس كل الباس عليه من المروءة والحياء .

ولقد اتصلت بنا عن عرض كلمات نبس بها بعضهم في جلسة لجنة الأغانى فقيدناها لهم وأبينا لاتفينا أن ندخلها في كلامنا مع أنها أهون وجوه النقد التي أخذناها على النشيد ومع اتنا تحدثنا بها لاصحابنا ليلة اطلعنا عليه قبل توزيعه على الصحف وقبل أن نسمع حوار اللجنة بصدده . وهذا رجل لا يستحق أن يسم نفسه على غلاف رسالته «بنابقته كتاب العربية وزهرة شعرائها» يعمد الى نقد مطبيوع لم يفرغ الحديث فيه ولم ينقطع صاحبه عن اتمامه فينتحله جملة ولا يفلت منه كبيرة ولا صغيرة حتى بسميتنا مشاهير المذهب العتيق بالأصنام (١) ثم لا يرى أن عليه بعد ذلك أن يوحى بفرد كلمةالية ولو من باب التاريخ لحوادث هذه الاناشيد ، كاننا حين كتبنا نكتنا في مصر كان هو يكتب رسالته في أقصى الصين أو أطراف السويد ولا ندرى وقد وثق من وجده بهذه الصلابة من أين له الثقة بالتهاون منها والهضيمة ؟

ولما أراد أن يعتمد على نفسه في وجه من أوجه النقد لم نذكره وظن أنه فاتنا أبلغ في الفند والصحف فنعني على تشيد شوقي خلوه

(١) قال في صفحة ٦٩ « جهد أكيرم ان يفرد أصنام الطبقة التي هم دونها ليكونوا بذلك أصناماً للطبقة التي هي دونهم » وقال في صفحة ٧٠ « دكم من من قد تفلل باطله ونرقت شيئاً طينه وانفرعت رذائله فإذا ذهبت تصلح منه التوى ملبيك »

من لفظتي الحرية والاستقلال ( ص ٧٤ ) فمتي رأى هذا الاعمه امة  
تتفنى بانها ليست ممن حرموا الحرية والاستقلال وتنتيه في مفاخرها  
بما ليس يتحقق لها كيان بدونه .

ايه يا خفافيش الادب . اغثتكم نفوسنا اغثى الله نفوسكم  
الضئيلة ، لا هوادة بعد اليوم . السوط في اليد وجلودكم مثل هذا  
السوط خلقت . وسنفرغ لكم ايتها المثقلان فاكثرروا من مساواتكم  
فانكم بهذه المساوىء تعلمون للادب والحقيقة اضعاف ما عملت لها  
حسناتكم ان كانت لكم حسنة يحسها الادب والحقيقة .

عياس محمود العقاد

## ضم الْأَلْعَيْب (٢)

كتبنا كلمة أولى عن شكري في الجزء السابق أرضسته اثنين :  
أهل المذهب العتيق البالى الذين كانوا يأبون الا ان يعدوا شكري من  
دعاة الجديد والا ان يحسبوه علينا ويأخذونا بشعره ولكن هؤلاء  
سخطوا من حيث رضوا ولم ير قهم ان يرثونا نميط الاذى عن المذهب  
الجديد وتنفى عنه وخاصة شكري . وليس يعنيانا امرهم ولا نحن  
نباى سخطهم من رضاهم فانهم في رأينا جثث محنطة .

وثانى فريقى الراضين المتعلمون من اهل البصر والاتزان  
وسلامة الدوق والشبان السائرون على الدرج وهم من نرجوهم  
لصلاح الأدب ونفضل غبار الماضي عنه . ولهم لا لسواهم كلامنا .

اما فئة الساخطين فمئلة من يحملون على اكتافهم رعوسا  
وكانما حملوا معدة اخرى لا عقلا يفكر وذهنا ينظر ويتبر . وهم  
يطالبوننا ان لا نشيم الخير من احد وان لا يكون لنا رجاء في مخلوق  
مخافة ان يتخييب هذا الامل فنكون قد تناقضنا ووقعنا في محظوظ  
وحيتنا امرا يلزمها عاره ويقى وسمه !! فياويعنا لقد اسخطنا والله  
هذه المعدات الضاغية وهجنا ثعالبها اللاحسنة بنتقدنا شكري الذى  
« وضع اهم أحجار النهضة وضحى في سبيلها شخصيته وشهرته »  
كما يقولون . ولكن لا ضير علينا من غضبهم ولا داعى لهذا الغضب  
فانا لا ننكر ان شكري « ضحى بشخصيته » !

مسكين هذا الصنم !! لا يعرف لبكمه ماذا يقول . ويتطلع المشغفون عليه للدفاع عنه فبجيء دفاعهم أقتل له من نقدنا . وينقرون منا انا جعلناه صنم الالاعيب وهم يسخرون منه ويتضاحكون به . وماذا يجدى نذذهم عنه ؟ لقد كنا وكان شكري نخلص له النصح ونمحضه الرأى والسداد ونشجعه ونقتبط بما نزداد من تعلمته من قيود العهد القديم ونعتد ذلك منه رغبة صادقة في التحرر ونجرى مع الامل فيه فهل كان علينا ان نظل العمر طامعين في غير مطعم ؟ ثم اهملناه على شيء من اليأس منه ثم تخشنا له وعنفنا عليه في الزجر فلم يعن لا الاغضاء ولا اللين ولا العنف وظل سادرا راكبا راسه حتى احفاء ؟

ولقد تنا في كل ما كتبناه عنه في اول عهده بقرض الشعر لا نغفل الى جانب التشجيع ان ننبهه الى عيوبه فقلنا عنه لما صدر الجزء الثاني من ديوانه « انه يطأ مفاخر الصنعة بقدميه » وانه « لا يتعمد كلامه بتهدیب او تنقیح ولا يبالي اى ثوب البس معانیه » وعلينا يومئذ جموحه هذا بأنه « نتیجة طبيعية لتمادي الشعراء في المنهج القديم ولجاجتهم في احتذاء الالال العتيق » اى انه نتیجة رد فعل فهو تطوح وتطليق للعقل يقابلها من الجهة الاخرى غطيط المقلدين في كهف الماضي وكان ذلك في ١٩١٣ فهل يرى أحد ان رأى اليوم لا يتفق مع رأى الامس ان صع ان هناك رأيين ؟ كلا لقد أدينا الواجب له وللأدب قديما ولكننا اليوم نؤدي حق الأدب وحده .

ومن المضحكات ان رسالة وردتنا بدون توقيع يقول فيها كاتبها « انك تتهمن شكري بالجحون وانت مثله والجحون في شعرك كثير » وما رمينا أحدا بالجحون بل قلنا ان ذهن شكري متوجه ابدا الى هذا الخاطر مكتظ به وان لهذا الاتجاه دلاته . على أن كوني مجنون لا يشفع لشكري ولا لسواه في شيء جل او دق وما اتهمنا شكري ولا تقولنا عليه ولكنه هو الذي يتهمن نفسه بالجحون . ألم يقل في كتابه « الاعترافات صفحه ٧١ » :

« أنى أسى الظن بكل شيء سواء الحميد والذميم فلا غرو اذا رأيت في الضياء ظلاما ورأيت في سواده ما يخلقه سوء الظن من الاوهام التي هي كخيالات الشياطين في ظلام الليل . ومن بلغ به سوء الظن هذا المبلغ يسمع همس شياطينه في اذنه فاذا تلقت الى يمينه وجد سوء الظن يهمس في اذنه اليسرى ومن العجيب ان هذه الشياطين التي يخلقها سوء الظن لا تخفي قبحها لتخدلنا بل تظهر قبحها في حركات وجهها وجسمها ( !! ) هذه الشياطين هي الخواطر التي يهيجها سوء الظن تمرح في ظلامه كما يمرح الوطواط في الظلام وتؤدي بالمرء الى الجنون ( نعم قد عانيت من اجلها الجنون وجرعت كاسه المرة وبلغت اعماقه ولا اعني الجنون من لا يحسن جنونه بل اعني الجنون من يحسن جنونه ويذكر فيه ويعرف اسبابه ونتائجها . ذلك الجنون الذي لا ينسى المرء التكرا والامانى ) اه .

فهل رأيتك أيها القارئ أنتا فيما كتبناه عن شكرى أكثر اعتدالا منه هو نفسه وانتا اذا كنا نبالغ في شيء ففى الحذر والاحتياط وفي التحراز من التعبير بأكثر من المراد وفي فرط توخيانا للقصد وتحرينا للضبط والدقة ؟

ولقد قلنا ان شكرى بدأ يجرب ما يسمونه هليان المحتواس واوردنا شاهدا على ذلك وفي النبذة التي اقتطفناها من «الاعترافات» شاهد آخر فانه فيها يقول ما صرحت لعزم « ومن العجيب ان هذه الشياطين لا تخفي قبحها بل تظهر قبحها في ( حركات وجهها وجسمها ) وليس هذا من المحاذيف في شيء فان صاحبنا شكرى لم يدع سبيلا الى هذا الفرض والتأويل فقد سد بابه باعلان دهشته والجهر بعجبه واستغرابه حدوث ذلك .

وهو القائل أيضا في اعترافاته ص ١٠ .

« ويسمع المحب انفاما وأحانانا ( غريبة ) لا يسمعها غيره وليس لها وجود ويرى أشكالا هندسية بديمقرا لا تسمع عنها في كتب

الهندسة ويرى ازهارا خيالية لا يعرفها الباحثون في علم النبات « فهو يسمع ويرى ما يعلم أن لا وجود له وفي هذا تأييد لقوله في وصف جنونه « ولا أعني جنون من لا يحس جنونه بل أعني جنون من يحس جنونه ويفكر فيه ويعرف أسبابه ونتائجها » .

وشكرى قديم العهد بالشياطين والعقاريات قال في ص ٢١ من الاعترافات :

« لقد كنت في صغرى كثرا الاعتقاد بالخرافات وكنت التمس المجائز من النساء أسمع قصصهن الغرافية ( حتى صارت ) هذه الشخص تملأ كل ناحية من نواحي عقلي ( وحتى صارت ) عالما كبيرا ملئه السحر والعقاريات وحتى صارت العقاريات حولي تحل حيث أكون . وأذكر أنني رأيت مرة عفريتا على سطح منزلي وكان أسود الجسم شخصه مثل شخص الإنسان ولكن جسمه يعلوه الشعسر الكثيف » .

وليس ذلك في صغره فقط بل هو الآن بعد أن كبر وبلغ أشدده كما كان في حداثته .

انظر قوله في ص ٢٥ من الاعترافات :

« وفي بعض الأحيان أخاف خوفا شديدا أن يظهر لي أبليس . فأتلفت كي أثق أنه لم يظهر بعد وفي بعض الأحيان أعتقد وجود العقاريات والجِن كما كنت أعتقد في أيام صغرى لقد سمعت البارحة القطة تعوي وتصرخ مثل عواء ( المجانين ) أو عواء الأرواح الحائرة المعدبة ( التي تتحدى الليل جلبابا ثم تفرغ في ذلك العواء ما تقاسيه من العذاب فلما سمعت عواء القطة كأنها المخرب اذا حاولت الكلام لم أشك في أنها عقاريات من الجن وأصابتى رعدة شديدة .

وتأمل تدقيقه في وصف هذه الأرواح الحائرة التي يذكرها وكيف أنه لا يجد تمثيلاً لمواء القبط - لا عوائتها - الا بمواء العفاريت وكذلك كل صوت في سمعه قال في ص ٢٦ :

« وقد سمعت مرة عواء الخنازير كأنها عواء جنية أصابها الموت في ولدها » وهو بعد يلتجد المرعبات كمنظر النار تأكل الدور قال في ص ٣٤ « اذكر انى رأيت مرة حريقاً هائلاً في جنح من الليل فهیج في قلبي عواطفه ولم یهیج سطح العاطفة بل هیج أعماقها وجعلت اشعر بالجلال جلال ذلك المنظر الهائل وبرقت عيناي حتى كدت ارى بريقيها وصارت النار تأكل المنازل فتنهمد وتنهال وتنصاعد السنة النار والدخان يعلوها والظلام حولنا وعلى اوجهنا نور يزيدنا شحوباً وكنت أحس لفح تلك النار في خيالي وذهني .. هذه هي المناظر التي (التذها) ومن الغريب انى يخيل لى ان هذه المناظر وما تبعه من الاحساس تعين الماء على ان يفهم الحياة ومعرفة سيرها » .

ثم تصور شكري واقعاته ما يصفه هنا في اعترافاته ص ٧٢ :

« ما رأيت اثنين يتشاران الا ظننت انهما يذكراني بسوء .. او احداً ينظر الى الا حسبته يحدث نفسه عنى بسوء وانى لاسيء ظنني الان بمن سيقرأ هذا الكتاب وما رأيت احداً ينظر في ثيابي الا حسبته رأى فيها شيئاً خفياً عنى وما رأيت احداً ينظر في وجهي الا حسبته رأى فيه شيئاً قدراً وما رأيت احداً عابساً الا حسبته يعبس من اجل بغضنا او حقدنا وما رأيت احداً باسما الا حسبته يسخر مني ويهازي بي وما سمعت شخصاً لم اعرف سببه الا خجلته بخجله شديداً وحسبتني غرضاً لذلك الفضحك ( ومن اجل ذلك صررت اعبس في وجه كل من يبسم في وجهي من الناس الا من عرفت

سبب ابتسامه وأحياناً أعرف سبب ابتسامه فلا يعنى ذلك من  
اساءة الظن به )

وليست خواطر الجنون وسوء الظن والعقارب تكل كل ما يملأ  
ذهن شكري فان فيه ناحية يشغلها خاطر الاجرام .

قال في ص ٧٥ من الاعترافات :

« الفزع من التهم ضرب من سوء الظن والجبن لقد رأيت في  
الحلم البلاحة أني اتهمت ( كذبا ) باتيان جريمة ولم يكن عندي ما  
أدفع به التهمة فصرت أصيبح أمام القاضي وأقول أنا بريء والقاضي  
يهز رأسه ولا يصدقني والشاهد الكاذب يبتسم ابتساماً خبيثاً ثم  
رأيت بعد ذلك أني أساق للسجن والاعدام أنه لحلم يفزع .. أني  
لأذكر أني اتهمت ( زوراً وبهتانا ) في أيام صغرى بسرقة علبة من  
الحلوى ولا أزال أذكر ما نالني من الفزع أن تكون الحياة كلها تهم  
( كذا ) باطلة .. على أنه من ( جنون ) اليأس والفزع والجبن توقع  
ما لم يحدث من المصائب وقتل النفس بهذا التوقع » .

ولا ينفي أن تفوت القارئ ملاحظة تنبيهه دائمًا إلى أن هذه  
التهم مزورة كاذبة حتى التي حلم بها فان لهذا الخوف منه أن  
يصدق القارئ ما يرويه معنى ولا شك .

وقال في ص ٨٥ : « يحسب كثير من لم يتعود التفكير أن الناس  
منقسمون بفطرتهم إلى قسمين فهم أما مجرمون وأما أبرياء وهذا نظر  
فاسد فان في نفس القديس جرثومة الاجرام .. أى الناس لم تخطر  
بباله خواطر الاجرام ولم يفزع مما يتحرك في نفسه من حشرات  
الشر .. لقد مرت بي ساعات كنت أحس فيها تلك اللذة التي تدفع  
المرء إلى الشر فان الجريمة مثل السراب اللامع والحياة كالصحراء  
القاتلة الحرارة والمرء فيها كالصحر الظمان يلبيح له سراب الشر  
( بضيائه ) فيزيد أن يروي ظماء وينقع غلته أني اليوم بريء ولكن  
ما يدريني ربما كنت في غد مجرماً ربما تحركت عوامل الشر التي في

نفسى .. و كنت اش فى على المجرمين و املا لهم قلبي رحمة فانه لا يحزننى فى الحياة مثل رؤية آثار التعasse التى يجلبها الاجرام للمجرمين لقد رأيت فى الحلم مرة انى اتيت جريمة القتل ثم وقفت امام جثة المقتول وقد احسست دوارا وصار العرق يتتصيب على جسمى و كنت احس جريه كأنه دبيب الحشرات وقد جمد الدم فى عروقى و اسودت الدنيا فى عينى وكلما ارددت ان اتنفس احسست شيئا يسد مجرى النفس و كنت احس صوتا كأنه صوت اعصابى تتقطع فيه صوت تقطع اوتار العود و كنت تخيل لى كان يدا من جليد قد وضعت على ظهرى هذه الاحلام التى تمكن الاديب ان يعدم شخصه فى اشخاص غيره و ان يلتج الى ارواح الناس وعواطفهم وان يرحم المجرم كما يرحم التعيس » .

وقال في ص ٦٢ : « ليس من سبب لبعض المترددين وانتقادهم الا حب الاحياء انفسهم و خوفهم من الموت . لقد حاولت مرة ان انتحر فربما من سلطان الفضاء فأخذت سكينا و ادنتها من صدري ثم قدرت مكان القلب و قلت هنا ينبغي ان اضرب نفسى الضربة القاضية فلم تهن على نفسى فقلت الليلة الاتية افعل ذلك و لما اتت تلك الليلة ارجأت الانتحار الى ليلة اخرى حتى افكر في طرق الانتحار و اختار منها واحدة » .

وقد فكر في الانتحار مرة اخرى لسبب هذا خبره قال في ص ٩٦ :

« انى لا ازال اذكر ذلك اليوم النحس الذى لطمنى فيه شقيقى لم يكن يدرى مبلغ اساعته فرفعت يدى لاطمه ولكن الجبن و اخاه الحزم همسا في اذى قائلين انك اذا لطمنه لطمنك مرة ثانية وهو اقوى منك فلا تصبىء الا ببعض ما يصيبك فخير لك ان تتحمل اللطمة الاولى وان تنجو سليما فو قفت يدى الى جانبى و احسست ان روحى قد سلبت اجل شيء فيها فنظرت الى ما بين قدمى لا رى ما سقط منها من العزة والانفة والشجاعة ثم احسست كأن عظامى قد احترقت

ولم يبق الا رمادها وخارت قواى وعرتى حيرة وشككت فى الحياة  
فجعلت أعدو من الفيظ وقد اسودت الدنيا فى عينى وجعلت انظر  
الى المارين وهم ينظرون الى فارميهم بلحاظ المقت والكره لاتى كنت  
احببهم يسخرون بي ويعرفون ما حدى لى ويفهمون سر روحى  
التي اهينت ولم تعد تصلح للحياة ثم وقفت على غدير وهمت ان  
ارمى نفسي فيه ولكن هزأت بنفسي تلك النفس التي تفر من اللطام  
الى العمام ثم ذهبت الى البيت .. وخطر لى ( ان اتابط سكينا  
او مسدسا وأن انتقم من ذلك الشقى فاقته ) ولكن الحزم والجبن  
وهما سميرأى ونصيحاى الاحالى بالقضاء والمحاكم فجعلت افرض  
اسنانى من الفيظ حتى تكسر بعضها و كنت فى حالة من حالات  
( الجنون ) اهـ

على أنه تشجع مرة بعد هذه وأراد أن يظهر انتفه وعزه نفسه  
فوقع له هذا الحادث المضحك نزويه تفكهه بعقب هذه المرارات .  
قال في ص ٩٨ :

« فلما احتمم الجدال بيننا وخفت أن يبدأ اللطام بدائمه به فأن المبادرة نصف الظفر فبادرته بلطمة بين عينيه و كنت أريد أن يخرب مفشيأ عليه متها ولكنني خفت أن أفقع عينه أو أن أصيّب أحد أعضائه بتلف دائم أو أن تكون ضربتي هي القاضية فتتعدّ على بالطامة وبالعقاب الشديد . . كل هذه الخواطر جالت في ذهني عندما سددت يدي لالطمه ومن أجل ذلك لم يكن وقع اللطمة عليه شديداً فمد إلى يده باللطام ولكن يغيل لي أنه لم يخش ما خشيت من العقاب وإنما استنتجت ذلك من وقع لطماته فانصرفت بانفاسه بشم عين سوداء حمراء زرقاء كأنها قوس قزح » .

وقلنا عن شكري انه ابكم فكاننا اخترعنا شيئاً وحسب البعض  
ممن يظنونا نلقى القول على عواهنه ولا نبالى أين وقع من الحقيقة  
اننا نستطيع بلساننا عليه مبالغة في ايجاعه وتنقصه والزراية عليه

ولهم العذر اذا ما ادر اهم انه هو القائل في ص ٣٩ من الاعترافات :  
« انى في خلوتى بنفسى اعد الكلام البلية والحجج الراجعة  
والكلمات البليفة واتخيل محادثات تجري بينى وبين الناس تكون  
كل كلمة من كلماتى فيها آية من آيات البلاغة ولكن اذا لقيت هؤلاء  
وحادثتهم لم أجده في كلامى هذه الآيات البينات . ثم اذا خلوت  
بنفسى بعد ذلك اقول كان ينبغي ان اقول لهم كذا كذا فينطلق  
لسانى بالكلام الفصيح البلية . ولكن اى مزية في ان يكون المسرء  
( عيما ) في المجالس فصيحا في الخلوات ؟ وهذا سبب من اسباب  
انفرادى ووحدتى . ويرى الناس ( سكوتى ) ووحدتى فيحسبون  
حياتى هادئة مطمئنة » .

وليس الأمر عنده من قبيل صمت المفكر او المحزون او  
قليل الكلام في العادة بل هو داء قديم مستعص . قال في صفحة ٤٧  
من الاعترافات :

« لقد كنت في صغرى كثير الحياة و كنت انظر الى جرأة اترابى  
من الغلمان ( وحسن لهجتهم ) وأعجب بها واتمنى ان اكون مثلهم .  
اذكر ان ابى زار بى صديقا له من الفرنسيين و كنت صغير السن  
وكان لصاحب البيت ابن فى عمرى فجاء الغلام وصافحنا وحيانا  
( بفصاحة وطلقة ورشاقة ) اعجب بها المحاضرون وصاروا ينظرون  
الى ويضحكون » .

ولا تظن بنا الان حاجة الى استقصاء « الجنون » في شعره  
بعد اقراره به وتقريره انه جرع كأسه المرة وانه وصل الى أعمقته  
وأنه يحسن بجنونه ويعرف اسبابه ونتائجها لا كاولثك البيمارستانيين  
البلهاء الجهلاء الذين لا يعرفون انهم مجانيين

وفي انسان كابون حتى على انفسهم ولكننا عاشرنا شكري اعواما طويلا وحالطناه وبلوناه ولا نراه بالغ في شيء مما وصف به نفسه بل لعله آخر السكوت عن أشياء يعرفها عنه كثير من خلطاته وملابسيه . ولا يمكن أن يقال في الرد علينا وفي تبرئة شكري مما قرف به نفسه أن « الاعترافات » صاحبها رجل آجر اسمه م . ن وان شكري ليس الا ناشرا لها فان هذه الاعترافات ليست الا طائفة من المقالات لا يربطها شيء الا ضممح المتكلم وقد نشر شكري أكثرها في « الجريدة » بين ١٩٠٩ و ١٩١٣ بتوجيهه على أنها له ثم عاد فجمعها في كتاب طبعه في ١٩١٦ ويرى قارئ الاعترافات أبيات شعر كثيرة واردة في اثنائها وفي الهاشم أنها من شعر المؤلف وصاحب الأبيات هو شكري وربما ذكر اسم القصيدة التي هي منها وقد يعين الجزء من ديوانه الذي وردت فيه .

ومما هو خلائق أن يبعث القارئ على الركون إلى هذه الاعترافات وتصديقها انه يجد مصادقها في شعره فكما أنه قال في الاعترافات في نفس القديس جرئومة الاجرام كذلك قال في شعره « فقد أغرم الإنسان بالشر والأذى » وقال :

كل نفس فيها الخير والشر

### دُوَاع طَوِيلَة الْأَفْسَاد

وقال معترفا أنا اليوم بريء ولكنني ربما كنت في غد مجرما ومن

شعره

وَبِمَا شَبَّ بَيْنْ جَنِيَّكَ لِلشَّرِ  
ضَرَّامَ مَا أَنْ لَهُ مِنْ فَنَاءِ  
أَنْتَ فِي الْيَوْمِ وَاسْعَ الْجَاهِ غَضَ الْ  
خَيْرِ لِسْنِ الرَّحَاءِ رَطْبِ الرَّجَاءِ  
خَالِصِ الْكَفِ مِنْ دَمَاءِ قَتِيلِ  
أَيْضُنِ الطَّبَيْعَ لَمْ يَشْبِ بِرِيَاءِ

ربما كنت في غد اشعت الطي  
ح لليم الخصال جم الشفاء

خاضب الكف من دماء عدو -

طائر الصفن تأثر الشخناء

وقلنا ان ذهنه مشغول بخواطر الاجرام والقتل واورنا بذا من  
اعترافاته وفي شعره شواهد كثيرة على ذلك فمنها قصيدة « الزوجة  
القادرة » وهي قصة امرأة ارادت ان تسمى فسماها هو :

وهي قد افرغت لى السم في كوبى  
وcameت تمر في بعيد  
ثم غافلتها وافرغت كوبى  
فسوق ماء بكوبها منزور

ثم نلنا من الطمام بلاغا  
وشربنا برعا من التمريد

ثم جه اليوم الجديد فنامت  
زوجى الرود نومة المقبر

فصل السم فعلاه في حشها  
ودعها من السرى بقيود

ومنها قصيدة عنوانها « لم اسبرطية قتلت ابنها » وهو فيها  
يبرر هذه الجنائية لانه فر من الحرب قال وقد نسى انه هو ابضا  
جحان حتى في مواطن « اللطام »

ايهما الخائن الجبان خشيت الـ  
موت والموت حادث مقصود

ان اما تعزى لهما قتلت في  
قتلك العمار لم يصبها معيب

ومنها قصيدة اسمها « قبلة الزوجة الخائنة »  
قد قيلتني قبلة مرة

كأنها من حمة العقرب  
تنهش جسماها لم يكن نهرة  
لشاحذ الآيتاب والمخلب  
لولا وميض الزاي يقتادني  
يعيّتنى من سنه المفضب ( ۲ )

جلتها بالسيف أمحو به الـ  
لثب بتنفب رائع معجب

وتأمل في هذه الأبيات همس « الجن وأخيه الحزم » وكيف أنه  
يصف الجريمة بأنها رائعة معجية . ومنها قصيدة العقاب بالقتل  
ون فيها يعذر المجرم

اطيلوا حياة الجارمين فأنها  
حياة اذا سند المطامع عاشر

لقد اخلفتهم بالفحة العيش ببرها  
زمانا وحابات الحياة غوايد

فيتّس حياة المرء والفقير عاكف  
عليه واسباب الحياة جرائر

هنا لك اني للفقير لعماذل  
وانى له مما يعانيه عائز

كان كل من يجرم يكون باعثه الفقر والخاصةة : وله عدا ذلك  
أبيات كثيرة في تضاعيف شعره كقوله يخاطب حبيبه

فلو كنت بين الناس وبها معذق  
ونادوك اني فاتك النفس جارم

لالفيت غفرانا لدبك ورحمة  
فما يغفر الزلات الا الاعظام  
وقوله :

رحت اسعي كمحصر بان عنه الـ  
صاحب فردا ذا وحشة واطراح  
او كذى الجرم حين طال به السجن  
يصل الطريق عند السراح  
وقوله :

كان هموم المرء ذئب مراوغ  
فيما بؤس مقتول وما بؤس من نجا  
وفي واعترافاته انه يحلم بأنه اتهم بارتكاب الجنایات وكذلك في

شعره

يرى الناس ان النوم ام رحيمة  
ولتكن نوم الجارمين عقاب  
يسأل على العظم اسياف نعمة  
فاحسalam نومي كالجحيم عنذاب  
كم هد من عزم صليب عنذابها  
وشيب وراد النزوب فشابوا  
ومنها :

وغيرنى عما عهدت جرائرى  
فليس الى الحال القديم ايات  
للا تحسين الشر يمحي بتوبه  
وان غفر الجرم العظيم متاب  
ي الواقع كل الناس بالفکر شره  
وقد عابنى انى جرأت وهاها

وكم حدثت بالشراذ الخير نفسه  
وذاك حديث ما عليه عقاب

وقد شبه في اعترافاته الجريمة بالسراب وجعل للشراذ ضياء  
وكذلك فعل في هذه القصيدة

ظمئنا فخلنا الشر في العيش منهلا  
ل لكن ورد الجارمين سراب

وقد حدثته نفسه بقتل حبيبه وبرر ذلك ولم ير فيه مائما  
وان بقبي من جفائك ( جنة )

فإن رام يوما قتلاكم ما قاتما

فاسقى جنوبي من دمائكم جرعة  
وهيئات يجدى القتل قلبا مكلما

إلى آخر ذلك فان المقام يضيق عن تقصيه وما بقى من شك في  
أن الرجل ممسوخ الطبيعة

هذا هو شكري قد رسمنا لكم صورته بقلمه وهذه هي صفاتة  
وميوله ونزاعاته واتجاهات ذهنه وكلها شاذ غير مألوف في الفطر  
السليمة والطبع القويمة كما نعرفها ويعرفها الناس فهل بالفن  
اللهم لا ! وهل يخرج من كانت هذه حالة شعر سليم ؟ كيف والطبع  
أعوج والذهب مقلوب والعين تنظر إلى الحياة من منظار معكوس يريها  
الأشياء على غير حقيقتها وعكس نسبها وعلاقتها ؟

« إبراهيم عبد القادر المازني »

فہرست

الجزء الأول

卷之三

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٩٦/١٤١٣٢

١٤١٧ - ١٩٩٧ م

مَطَابِعُ مُوَسَّسَةِ دَارِ الْشَّعْبِ - لِصُبْكَافَةِ وَالْطِبَاعَةِ وَالنَّسْرِ  
٢٥٢٨٠ - ٢٥٢٨١٠ - ٢٥٢٨١٨ - ٢٥٢٨١٩

**To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)**